حملة الأمير محمود ود احمد إلى الشمال

١٣١٥ هـ --- ٩٧ / ١٨٩٨ م

رسالة للماجستير في التاريخ

كلية الآداب - جامعة الخرطوم

١٩٦٩ م

محمود عبدالله ابراهيم

حملة الامير محمود ود احمد
الى الشمال
١٣١٥ هـ ـــ ١٨٩٨/٩٧

****

رسالة للماجستير فى التاريخ من
كلية الآداب ـ جامعة الخرطوم
١٩٦٩

محمود عبدالله ابراهيم

فهرست

مقدمة

لابد لنا من مقدمة موجزة عن الفترة التاريخية التى حدثت فيها حملة الامير محمود وداحمد بصورة عامة حتى تتضح لنا الظروف التى احاطت بتلك الحملة•

اتفق كثير من المؤرخين على تسمية النصف الثانى من القرن التاسع عشر ((بفترة الاستعمار الحديث)) ((New Imperialism)) • فقد حدث فى هذه الفترة نشاط ملحوظ من جانب الدول الاوربية للاستيلاء على كثير من البلدان فى اسيا وافريقيا بعد فترة ركود وفتور فى النصف الاول من ذلك القرن •وقد ساق المؤرخون تفسيرات كثيرة لهذا النشاط الاستعمارى لايهمنا التعرض لها بالتفصيل فى هذا المجال (١) • وقد سرت حمى الاستعمار بين الدول الاوربيه فتسابقت للاستيلاء على اراض شاسعة فى المناطق الحارة •وهذا ماعرف بين المؤرخين " بالتسابق نحو افريقيا" The Scramble for Africa ، والسودان كجزء من افريقيا كان مسرحا لهذا النشاط الاستعمارى

---

(١) لا نود ان نتعرض لهذه التفسيرات باسهاب فليس هذا مجالها ونرجو أن نورد هنا بعض الكتب التى تعرضت لذلك بالتفصيل :-

(a) M. Wright Harrison: "The New Imperialism" Analysis of Late Nineteenth -Century Expansion (Boston 1951).

(b) J. Holland Rose : The Development of the European Nations 1870-1900 (London, 1905)

(c) J. A. Hobson : Imperialism, A study London, 1902)

(d) V.I. Lenin : Imperialism, The Highest stage of Capitalism (New York 1939)

(e) Leonard Woolf : Empire and Commerce in Africa, A study in Economic Imperialism (London 1910)

(f) Cromer, Earl of (E. Baring) Modern Egypt 2 vols. (London 1908)

وصال تمسيبه من زحف الجيوش الاجنبيــة فـوق اراضـيه وزحـف كتشـنر بجيوشـه لاعـادة فتح السـودان كان جـزءاً مـن هذا التسـابق "(١)

وقـد تميزت هذه الفـترة باراقـة كثير من الدماء والعنـف (٢) فى المسـتعمرات ، وحب اخبـار الانتصـارات وتعظـيم الامبراطـوريـات وابتهاج الناس بذلك فى اوربـا ، وكثير من ابطـال تلك الفـترة بنـوا مجـدهم على الفتـوحات الاسـتعمارية ، والاعمـال التى قـام بها كتشنر فى حملته من المجـازر البشـرية فـى عطـبرة وكـررى ، ومن اقـامة الاحتفالات ونصب الاقـواس للنصـر فى بربر كلها ترمى ضـوءاً عـلى الـسروح التى كانت تـسترشـد بها تلك الحملة والتى كانت جـزءاً من روح الجـزء الثـانى من القـرن التاسـع عشـر •

---

(١) كانت هناك دوافع متعددة حدت بالحكومة البريطـانيـة لتغيير سـياسـتها حيال السـودان ، وان تتخذ قـرارا باعـادة فتحـه فى سـنة ١٨٩٦ ، تعرضنـا لبعضها فى الفصل الاول من هـذه الرسـالة • ولزيادة التفـاصيل يمكن الرجوع الى :ـ

(1) M. Shibeika : British Policy in the Sudan 1882-1899 (London 1952)

(2) G.N. Sanderson : England ,Europe and the Upper Nile , 1882-1899 (Edinburgh 1965)

(3) R. E. Robinson, J. Gallagher with A. Denny : Africa and the Victorians : The Official mind of Imperialism (London 1961)

(٢) ينطبق هذا بصـورة خاصة على السـودان وغـانا •

وقد بدأنا هذه الرسالة من حملة محمود وداحمد الى الشمال بمسألة اعادة فتح السودان من جانب بريطانيا ومصر ، والاستعدادات التى اتخذت لتحقيق ذلك الغرض ، ثم استعدادات الخليفه لملاقاة جيوش كتشنر الزاحفة على بلاده ، واعتماده فى ذلك على عشيرته وقبيلته مع عدم ثقته فى اهالى المنطقة للدفاع عنها ، فاضطره ذلك الى استدعاء ابن عمه محمود وداحمد من الغرب لتولى تلك المهمة . ومن هنا تبدأ الصعاب التى تواجه حملة محمود وداحمد منذ رجوعه الى الغرب لاستنفار القبائل للجهاد والاساليب الصعبة التى استعملها فى ذلك ثم بعد وصوله من الغرب وتوجيهه بجيشه فى ارض اهاليها لا ترحب سكانها بتقدمه . اول هذه الصعاب هى مسألة المتمة التى عرضنا لها فى الفصل الثانى من الرسالة وقد عالجنا معها الحركة المشابهة لها والتى قام بها حسنين برى فى بربر ... ثم تعرضنا لماحدث من جيوش محمود بعد الواقعتين وماترتب على ذلك كما تعرضنا لوجهات النظر المختلفة عن واقعة المتمة . ثم تعرضنا فى الفصل الثالث الى جانب اخر من جوانب الصعاب التى فرضتها ظروف هذه الحملة على محمود وهى تحركات الحملة على غير هدى وغير خطة مرسومة والتخبط بالجهات المختلفة مما ارهق الجيش واضطره للحرب فى غير المكان الذى يريد ورماه لقمة سائغة فى فم كتشنر . وفى الفصل الرابع تعرضنا لعناصر الضعف فى جيش محمود من حيث الجوع وعدم نقصان المؤن والذخائر واختلاف قواده وهبوط الروح المعنوية لجنوده وعدم اختياره للمكان المناسب للحرب وعدم استعماله للسلاح على الوجه الاكمل وكذلك عدم تدريب جنوده . ثم ختمنا الرسالة بالفصل الخامس الذى عالجنا فيه موقعة النخيلة والتى ابيد فيها جيش محمود .

وقد حاولنا فى هذه الرسالة الاعتماد كثيرا على وثائق الدولة المهدية دون التجاهل للمصادر الاخرى... فالخطابات المتبادلة بين محمود والخليفة ومنهما ومن بقية الامراء مابين سنة ١٣٠٨ هـ وسنة ١٣١٥ هـ [illegible] كانت من اهم مصادر البحث ، ثم وثائق المهدية التى اشرنا اليها فى موضعها فى الرسالة ثم كتابات من عاصروا تلك الفترة ثم بعض الكتب ذات الصلة الوثيقة بما تعرضنا له بالبحث ، وكذلك اخذنا بعض المعلومات من افواه بعض من عاصروا تلك الفترة وقارناها مع بعضها البعض وكذلك بالوثائق والمعلومات من المصادر الاخرى ، وقد سافرنا الى غرب السودان وكذلك الى القمة وعطبره ثم الى النخيله على نهر عطبره متتبعين الطريق الذى سلكه محمود فى تلك الحملة التى قادها الى الشمال كما استرشدنا ببعض المعلومات العسكرية من بعض ضباط القوات السودانية المسلحة فى محاولة لفهم بعض المواقع والاسلحة وطريقة استعمالها واهميتها .

فارجو أن يوفقنى الله فى بسط ماجمعته بالطريقة المرضيه كما ادعو بالتوفيق لكل من كان له الفضل فى توجيهى فى هذا البحث وابدأ بالبروفسير مكى شبيكه والدكتور عباس ابراهيم الذين كانت لتوجيهاتهما اكبر الاثر ، كما اشكر السادة الدكتور محمد ابراهيم ابوسليم مدير والسيد محمد محجوب مالك نائب مدير دار الوثائق المركزيه لجمهورية السودان لسماحهما لى بقرأة المصادر الهامة التى كنت فى غاية الحوجه لها كما لفتا نظرى الى بعض الوثائق ذات الاهميه الكبرى كما اشكر كثيرا السيد ودامه حسين مصطفى مراقب الارشيف بدار الوثائق الذى بذل كل جهد

فى تحضير كل من احتجت اليه من وثائق واماكن فى ترتيبها بغرض الاستفادة منها دون مشقه ، وشكرى ايضا الى الانسه لوسى بولص بقسم البيولوجيا بجامعة الخرطوم للمساعده فى رسم وتصوير الرسومات البيانيه المرفقه ،كما اشكر غير هؤلاء كل من اعاننى بالنصح الثمر والارشاد المفيد •

والله الموفق •

الفصــــل الاول

اعـــادة فـتح الســـودان ومـوقـــف الخليفه منه

ظلت مسألة الســـيطره على حوض النيل ومنابعه جزءا هامـا من الســـياســـة الخارجية لبريطـانيا منذ سنة ١٨٨٢ أبعد استيلائهـا علـى مصـر ،فقـد كانت مصـر تعتمـد على النيـــل فـى كل جوانب حيـاتها ،والـدولة التى تســـيطر على منابعه كان يمكنهـــا ان تتحكم فى مصـير مصـــر بعمل الخزانات والســـدود على نهر النيل او احد روافـــده ،وان كانت تلك الدوله معاديه لمصـر كان يمكنهـــا ان تجعل الحيـاة جد صـعبة لمن يحكم مصـر (١) ،ولذلك لم تكن مصـر تحتمل وجود قـوة معـادية لها فى الســودان وقـد عبر رياض باشـــا من أهميـة أمر الســـودان لمصـــر بقـوله :ـ

" هناك حقيقـة واضحـة لاينكرهـا احد وهي ان النيل هو حيـاة مصـــر • والان فـان النيل يعنى الســـودان ،ولا يمـــكن قطعهـا كالرابطـــه بين الروح والجســـد " (٢).

فى عـام ١٨٨٥ استطاع محمـد احمـد المهـــدى ان يفـرض ســـيطـرته عـلى الســـودان الاوسط وان يكون حكومه معاديـــة لحكام مصـــر فى ذلك الوقـــت • وصـار لزامـا على بريطانيا التى تتـولى شــــئون مصـــر فى ذلك الحين ،باسترجاع تلك الاراضـى التى اجبرت عـلى اخـلائها لجيوش المهدية • ولكن لم يكن ذلك الامـر هـاما فى عـــام ١٨٨٥ ،ولم تكـــن هناك عجلة لاسترجاع تلك الاراضى •

---

(1) W.L. Langer: The Diplomacy of Imperialism, NewYork, 2nd Ed. 1951, PP.105-107

(2) Egypt. No. 1 (1889) Memorandum of Dec. 9th. 1888, No. 35 enclosure, from Riaz Pasha to Sir Evelyn Baring . see Appendix A. (1) Quoted from , W.L. Langer Ibid , P. 107 .



وذلك لان حكومة المهدية لم تكن لها الامكانيات الفنيه ، والمادية ، والهندسية التى تمكنها من التحكم فى مجرى النيل بغرض تحويله وتهديد مصر • ولذلك فقد كانت الحكومه البريطانية ترجو ان يظل الامر على ماهو عليه ، دون ان تتدخل اى حكومة اخرى تملك الامكانيات الفنية وتسيطر على حوض النيل ، وبالتالى تتحكم فى مصير مصر • وقد عبر اللورد ملنر من هذا بقوله " ان الاوباش من السودانيين لن يتمكنوا من تلقاء انفسهم من الحصول على المقدرة الفنية التى يستطيعون بها التلاعب بمياه النيل ، ولكن بالرغم من ذلك فانه وضع غير مريح ان تكون موارد مياه هذا النهر العظيم ، الذى هو شريان الحياة لمصر ، دائما معرضة للمخاطر مادامت منابعه لاتخضع للسيطرة المصرية • من ذا الذى يستطيع تقدير ماقد يحدث اذا استطاعت احدى الدول التحضرة ان تقيم السدود لتحويل مياه النهر التى لايمكن لمصر الاستغناء منها للزراعة • "(١)

وقد كان لوجود حكم المهدية فائدة مؤقته اخرى هى التى عبر عنها كرومر فى خطابه للورد سالسبرى فى ١١ ديسمبر ١٨٩١ م ٩ جمادى اول ١٣٠٩

" ان الدراويش قد تلقو هزيمة نكراء فى كل من سواكن وحوض النيل ولذلك فانهم لن يفكروا فى العداوة فى المستقبل القريب • ان الدراويش بوضعهم الحالى لايشكلون اى خطوره على مصر ، بل انهم فوق ذلك يقدمون لنا خدمة جليلة الا وهى الحجه ضد اى تغيير للوضع فى السودان "(٢)

---

(1) Alfred Milner : England in Egypt ,London 1892, PP. 197-198 .
Quoted from W.L.Lenger=Op. cit.P.107
See Appendix A. 2.

(2) The Marquess of Zetland : Lord Cromer, London 1932 PP. 220-221
See Appendix A. 3.

ولهذا جعلت بريطانيا همها الاكبر هو محاولة المحافظة على الوضع القائم " Status quo " ومحاولة ابعاد كل الحكومات الاوربية من احتلال اراضى حوض النيل حتى يأتى اليوم الذى تتمكن فيه مصر من استعادتها • ولكن لم يكن لبريطانيا اى سند قانونى او عملى يمكنها من منع اى من تلك الحكومات من الاستيلاء على تلك الاراضى • وهذا الموقف قد جعل الحكومة البريطانيه فى موضع غاية فى الحساسية من الناحية الدبلوماسية ، وادخلها فى محاورات سياسية ، ومفاوضات كثيرة ، مع عديد من الدول الاوربية ، التى كان لها نشاط ومصالح بالقرب من تلك المنطقة ، مثل ايطاليا ، وفرنسا وبلجيكا • وكان خطر تدخل هذه الدول فى اراضى حوض النيل ماثلا على الدوام • يقول هـ • د • تريل "(١) فى ذلك

" منابع النيل التى هى شريان الحياة لمصر قد صارت لاول مره فى تاريخها الطويل فى متناول ايدى بعض الدول الاوربية الكبرى وقد تتمكن احدى تلك الدول من السيطرة على تلك المنابع فتفرض بذلك سلطاتها وتتحكم فى حياة مصر • "

وكان نشاط ايطاليا فى شرق افريقيا يزعج السياسيين فى بريطانيا ، بالرغم من أنه كان هنالك تفاهم بين بريطانيا وايطاليا حول هذا النشاط ، وبالرغم من المعاهدة التى ابرمت بينهما والمسماة بمعاهدة دوفرن " ((Lord Dufferin's Convention)) والتى حددت المجالات التى يمكن لايطاليا ان تمارس فيها نشاطها • فقد كتب كروسر يبدى عدم ارتياحه لنشاط الايطاليين فى نوفمبر ١٨٩٤م الى اللورد كمبرلى يقول :-

---

(1) H.D. Trail : England ,Egypt, and the Sudan London 1900, P. 149
Quoted from W.L. Langer= Op. Cit. P. 287.
See Appendix A. (4)

"ان الدراويش ان فكروا فى الحرب سيمنون بالهزيمة على ما اعتقد ولكن ألا يفكر الطليان حينئذ فى التقدم الى مابعد الخط الذى حددته معاهدة (دفرن). ان مخاوفى دائما هى ان تفرض علينا مشكلة السودان هذه قبل الاوان المناسب"[1] ولم يكن هناك حل نهائى لهذه المسألة بالنسبة لبريطانيا ، الا باحتلال تلك الاراضى والسيطرة عليهما سيطرة فعلية . ولكن كانت هناك صعوبات كثيرة تقف دون تحقيق تلك الغاية . اولها الحالة المالية التى كانت عليها الحكومة المصرية . وقد عبر كرومر عن ذلك بقوله :-
" ان السودان يعنى الكثير بالنسبة لمصر ولكنه لايرقى الى الدرجة التى قد تؤدى الى افلاس خزينتها وفرض ضرائب غير محتملة على مواطنيهما . "[2] كانت الحكومة البريطانية ستعتمد على حق الخديوى القانونى فى محاولة استرجاع اراضى السودان وعليه كان لابد من فتحها باسمه . وقد كان اللورد كرومر يعارض بشدة اى اتجاه للزج بمصر فى اى مغامرة عسكرية من شأنها ان تاتى على كل المجهودات التى بذلها لاصلاح حال الخزينة المصرية والتى كان الخديوى اسماعيل قد اجهدها بالديون . وقد كتب كرومر فى هذا المعنى الى روزبرى يقول :-

---

(1) Zetland : Op.Cit., P. 221 See Appendix A5

(2) Ibid., P. 213 See Appendix A. 6

" ارجو ان الفت نظرك الى نقطة واحدة هامة وهى ان المسألة العسكرية فى الواقع مسألة مالية ،وبالتمعن فى المشكله المصريه كلهما نجد انه لايمكننا فصل المسائل الماليه عن المسائل السياسيه . " (١) وكان امل الحكومة البريطانية ان تظل ايطاليا وغيرها من الدول خارج حوض النيل الى أن يأتى اليوم الذى تستعد فيه مصر ماليا وعسكريا لاسترجاعه ،او ان تكون حكومة المهدية قد انهارت من تلقاء نفسها بمرور الزمن من جراء الانقسامات الداخلية فى السودان.

وفى خطاب شخصى من بيرنج الى بارنجتن فى ١٩ يناير سنة ١٨٩٠ أيقول معبرا عن ذلك بقوله :-

« اذا كان هو-سالسيرى لايستطيع الوصول الى اتفاق مع الطليان على اى حال فيجب عليه مماطلتهم وايقافهم خارج حدود السودان لسنين قليلة يكون السودان فى خلالها قد عاد لسيطرة مصر دون مشقة . ان تدهور المهدية يسير بخطى اسرع مما توقعت وخوفى الان -كما كان من قبل - هو ان نجد انفسنا مضطرين لحل مسألة السودان هذه قبل ان يأتى الوقت المناسب لحلها . وما دام حوض النيل لم تسيطر عليه قوة اخرى فانه يمكننا التأنى لاختيار الوقت المناسب لنا. "(٢)

ولكن تاتى الرياح بما لاتشتهى السفن . فان الحكومة البريطانية وجدت نفسها مضطره لحمل الجيش المصرى على اتخاذ خطوات عسكريه فى حوض النيل بالرغم من الصعوبات المالية . وذلك قد املته بعض الاعتبارات الدبلوماسيه الملحة على بريطانيا (٣) فقد هزمت ايطاليا فى الاول

---

(1) Zetland = Op. Cit. P. 228 See Appendix A.7
(2) Salsbury Papers, Egypt 1890 ,Baring to Barington, Private 19th. Jan 1890.

" Coppied from extracts collected by Dr. G. Sanderson, Univ. of Khartoum 1961."
See Appendix A.8
(3) W.L. Langer : Op.cit., ch.IV & IX and and also.
.Shibeika : British Policy in the Sudan

من مارس سنة ١٨٩٦ فى موقعة عدوة فى اثيوبيا ، وقد حتم ذلك على بريطانيا ان تقوم ببعض التحركات العسكرية لارضاء ايطاليا ، التى تحتاج لصداقتها لتقوية موقفها الدبلوماسى فى اوربا كما ان تحركات فرنسا وبلجيكا فى بحر الغزال كانت قد اقلقت بريطانيا .

وقد فكرت الحكومة البريطانية فى اول الامر بأن تقوم ببعض التحركات العسكرية فى جهة طوكر وشرق السودان ، وذلك لقرب تلك الجهات من اثيوبيا والجهات التى بها الجيش الايطالى (١) ، ولكن رؤى عدم جدوى هذه الحركة واستبدلت بفكرة الزحف فى وادى النيل نفسه ، حتى ((تصطاد عصفورين بحجر واحد)) " كما قال لورد سالسبرى رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين فى خطابه الى اللورد كرومر فى ١٣ مارس ١٨٩٦م

" ان القرار الذى اتخذه المجلس بالامس كان الدافع له هو الرغبة فى مساعدة الطليان فى كسلا ليمنع الدراويش من نصر قد تكون له عواقب وخيمة ، وبالاضافة لذلك يمكننا اصطياد عصفورين بحجر وان نستعمل نفس المجهود الحربى لدفع الحدود المصرية خطوات الى الامام فى حوض النيل ، ولهذا فاننا نفضل هذه الحركة على اى حركة اخرى فى جهات سواكن او كسلا لان الثانية لانجنى من ورائها اى فائدة . " (٢)

وبهذا بدأت الاستعداد للزحف نحو دنقلا وبعدها احتلال بقية اجزاء السودان الاخرى .

وقبل منتصف الليل فى الثانى عشر من مارس سنة ١٨٩٦ وصل الى كتشنر تلغراف يفيد بأن الحكومة البريطانية قد وافقت على زحفه بالجيوش المصرية لاحتلال عكاشه . (٣) فبدأ كتشنر فى عمل

---

(١) هذه الفكرة كان الداعى لها هو اللورد كرومر وكان دائم التحسين لها

(2) Marquess of Zetland : Op. cit., P. 213, & See Appendix A.

(٣) يذكر لانجر " بان الامر قد وصل الى كتشنر فى الثالثة صباحا من يوم ١٣ مارس
Langer : Op. cit. 285

الترتيبات اللازمه للقيام بذلك ،وفي يوم ١٤ مارس سنة ١٨٩٦ استدعى الاحتياطي ،وفي يوم ١٥ مارس طلب من " هنتر " ان يرتب فرقة تكون مهمتها استلام عكاشه ،وفي يوم ١٨ منه بدأ الزحف ،واستلمت عكاشه في يوم ٢٠ من مارس ١٨٩٦ ،وبدأت بذلك تحركات جيش كتشنر . وقد اتخذ كتشنر كل الاحتياطات لضمان نجاح حملته هذه ،فقد حشد عددا كبيرا من الجنود فكون كتيبتين مصريتين جديدتين هما الكتيبة الخامسة عشر ، والكتيبة السادسة عشر ،ارسلت احداهما الى سواكن بدلا من الكتيبة التاسعة السودانية ،التي كانت هناك والتي ارسلت الى حوض النيل . وفي منتصف ابريل ١٨٩٦ كان قد تم له حشد احدعشر الف جنديا في وادي حلفا . وقد اولى كتشنر كثيرا من اهتمامه لمسألة الغذاءات بالنسبة للجنود والعمال الذين يعملون في خط السكه الحديد ،فقد كان يشرف على توزيعها بنفسه ،وقد اوكل مهمة جمعها للكولونيل روجر . وقد كانت هناك ضائقة في العيش في مصر في سنة ١٨٩٥ ،وكانت المحصولات في سنة ١٨٩٦ قليلة جدا ، ولكن كتشنر اشترى اربعة الاف طنا من الذره والف طنا من الشعير من الهند وروسيا ،ليبدأ هذه الحملة . وتم تخزين كميات كبيرة من الغذاءات في اسوان ،ولم يسمح لاى احد باخذ شئ منها الا باذن خاص من السردار مباشرة ،وكذلك الحال بالنسبة للمخزونات في وادي حلفا . (١) اما المواصلات فقد فطن كتشنر

---

(1) W.S. Churchil : The River War ,London 1933 , P. 179 .

لاهميتها القصوى فى مثل هذه الحملة ،ولذلك فقد اولاها ايضا عناية شديدة ،اذ أنه شرع فى تنظيم شبكة للمواصلات وتقويتها قبل بداية الحملة فعمل الطوابى المحكمة فى سمنه ، واستولى على بعض الابار الصحراوية ،ثم عمل محطة تموينية فى بليسانه ،ومد منها سلسلة من الخطوط الحديدية والتموية تنقل المعدات والغذاءات الى حلفا ،ومن حلفا الى صرص بالسكه الحديدية ،ومن صرص جنوبا بالجمال • واشترى حوالى الاربعة الاف وخمسمائه جملا لهذا الغرض • واولى كتشنر خط السكه الحديدية اهتماما خاصا فحشد له عددا كبيرا من الناس والمعدات• وكانت للخط فعالية واهمية قصوى فى نقل الجنود والمعدات والماكولات مما جعل تشرشل يقول :ـ

" ان اهم عنصر فى هزيمة الخليفه كان هو مد خط سكه الحديد"(١) ولم يقصر كتشنر فى المواصلات النيلية فاستفاد من الاجزاء الصالحة للملاحة فيه ،واستجلب عددا من الوابورات النيلية ،وكون منها اسطولا صغيرا كان له اكبر الفعالية فى تنظيم مواصلاته ، وفى زعزعة جيوش الانصار وخطوط امداداتهم • وبالرغم من كل هذه الاحتياطات والاستعدادات فان جيش السودار قد قابلته بعض المشاكل فقد تفشى مرض الكوليرا فى جيشه مما اضطره لوقف الحركه فى خلال شهرى يوليو سنة ١٨٩٦م، كذلك فى اغسطس قتلت الاتربه والرياح كثيرا من الجنود • وفى سبتمبر تحطم اكبر الوابورات من الاسطول عندما كان يحاول تعدى الشلال

---

(1) W.S. Churchil : Op. Cit. P. 163
" The Khalifa was conquered on the railway "

ولكن مع كل هذه الصعوبات فقد استمر كتشنر فى التقدم بجيوشه حتى استولى على دنقلا بعد هزيمة ودبشارة فى موقعة الحفير فى ١٩ سبتمبر ثم اجلائه من دنقلا فى ٢١ سبتمبر ١٨٩٦ ،

بعد استيلاء جيوش كتشنر على دنقلا واجلاء محمد ودبشارة عنها اتضح للخليفة ان " الترك " قد عقدوا عزمهم على التقدم للاستيلاء على اراضى المهدية كلها ويورد يوسف ميخائيل الاتى على لسان عثمان شيخ الدين الى الخليفه عبدالله " يتحدث يوسف ميخائيل عن جلسة جمعت بين الخليفه عبدالله واخيه يعقوب ومحمود احمد وابراهيم الخليل وعثمان شيخ الدين ابن الخليفه الاكبر للتشاور فى امر الدفاع عن اراضى المهدية ضد جيش كتشنر • ولما انفضت تلك الجلسه بقى شيخ الدين مع والده وقال له " اعلم يقين ان الانجليز لهم تار كبير عندك تار هكس وتار غوردون وتارات الانجليز الذين قتلوهم بارض السودان والمصريين لهم تار كبير فى كانت جيوشهم من تركى الى مصرى بخلاف ملك بلادهم وحاضرين الان لاجل اخذ التار وملك البلاد وانت ملك البلاد لا غيرك وانا انصح لك كل شى حيث انى اخبر بحقيقة الحال وقيام هذا الملوك من بلادهم كونه عندى من اعطنى الاخبار وكانت اولاد البلد الذين عليهم المدار عندى ودايما يعطونى الاخبار ولاسيما انى مثالسمع التاريخ وعارف سير الملوك السابقين الذين سلكوا قبلنا ••• "(١)

وجعل الخليفه عبدالله يستعد لملاقاة هذه الجيوش المتقدمة نحوه • ويتضح من استعدادات الخليفه انه كانت تتنازعه فكرتان تارة يتبع واحدة منهما وتارة ينتهج الاخرى حسبما كانت تمليه الظروف • ولم تكن له خطة مدروسة يسير على هديها بخصرة كان يعمل على أن يجمع كل قواه وجيوشها ويتقدم بها نحو الشمال

---

(١) مخطوطة يوسف ميخائيل عن التركيه والمهدية ١٩٢٤ ـ فى دار الوثائق المركزيه لجمهورية السودان •

لملاقاة الاعداء وصدهم قبل ان يصلوا الى " البقعة المنورة " . والفكرة الاخرى هى أن يجمع قواه ويستعد بها فى امدرمان وتحصينها لملاقاة الاعداء هنالك فمثلا فى سنة ١٣١٣ هجريه استنفر الخليفه الناس للجهاد بنية التقدم نحو الشمال اذ صدر الامر فى ١٤ شوال سنة ١٣١٣ الى احمد السنى فى الجزيرة بارسال الجهادية والمهاجرين " والملازميه " وتجهيز الجيوش وارسال الجميع الى البقعة . وقد وصله الرد من احمد السنى فى ١٧ القعده ١٣١٣ بانجاز المهمة (١) كما ارسل الخليفه فى طلب الامير محمود من الغرب ((خفانى)) وعندما تأخر محمود فى الوصول ارسل اليه خطابا اخرا بتاريخ ١٣ القعدة يوبخه فيه ويذكر له بأن احمد السنى والامراء الاخرين قد انجزوا المهمة التى انيطت بهم وكان المرجو من محمود الحضور " خفانى " ولكنه تأخر بالابيض . وقد رد محمود على ذلك فى ٢٠ القعدة سنة ١٣١٣ معتذرا بسبب المرض " قد تشرفنا بامركم المؤرخ له ١٣ الجارى الحاوى طلبنا خفانى لم يكن الا من اجل السرعه فى الحضور ... واننا مع ذلك تاخرنا بالابيض مدة لم نرفع لجنابكم المصلحة التى تشغلنا عن سرعة الحضور .. اما تاخيرنا بالابيض قدر هذه المدة فما كان برضانا ولا تعمدناه ولا اننا متنظرين احد خلفنا ... وانما كان السبب

---

(١) مهدية ١١٨/١/٩/١ من احمد السنى الى الخليفه بتاريخ ١٧ القعده سنة ١٣١٣ .

فى تأخيرنا ابتداء هى مسألة المسيرية بحصول المشغوليه فيها ليلا ونهارا ٠٠ وبعد انجازها صرنا على وشبة القيام فى اواخر شهر شوال ثم حصل لنا لطف من الله تعالى بسداء الدم"(١) كما ان الخليفه امر حموده ادريس بالتقدم من صوارده الى الكرشه ومنها الى فركه لملاقاة الاعداء هناك وصحبه عثمان محمد عيسى "أزرق" ٠

ثم سرعان ماغير الخليفه رأيه الى الخطة الدفاعيه عندما انهزم جيش حمودة ادريس واستشهد فى المعركة حمودة ادريس نفسه (٢) ثم من بعده انهزم جيش محمد بشاره وصحبته مساعد قيدوم فى موقعة الحفير فى الثامن عشر من سبتمبر سنة ١٨٩٦م (٣) ٠ فقد ارسل الخليفه القائد يونس الدكيم الى بربر وكانت الاوامر التى أعطيت له هى أن يجمع كل العيوش والاسلحة والجمال وكل مايمكن للعدو الاستفادة منه ويرجع به الى المتمة ٠ كما امر عثمان محمد عيسى "ازرق " بالبقاء بالجهات الصحراوية لحماية الابار التى بها والمؤدية الى طريق المتمة ٠ وامر محمود احمد باستنفار اهل الغرب للجهاد بعد أن يترك حامية فى دارفور وأخرى فى كردفان ويحضر ببقية الجيش الى امدرمان(٤)٠

ثم بعد أن وصل محمود بجيشه الى امدرمان وجد الخليفه

---

(١) مهدية ١/١٥/٣/١٤٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ القعده سنة ١٣١٣ ٠

(٢) واقعة فركه ٢٥ الحجه سنة ١٣١٣ هـ ٠

(٣) موقعة الحفير ١٠ ربيع اخر سنة ١٣١٤ ٠

(٤) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٥ و٢٧٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اخر و ٢٠ جماد آخر سنة ١٣١٤ ٠

أن " البقعه " قد امتلأت بما لاطاقة لها به من الجيوش، فعاد الى فكرة التقدم مرة اخرى ،وبذلك امر محمود بأن يعسكر بجيشه خارج امدرمان فى كررى ،ثم امره بالتقدم منها نحو الشمال • وعين بعد ذلك محمد الزاكى عثمان أميرا على بربر • واستمر الحال على ذلك بين فكرة التقدم لمقابلة جيوش كتشنر ،وبين التراجع وانتظارهم قرب امدرمان وعليه كانت الاوامر الى محمود تتبع ذلك ،فتارة تصله الاوامر بالتقدم نحو بربر للاستيلاء على المضائق والشلالات التى تقع شمالها للتمكن من الاعداء والنكاية بهم ،وتارة تصله الاوامر بالرجوع جنوبا حتى السبلوقه للتحصن والاستعداد بالقرب من امدرمان ،ثم احيانا يستمد الخليفه بجيشه ويستعرضه خارج امدرمان فى كررى على اهبة الاستعداد لقيادة بنفسه للتوجه به شمالا ،كما ذكر فى خطابه لمحمود بتاريخ ١٢ القعده سنة ١٣١٤ والذى رد عليه محمود بخطابه بتاريخ ٢٧ القعده يعتذر فيه عن التاخير بالغرب ويقول "••• نبدى سيدى انه قد تشرف عبدكم بسرور امركم الكريم المؤرخ له ١٢ القعده المتضمن انه بعد مذاكرتنا من جنابكم بحضور الجيش من كردفان ورجوعنا اليها لم تحضر ولم ترد منا مخابرة وصار ذلك محمولا على التاويل الحسن وان المكرمين محمد البصير والعباس العبيد وعبدالله ابى سن حضروا بمن معهم من جيش الجزيره ورايات دقيم تقدمت بالفعل وان سيادتكم قايمين نحو كرور لاجل نصرة الدين الخ "•(١) ثم يغير رأيه مرة أخرى ويقرر

---

(١) مهدية ١/١٥/٤ /٢٨٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ القعده سنة ١٣١٤ه•

الاجتهاد فى عمل المتاريس والطوابى استعدادا لملاقاة اعدائه فى امدرمان

وقد صار هذا هو طابع السياسه التى اتبعها الخليفه فيما بين سنتى ١٣١٣ــ ١٣١٥ وقد انعكس اثر تلك السياسة فى سير الحملة التى كان يقودها محمود الى الشمال فقد كان طابعها التردد بين الاقدام والرجوع حسبما كانت تمليه الظروف والتكهنات لا بحسب خطة مدروسة واوامر محددة وهدف واضح •

هنالك عامل آخر هام حدد معالم سير هذه الحمله التى قادها محمود الى الشمال وهو عدم ثقة الخليفه عبدالله فى قبائل " اهل البحر " كما يتضح من خطاباته المختلفة التى كان يرسلها لمحمود فى شأنهم " فنعلمك ايها المكرم ان عمال البرابرة واصلون اليك اثر هذا ••• وحيث لايخفاك ان الحزم فى امر الجهاد مطلوب والبرابره جميعهم غير مأمونه ساحتهم الان ولا تعويل عليهم فى امر الجهاد بمفردهم فعند مقابلتهم بعمالهم المذكورين لك قابلهم بالبشاشه ولا يراوضك شيئا فى الظاهر ولكن فى الباطن افتكر لهم غاية الافتكار واحذرهم غاية الحذر وتفقد احوالهم ولا تأمن ساحتهم الى ان ينتصر الدين ويهلك الاعداء ••• " (١) وكذلك " فنعلمك ايها المكرم انا قد اسبقنا لك القول بالتفقد لاحوال عمال اولاد البلد الذين بمعيه على الامين مثل عثمان ازرق(٢)

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/٦٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ •

(٢) هو عثمان محمد عيسى " دنقلاوى " واحد قواد الجيوش وقد خلف حموده ادريس بعد مقتل الاخير فى دنقلا •

وكرم الله (١) وامثالهم والنظر فى ماتراه مصلحة فيهم فمازلت نتفقد احوال المذكورين ولا تغفل عنهم .."(٢) ومرجع عدم الثقة هذا كان الى الثورات التى قام بها الاشراف ضد توليه الحكم بعد وفاة المهدى ، وقد ساندتهم فى هذه الثورات قبائل "اهل البحر". ثم كانت له تجربة معهم فى الحملة التى قام بها عبدالرحمن النجومى ، اذ قابلت كثيرا من الضيق وعدم التعاون من هذه القبائل حتى هدها الجوع واصابها الهزال . ثم أن بعض هذه القبائل قد ساعدت سلاطين فى الهروب من امدرمان عبر الصحراء الى مصر . وقد ادى عدم الثقة هذا بالخليفة الى عدم الاعتماد على هذه القبائل فى ان يقفوا معه مدافعين ضد جيش كتشنر . وعليه فقد صرف عنهم النظر وركز على استجلاب قبائل الغرب "البقاره" الذين كانوا بالجزيرة ، واساسا على الذين كانوا منهم بكردفان ودارفور. وفى طيات هذا كانت تكمن بذور الفتنة التى وقعت فى المتمة فيمابعد . وفى هذا ايضا كانت تكمن عناصر الضعف فى تلك الحملة التى قادها محمود .

---

(١) هو كرم الله شيخ محمد كركساوى وهو دنقلاوى ايضا وقد كان حاكما لبحر الغزال وهو الذى القى القبض على مادبو . ثم تم عزله من بحر الغزال وصار ملازما بالباب فى امدرمان وقد طلبهم محمود ليبقوا معه بعد ان علم بوجودهم ببربر راجع مهدية ١/٢٨/٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/٦٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

كان الخليفه عبدالله قد استدعى عامله محمود احمد " خفانى الى البقعه وعندما تأخر فى الحضور وبخه واستعجله ، وقد رد محمود بالاعتذار فى ٢٠ القعدة سنة ١٣١٣ ، وبانه ينوى الحضور الى امدرمان بسرعه ٠ وعند وصوله الى امدرمان لم يبق فيها طويلا بل أمر بالرجوع مرة اخرى بسرعة لاستنفار الانصار للجهاد ٠ وتحرك محمود من امدرمان وفى يوم ١٥ محرم سنة ١٣١٤ ورد منه مايفيد بأنه وصل الى جهة " الشاتاوى التى منها يكون الوصول الشتيق فى مرحلة واحده ومتوجهين على غاية الاستعجال ومن حط لغاية الوصول ليس لنا تأخير سوى مسافة الطريق بل المسافات نقطعها ان شاء الله فى ميعاد البوسطة المستعجلة وقد تحرر امامنا لسكل الاخوان بالاستعداد وان يجمعوا اطرافهم والمظنون بهم انهم يفعلوا ذلك على الوجه المطلوب ٠٠٠ "(١) ثم يرجو محمود بعد ذلك من الخليفه ان يحيطه علما بما يحدث فى " الجهات البحرية " حتى لاتزداد " المشغولية " بأمرها فتمنعه من انجاز المهمة التى ارسل من اجلها ٠ ثم فى يوم ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٤ ورد من محمود مايفيد اعتذاره عن التأخير بكردفان لانه عندما وصلها وجد أن الاحوال بها غير مستقرة فبقى بها حتى هدأت ٠ وذكر كذلك انه تأخر

---

(١) مهدية ٢٥٦/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ محرم سنة ١٣١٤ ٠

لتوجيه القبائل المتحركة نحو امدرمان للهجرة ،كما اوضح بان ٢٨٩١ رجلا ومعهم ٤٤٠٦ من العائلات قد توجهوا من النهود ، واوضح بانه متوجه ((خفاني)) نحو الفاشر(١) ، وفي يوم ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ ورد منه بانه " لدى وصولنا النهود قابلونا الزريقات الذين حضروا من جهة شكا ... " وايضا برتي والعريقات والمحاميد والمهيرية والنوايبه ، وقد تأخر محمود بالنهود لتنظيم هذه الهجرات (٢) ثم افاد بخطاب آخر بنفس التاريخ بانه "كاتب كل القبائل التي هي حرية بالقيام للهجرة كالحمر الذين بجهة بنقا والذين بجهة كيلك وغيرهما والمسيريه وباقي الزريقات المتاخرين بجهة البحر وجهات شكا والهبانية الذين بالكلكه وداره وغيرهم ." وانه سيستمر في ذلك حتى لايترك شيئا من هذه القبائل " وسيصير ارسالهم بالتوالي حتى يكون طريق الهجرة متصلا بالرجال طائفة اثر طائفة بعون الله تعالى ." (٣) ورغم كل هذا المجهود من جانب محمود نجد الخليفه يرسل له خطابا يستحثه فيه على انجاز المصلحة التي توجه من اجلها اي ارسال الناس للهجره (٤) .

وفي ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ ورد من محمود :- " انه عمل بالحزم كافة القبائل التي بسدارفور هي مظنة خفة الراس والميل الى مايضرها في دينهما مثل برقد وبرتي وفور وغيرهم احضرنا رجالهم معنا ولم نترك احد من

---

(١) مهديه ١/١٥/٤/٢٥٩ـ٢٦٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

(٢) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

(٣) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

(٤) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٣ ربيع اخر سنة ١٣١٤ .

اهـانهم الا (احضرنسـاء) مع الجيش وباقى الناس من العواجز والضعفاء تركناهم مع وكلاء العمـال ولهذا السبب وما نعلمه من اهمية حضور الجيش لم نترك الا من اقتضت المصلحـة تركـه فى البغـازات المعلومة ٠٠"(١) ثم تصل الاخبار الى محمود من الخليفه بأن الكفـرة قد هاجموا محمد وديشاره واجـلوه عن مركز العرضى ، ويطلب منه الحضور بسـرعة " على حسب سابقه الاشاره " (٢) ٠ ويرد من محمود بما يفيـد انـه مجتهد فى الحضور باسرع مايكون ،وانه احضر معـه عوايل الجيش حتى لايفكروا فى الرجوع هاربين من الجهـاد (٣) ٠ ولكن بعد ذلك باسبوع واحد نجد أن محمودا يصله خطاب من الخليفه بتاريخ ٩ رجب يطلب منه التاخير بمركز الابيض الى ان تصله الاشارة من الخليفه بالتقدم مـرة اخرى ، ولكن محمودا يكتب ردا على هذا الخطاب يقول فيه ان مركز الابيض لايسع الجيوش التى معه من ناحية العيوش والمياه ، وعليه فانه قد فرق من وصل منهم بالجهـات وامـر المتأخرين منهم بعدم الوصول بل يصبروا على استعداد فى محلاتهم حتى تصله الاشـاره من الخليفه ،وبعد ذلك يتحرك الجميع على حسب مايرد فيها (٤) ٠ ثم يستمر الخليفه فى سياسة عدم التعجيل لتقدم الجيش هذه فنجده يطلب من محمود فى شعبان سنة ١٣١٤ توجيـه الجيش مع احمد القواد الى الجبال والحضور بمفرده الى امدرمان؟

---

(١) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ ٠

(٢) مهديه ١/١٥/٤/٢٧١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ ٠

(٣) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ ٠

(٤) مهديه ١/١٥/٤/٢٧٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ رجب سنة ١٣١٤ ٠

واعترض محمود على ذلك : " وقد تراء لنا بتوجيه الجيش وحده لايجدى شيئا فى هذا الخصوص ـ كما هو معلوم لنا فى احوال الروساء ولابد بعد التشرف بمواجهة جنابكم نوضح لسموكم تفصيلا بل لوكان الامر فى عدم قضاء الحاجه المطلوبه فقط لكان سهلا وخفيفا ولايمنعنا من توجيه الجيش مع احد الاخوان ولكن خشينا من انه اذا حصل اقل فشل يسرى ذلك وتحصل به اشاعات على ان الجيش اولا فى مقابلة حروب كثيرة ومعدود لمصادمة اعدا لهم عدد وعدة والمحافظة عليه من دخول ادنى فشل امر واجب ..." (١) وعلى ذلك فقد تقرر محمود عدم ارسال الجيش فى اى غزوة وتركه فى محلاته فى كردفان وذهب بمفرده لمقابلة الخليفة فى امدرمان ، ثم رجع منها بسرعه الى كردفان لملاحظة جيشه . بعد ذلك بقليل طلب منه الخليفه فى ١٧ رمضان سنة ١٣١٤ احضار الجيش جميعه والوصول به الى امدرمان " على الحالة التى تسر المؤمنين وتغيظ الكافرين " . وفى غاية ذى القعدة يرد من محمود مايفيد بأنه قد وصل الهلبا وتحرك منها قاصدا النيل الابيض : "انه لقد صار قيام صدكم يوم تاريخه من جهة الهلبا حالة كونه بغاية الخفه ليس معه الا اربعة أو خمسة من الاصحاب وجادين السير نحو البحر وبعد بكره ان شاء الله يتم وصولنا به اما الجيش فقد وصل اكثره بالبحر وكثيرا منهم متاخر بالطريق ..."(٢)

وفى يوم ٦ الحجه وصل محمود الى مشارق امدرمان

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية شعبان سنة ١٣١٤ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢١٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية القعده سنة ١٣١٤ .

وانتظر تكامل جيشه عليه حتى يوم ٨ الحجه اذ جاءه اشارة من الخليفه بان يدخل " البقعه " لادراك العيد بها وان يكون جيشه فى حالة الدخول " على ترتيب بديع ونسق جميل يسر المؤمنين ويغيظ الاعداء وان يكون الجيش جميعه نظيف الثياب " وبقى محمود خارج امدرمان فى انتظار رد الخليفه على بعض الاستفسارات منه فى كيفية الدخول بالجيش :هل يكون على هيئة العرضة؟ ام على هيئة الحرب ؟ واين يكون نزوله ؟ هل بالهجره المواليه له ام فى مكان آخر ؟ ..(١) " وفى يوم ٨ /الحجه دخل محمود بجيشه الى امدرمان وعسكر به فى كررى .

كان الخليفه يعتقد بان اى خطر يأتيه من الشمال سيسلك نفس الطريق الذى سلكه ولسلى فى سنة ١٨٨٥ عندما قاد الحملة التى ارسلت عبر الصحراء لانقاذ غردون وقد قوى هذا الاعتقاد عنده بعد هروب سلاطين فى أواخر سنة ١٨٩٥ عبر الصحراء ايضا . كذلك كانت هناك تحركات " العربان " المناوئه لحكمه ونشاطهم حول الابار التى يطلك الجهات بين المتمة ومروى . وبعد سقوط دنقلا كان الخليفه يعتقد بان جيش كتشنر سيزحف مباشرة على امدرمان سالكا طريق الصحراء الى المتمة أو قريبا منها ،ولذلك صار لزاما عليه تامين المتمة والمحافظة عليها بقوة اذ انها كانت بغازا ذا اهمية قصوى فهى ملتقى الطرق من الصحراء ومن النيل وكانت لها اهمية تجارية وهى عاصمة

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٤و ٢٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ و٨ الحجه سنة ١٣١٤ .

الجعليين الذين هم من اهم القبائل المحاربة فى الشـمال ٠ ولكل هذه الاسباب كان لابد من الدفاع عنها (١) ٠

كان المهدى يعتمد اساسا على اهل الـدار فى الدفاع عن اراضيهم ويولى عليهم احدا منهم لحكمهم ولتسيير امورهم فقد اعطى امارة الشرق لعثمان دقنه ، وفى الشمال كتب بها للشيخ المجذوب ،وقد قسم جيشه على رايـات بحسب القبائل ، وجعل لكل راية رئيسا من اهلها ،وكان هذا رايه حتى مات ٠ وعندما تولى الخليفة عبدالله الحكم من بعده لم تساعده ظروفه لتطبيق نفس السياسة ،اذ ثار عليه الاشراف ،وقد ساعدهم فى ذلك " اهالى البحر " فتزعزعت بذلك ثقة الخليفة فى هذه القبائل ،وصار يعتمد كل الاعتماد على اهالى الغرب فى كل امـوره ٠ وازدادت الشقه اتساعا بينه وبين " اهالى البحر " بعد حملة ود النجومى الى الشمال ،فقد تاكد للخليفه بعدها انه لايمكنه الاعتماد كثيرا عليهم فى حروبه ،كما أن " اهالى البحـر " قد لاقـوا كثيرا من المتاعب من تواجد جيوش النجومى فـى تلك المنطقة ، فقد كانت المنطقة فقيرة قليلة العيوش وقد ضايقهم تواجد جيوش كثيرة بها ،ثم انه حصل خلاف بين أهالى البحـر " واهالى الغرب ممن كانوا يشتركون فى الحملة نفسها ٠

---

(١) وقد فطن محمود الى هذا وفصله فى خطابه الى الخليفه مهديه ٨٢/١/٨/١ بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ حيث قال " ٠٠٠ ان جهة المتمة هى الحزم لكافة الطرق التى هى المظنة لحضـور الكفرة بها كمثل جقدول وطريق القرعاء وطريق ابوحراز ولتوسطها فـى دار الجعليين ٠٠ الخ "

كـذلك راجع ٠ P.M.Holt , Op.cit.P.-213

ثم جاءت بعد ذلك مسألة هروب سلاطين بواسطة بعض "اهالى البحر" فصار الخليفه يتوجس خيفه منهم ويشك فى ولائهم له ويعتقد انهم يتآمرون ضده مع "الترك" وقد كان هناك مايبرر هذا الشك من جهة الخليفه اذ ان كثيرا من اهالى تلك الجهات بدأوا يتخلون عن حماسهم للمهدية (١) كما ان البعض منهم صار على صله مع الجيش المصرى وقد كان قسم المخابرات تحت رئاسة ونجت يتلقى تقارير وافيه عن الاحوال الداخلية فى السودان • وقد ادى عدم الثقه بين الخليفه وبين "اهالى البحر" الى هذا الوضع • فبعد ثورة الاشراف استجلب الخليفه كثيرا من أهاليه البقاره من الغرب الى الشمال ووضعهم فى كل مراكز السلطة الهامة • ولم يرض اهالى الشمال بذلك • كذلك سئم الناس فى الشمال من كثرة مرور الجيوش على اراضيهم مما ادى الى خرابها وابطال زراعتهم وتجارتهم التى كانوا يعتمدون عليها فى أمر معاشهم • ثم حتى بعد استيلاء كتشنر على دنقلا • نجد الخليفه قد ارسل قائده يونس الدكيم وامره بالاستيلاء على العيوش والجمال وكل ماهو نافع للجيش فى المناطق القريبة من بربر • فزاد هذا من حنق اهل البحر على البقاره وارتسمت فى اذهانهم صورة البقارى مقرونة بالسلب والنهب واخذ حقوقهم • ولذلك صار حكم الخليفه مكروها فى جهات الشمال • بل ان بعض اهالى تلك الجهات

---

(١) يذكر ابراهيم فوزى باشا فى كتابه السودان بين يدى غردون وكتشنر الجزء الثانى ص ٢١٤ ان الاسباب التى دعت الخليفه للغضب على على سعد زعيم الجعليين ودفعته الى قتله بالسم هى أنه كان قد طلب منه أن يحضر قبائل الجعليين فى اوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا الى النجومى فى غزو مصر فلم يحضر مع على ود سعد من الجعليين الا القليلون جدا ••

اتجهت انظارهم نحو الجيوش القادمة من مصر لانقاذهم من حكم الانصار • ويظهر ذلك جليا فى التعاون الشديد الذى حظى به قلم المخابرات المصرى ،وفى المساعده الفعالة التى لقيها سلاطين عند هروبه بل أن بعض المصادر تشير الى ان بعض قبائل الشمال صارت تطلب المساعدات من الحكومه المصرية للتخلص من حكم الانصار • ففى الخطاب الذى كتبه بيرنج الى سالسبورى فى ديسمبر سنة ١٨٨٩ يقول " ولكن مهما كان مدى الكراهية لحكم الدراويش عند بعض الطبقات فان اهم القبائل المحاربه ماتزال تؤيد حكم المهدية وهى قبائل الجعليين والبقارة • لكن الجعليين ــ على اى حال ــ قيل انهم بدأوا يتغييرون خاصة بعد موت ود النجومى وقد اتصل بعض زعمائهم حديثا بالكولنيل وودهاوس وتعتقد اوثق المصادر فى مسائل الحدود بأنه لن يمضى وقت طويل حتى يمكن تحول الجعليين من تأييد حكم المهدية "(١)

اما فى التقرير الذى كتبه كتشنر فى التاسع عشر من يونيو سنة ١٨٩٤ والمضمن فى الخطاب السرى الذى كتبه كرومر الى كمبرلى رقم ٩١ بتاريخ ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٤ يقول " الالتفات لامر السودان يأتى هذه المرء من زاوية اخرى من السودانيين انفسهم • عندما تولى عبدالله ودسعد رئاسة قبائل الجعليين القوية فى السودان ارسل احد اقربائه فى الحال

---

(1) Baring to Salsbury ,No 401 ,11 Dec. 1889, P.R.O, F.O., 78/4243 .
Quoted from Shibeika : Op. cit .P.318
See Appendix A.(10)

للتفاوض مع كتشنر وقد طلب عبدالله بان يصدر العفو عن كل ماارتكب من اخطاء فى الماضى ،وان تبقى رئاسة الجعليين عند عبدالله وعائلته من بعده ،وان تكون هناك تعويضات عن الاضرار التى قد تنجم من تعرض الجعليين للخليفه ،وانه عندما يحاصر الجعليون البقاره فى امدرمان ترسل لهم جيوش لترفع روحهم المعنوية • ولايشك كتشنر الان فى أن هناك شعورا متزايدا بعدم الرضا عن حكم الخليفه • ويأمل قريب عبدالله (سعد) بعد اسقاط حكم الخليفه فى ان تطالب القبائل بارسال اداريين بريطانيين : لامن المصريين ولا الاتراك •)) (١)

ولكن يجب الا تدعونا كل هذه التقارير الى الاعتقاد بأن كل القبائل فى الشمال قد أصبحت فى حالة تمرد على حكم المهدية ،وانها تنتظر الخلاص منه على احر من الجمر كما كانت الحكومة البريطانية تتصور ،فهناك الدلائل التى تشير الى ان الناس بعد سنة ١٨٩٠ بدأوا يستقرون ويقبلون بحكم الخليفه ،وقد طلبت بعض القبائل التى كانت قد هربت الى مصر من دنقلا السماح لها بالعوده الى اوطانها كما يتضح من هذا التقرير :-

---

(1) Memoramdum by Kitchener,19 June 1894, enclosed in Cromer to Kimberly, No 91 Secret, 20 June 1894, P.R.O, F.O.87/ 4575 .
Quoted in Shibeika : Op. cit., P.330
See Appendix (A) (11)

١٣ جماد اول ١٣١٢ هـ

" .... وحتى في شهر نوفمبر من عام ١٨٩٥ عندما كان ولفرد شوين بلت في زيارة الى وادى حلفا جماء عدد من الدناقله وطلبوا منه الوساطه لاعطائهم الاذن بالرجوع الى اوطانهم . ومايذكره عن حديثهم معه في هذا الشأن هام وله قيمه اذ يقول :- انهم حدثوني بأنه سيكون هناك " امان " لهم في السودان وان الخليفه يسره رجوع اللاجئين ، وانه يمكنهم استعادة اراضيهم بدون صعوبات وان الكيت صار اخف مما كان عليه ، وان حالهم سيكون احسن هنالك مما هو عليه هنا ... ان الناس لا يعترضهم احد ان هم اكتفوا بزراعة قليل من الافدنه تكفى لمعيشتهم ... وما نستنتجه من حديثهم هو ان استقلال بلادهم عن الحكم (المصرى) فيه كسب لهم اذ به انتهى عهد الضرائب الباهظه . "(1) وفي تقرير المخابرات المصرية عن ديسمبر سنة ١٨٩٢ نجد

جماد اول - ١٣١٠ هـ

شرحا للحالة في السودان حسب المعلومات التي اوردها احد التجار من الجعليين ويدعى مصطفى الامين يذكر فيهما ان الصورة التي انطبعت في الاذهان عن حكم الخليفه وعن بغض اهل السودان له ليست صحيحة ، اذ ان السودانيين قد قبلوا الوضع الذى هم فيه وتقبلوا حكم البقاره ،

---

(1) W.S. Blunt ,My Diaries ,pt.1,1888 to 1900 ,201, London 1921 .
Quoted in ,P.M. Holt .The Mahdist state in the Sudan 1881-98. (London 1958, P. 179 .

See Appendix A (12)

بل أن اهل الغرب أنفسهم قد استوطنوا واختلطوا مع قبائل "اهل البحر " وان الضرائب المفروضه على الناس وان كانت كبيرة الا انها لم تكن اكثر من الضرائب التى كان يفرضها الحكم (التركى) . وعلى حسب اعتقاد مصطفى الامين هذا فان حكم الخليفه قد صار يلقى مؤازرة السودانيين ،وحذر من أن اى هجوم على السودان تقوم به الحكومه المصرية سيلقى معارضة شديدة من نفس القبائل التى كانت تدعوا الى عودة الحكم المصرى . وقال ان تعاطف الناس مع حكم المهدية صار يقوى يوما بعد يوم، وان هناك شعورا صار ينمو بين الناس بان اى تقدم من جهة القوات المصرية يعتبر تدخلا فى استقلال وحرية بلادهم .(١)

وقد اعطى هولت هذه المعلومات التى اخذت من مصطفى الامين اهمية خاصة واورد انها صادقة جدا ،وقال ان مصطفى لم يحاول فيها ان يثنى على الخليفه أو يذمه ، ولا ان يتملق الخديوى بالرغم من انه كان يأمل فى ان تساعده المعلومات التى ادلى بها فى استصدار عفو عن اخية المسجون فى سواكن ،ولم يزد مصطفى عن الادلاء بالحقائق فقط،وقد كانت لاخباره اهمية لانه كان من تجار امدرمان ذوى النفوذ وكان ابن عم لاحمد على قاضى الاسلام وبذلك فانه كان قريب الصلة بالاوساط الحاكمه .(٢)

---

(1) Egypt Intelegence Report No 9 -Dec. 1892 - See Appendix (A)

(2) P.M. Holt ; Op. Cit., P 186 .

صحيح ان الخليفة قد استتب له الامر كما ذكر مصطفى الامين ، وان كل القبائل قد ارتضت حكم المهدية بصورة او باخرى بعد القضاء على ثورة " الاشراف " ولكن هذا القبول لم يرق الى درجة الاندماج فى الوضع والحماس للدفاع عنه ان دعا الحال ، وصحيح ان الاحوال قد هدأت فى الشمال وان الذين كانوا قد هجروا ديارهم ولجأوا الى مصر فى اوائل ايام حكم المهدية قد بدأوا فى العودة الى اوطانهم ، ولكن ذلك لم يكن يعنى ابتهاجهم بالاوضاع ، وصحيح انهم شعروا ان نظام الضرائب الذى فرضته عليهم حكومة المهدية اقل تعسفا من ذلك الذى فرضته عليهم الحكومة التركية ، الا ان ذلك لم يكن يعنى اكثر من قبولهم له على انه اخف الضررين. ومن ناحية اخرى فان الخليفه بالرغم من استتباب الامر له لم يطمئن الى ولاء " اهالى البحر " ولا يتطرق اليه الشك فهو دائم التتبع لا عمالهم وفى حذر شديد من ناحيتهم ، بل كان يأمر قواده بالحذر كذلك من رؤسائهم فنجده يكتب لمحمود فى هذا المضمار فيقول : " فنعلمك ايها المكرم ان عمال البرابره واصلون اليك اثر هذا .. وحيث لا يخفاك ان الحزم فى امر الجهاد مطلوب والبرابره جميعهم غير مأمونة ساحتهم الان ولا تعول عليهم فى امر الجهاد بمفردهم فعند مقابلتهم بعمالهم المذكورين لك قابلهم بالبشاشه ولا يراوءك شرا فى الظاهر ولكن فى الباطن انكر لهم غاية الانكار واحذرهم غاية الحذر وتفقد احوالهم ولا تأتمن ساحتهم الى ان ينتصر الدين ويهلك الاعداء " (١)

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/٦٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

ولهذا فان الخليفة لم يكن بمقدوره الرجوع الى الطريقة التى اتبعها المهدى فى الاعتماد على اهالى المنطقة فى الجهاد وفى الدفاع عن منطقتهم ، فاضطر الى الاعتماد على جيش من غير اهالى المنطقة يقوده امير من اقربائه .

والحملة التى قادها محمود نحو الشمال فرضتها هذه الظروف التى املت على " اهل البحر " قبول حكم المهدية دون الحماس له ودون الرغبة فى الدفاع عنه ، بل تركوا ذلك " للبقارة " ولسان حالهم يردد القول السودانى السائر " ياضايقين حلوها ، مرها ضوقوه "(١) واملت على الخليفة فرض جيوش غريبه على المنطقة فنتج عن ذلك ماتعرضت له تلك الحملة من صعوبات ، وماتعرض له اهالى تلك المنطقة من متاعب ، وهنا تكمن بذور الفتنة التى ادت الى واقعة المتمة والتى كان لها اسوأ الاثر فى الاستعدادات لمقاومة جيش كتشنر ، والتى ماتزال اثارها باقيه فى النفوس الى اليوم .

عندما احس الخليفه بالخطر الذى يهدد حكمه باستيلا كتشنر على دنقلا استقر رأيه على ارسال جيش لمقابلته فى الشمال واستقر رأيه كذلك على ان يتولى قيادة ذلك الجيش ابن عمه محمود احمد .

---

(١) يجب الا يدعونا ذلك الى الاعتقاد بان اهالى البحر " كلهم قد امتنعوا عن الدفاع بل ان هناك كثيرا من القبائل التى حاربت ضد كتشنر ، وان هناك كثيرا من الامراء الذين ماتوا فى المعارك منهم مثل العطا اصول فى عطبره .. ولكن العبء الاكبر وقع على البقاره .

ولد محمود احمد بالكلكه ((دار البهابه))

بجنوب غرب دارفور وسمى " جبريل " بن احمد وهو ابن عم للخليفه عبدالله اذ انهما يلتقيان فى جدهما على فهو جبريل بن احمد بن على ، والخليفه اسمه عبدالله بن محمد بن على (١)، وقد فات الامر على رتشارد هل " R. Hill " الذى ذكر بأن محمود هو أبن اخ للخليفه عبدالله (٢) ويظهر ان الذى قاده الى هذا الاعتقاد هو ان محمودا واخواته وابناء عمومتهم الاخرين تبعوا الخليفه عبدالله " على طريقة المهاجرية الشيعه عند اهل الغرب حتى اليوم " للبحر واشتهروه كوالدهم وكانت معاملته لهم على هذا الاساس اذ كان هو دليلهم واكبرهم، وفى حالة محمود بالذات فانه قد رباه على يديه حتى جعله اميرا . وقد حضر محمود مع الخليفه لمقابلة المهدى فى اوائل ايام الدعوة المهدية مع كثير من ابناء عمومته الاخرين ، ولما قابلهم المهدى لم تعجبه بعض اسمائهم فاختار لهم اسماء غيرها سماهم بها ، فتغير اسم جبريل الى محمود والطيورى " احد امراء محمود فى عطبره واسر معه " تغير اسمه الى محمد فضل الله (٣) ويشير محمود الى هذه التسميه بواسطة المهدى فى خطابه الى الخليفه بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ اذ يقول ... " بل منذ ما سمانا المهدى بمحمود .. الخ (٤)

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/١٠٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٣ جماد اول سنة ١٣١٥ ـ فنعلمك ايها المكرم انك العون على الدين والاخ والنفس وابن العم ... الخ "

(2) R.Hill Biographical Dictionary of the Anglo Egyptian Sudan 2nd Ed. (Oxford 1951)

(٣) مهديه ١/١٥/٣/٢١١ بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٣ كشف بيان الاحوال الخ تجد اسم الطيورى مقرونا بـ " صحته محمد فضل الله .

(٤) مهدية ١/٨/١/٢١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ .

وتربى محمود تحت رعاية الخليفة منذ صغره ،ولازمه حتى صار الخليفه له بمثابة الاب ،وفى ربيع اخر سنة ١٣٠٨ اختاره الخليفه ليكون اميرا على الغرب (١) ـ كردفان ودارفور ـ خلفا للمرحوم الامير عثمان ادم " جانو "، الذى كان قد توفى فى صفر سنة ١٣٠٨ بداء " اب دم السحائى (٢) بعد عودته من غزوة الى دار البرقو، التى ذهب اليها بعد ان انهى حركة ابى جميزة . وعندما تولى محمود امارة الغرب وجد ان كثيرا من المشاكل الكبرى قد انتهت ، ولكن كانت هناك مشاكل اخرى مازالت تنتظر الحلول . فقد وجد ان كثيرا من جهات كردفان قد طوعها حمدان ابوعنجه ، ففى سنة ١٣٠٣ مثلا طوع الحوازمه وجبال تقلى وقدير وجبال النوبه وغيرها ثم جرد محمد خالد زقل الذى كان اميرا على دارفور وظهر منه مايشم عن تهمة التمرد على الخليفة ابان ثورة الاشراف ،كذلك انتهت حركة مادبو وقتل فى سنة ١٣٠٦، وكذلك انتهت حركة الشيخ صالح زعيم الكبابيش وقتل، وانتهت حركة يوسف بن السلطان ابراهيم الذى كان زقل قد خلفه فى دارفور وقتل فى سنة ١٣٠٧ ، ثم اخيرا انتهت حركة ابى جميزة فى سنة ١٣٠٨ . وعندما تولى محمود الامارة كانت كردفان هادئه تقريبا الا من بعض الحركات البسيطة فى الجبال من بعض النهابين ومهربى الاسلحة .

---

(١) مهديه ١/١٤/١/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ ربيع اخر سنة ١٣٠٨ .

(٢) نعوم شقير " جغرافية وتاريخ السودان دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٧ ـ ص ٤٦٥ .

امـــا فى دارفـــور فقـد قضـى محمـود جل وقـته بين سنـة ١٣١١ وسـنة ١٣١٣ فـى محاولة فـرض سـلطـة المهدية على كثير من قبائلهـــا مثل الفـور والبـرقـو والمسـاليت والقمر والـزغـاوة والفـرتيت وغيرهـــا من القبـــائل .

كان محمـود عندما تولى الامـارة صـغير السـن " ٢٦ سـنة تقـريبا " (١) ولم يقبل كثـير من عمـال الارباع هذا الامـر ، وكثير منهم ممن عاصروا امارة سـلفه عثمان ادم جانو لم تعجبهم رئاسة محمود عليهم واختـلفوا معـه وكثـرت شـكواهم منه الى الخليفه ، كما انه اشتكى كثيرا منهم للخليـفه ايضـا وعزل بعضهـم عن ارباعهم وارسـل البعض منهم الى امدرمان (٢) . وقـد اسـتمر خلاف بعضـه معهم الى ان حضـر بجيشـه الى امدرمـان متـوجهـا نحو المتمة فتخـلفوا عنه وبقـوا فـى امدرمـان . ومن هؤلاء حلبى المحسون والذى يعتبر خالا لمحمـود فى النسـب ، وقـد ادى الخلاف بينهمـا الى حبس حلبى المحسـون ثم عزله عن ربعـه فيمابعد (٣) .

---

(١) لايمكن تحديد السن بالضبط لانه لاتوجد اى معلومات ثابته تحدد تاريخ ميلاده ولكن وضع هذا السن بالتقريب راجع R.Hill. Biog Dic.Op.cit. P 224 .

(٢) مهدية ١/١٥/٣/٢٣٤ بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٣ من محمود الى الخليفه تم عزل امبدى الرضى ابراهيم الشريف وحلبى المحسون . كذلك راجع مهديه ١/٨/١/٢٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ صفر سنة ١٣١٥ بخصوص حلبى المحسون وعلى البايه .

(٣) مهديه ١/١٥/٣/٢٢٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ جماد اول سنة ١٣١٣ ، ومهديه ١/١٥/٣/٢٥٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ جماد اول سنة ١٣١٣ .

ولكن رغم صغره ،ورغم ما لاقاه من خلافات من عمال اربابه ، ومن ثورة الجبادية عليه ،(١) فان الفترة التى قضاها فى الغرب كانت حافلة بالنشاط والغزوات خصوصا فى دارفور ،وقد عمل كثيرا لاظهار سطوة المهدية فى تلك البقاع ،ولكنه فى نفس الوقت احدث زعزعه شديده للقبائل التى تسكن فى الغرب ،والجدير بالذكر ان هذه القبائل الى تمت زعزعتها هى نفسها القبائل التى كان يعتمد عليها الخليفه فى مساندة حكمه . وفى خلال السنين التى قضاها محمود فى الغرب سنة ١٣٠٨ الى سنة ١٣١٤ لم تبق قبيله من قبائل الغرب الا وقد وصلتها جيوش المهدية وزعزعتها وقتلت رجالها او ارسلتهم الى الجهاد وغنمت محصولاتها وحيواناتها ،وقد شمل ذلك الرزيقات بنى هلبه ،المسيريه ،التعايشه ،الحوازمه ، الهبانيه ، الجوامعه ،الكبابيش ،الفور ،البرقو ،المساليت ،القمر، زغاوة ، وكثيرا من القبائل الاخرى (٢) ،ولكن بالرغم من كل هذه الزعزعة للقبائل وتشتيتها فان الاستاذ موسى المبارك يذكر فى رسالته بان فترة حكم محمود فى الغرب كانت (بالمقارنة لما سبقها) فترة سلام حتى ان الناس هناك كانوا يسمونه " محمود عسل " بالمقارنة لسلفه " عثمان بصل " (٣) ولم تتوقف زعزعة هذه القبائل عند حد فرض سيطرة المهدية على اراضيها بين سنة ١٣٠٨ والى سنة ١٣١٣ بل ان محمود عاد مرة اخرى لاخذ رجالها للجهاد فى سنة ١٣١٤

---

(١) تمرد عليه الجبادية فى سنة ١٣٠٨ راجع مهدية ١/١٤/١/٨٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ الحجة سنة ١٣٠٨ .

(٢) انظر الكشف المرفق Appendix A13 وفيه ملخص للاعمال التى قام بها محمود كما يرويها فى خطاباته للخليفه .

(٣) راجع رسالة الاستاذ موسى المبارك للماجستير عن تاريخ دارفور السياسى والتى توجد نسخه منها بمكتبة جامعة الخرطوم ،ص ١٤٧ .

عندما طلب منه الخليفه ذلك .

ارسل الخليفه في طلب الامير محمود الى امدرمان " خفياني " ،وقد وصل محمود ومن معه الى " البقعــه " في السابع من ذى الحجه سنة ١٣١٣ (١) ولم يبق بها طويلا اذ ان الخليفه طلب منه الرجوع حالا لاستنفار القبائل للجهاد ،فقام في محرم سنة ١٣١٤ قبل ان يقضى شهرا كاملا منذ حضوره . وقد قضى سنة ١٣١٤ كلها في انجاز المهمة التي اوكله الخليفة بها وجعلها كل همه ، وضيق على الناس في الغرب اشد التضييق ليجبرهم على الحضور للجهاد ،ولم يترك حيله من الحيل الا واتبعها معهم لاجبارهم على الحضور معه ،حتى انه اخذ عوائلهم معه حتى لايفكروا في الرجوع (٢) وعندما ترك محمود امدرمان في محرم سنة ١٣١٤ كان يعرف ان الغرض الذى طلب من اجله احضار الجيوش من الغرب هو تطور الاحداث في الشمال ولكنه لم يكن يعرف تفاصيل تلك الاحداث ،وعليه فسانه طلب من الخليفه ان يعرفه بها حتى يكون على بينه من امره ويطمئن قلبه " ... انا سيدى منذ قيامنا من جنابكم فاننا في غاية المشغولية حيث تركنا واردات الجهة البحرية يرد منها مايدعى الالتفات لامرها ومايكون كذلك يمنعنا القرار ونعدم معه الاصطبار وفي مثل هذه الحالة لولا الاشارة الكريمة لما رضينا بمفارقة سيادتكم

---

(١) مهدية ١/١٥/٣/٢٥٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ الحجه سنة ١٣١٣ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/١/٢٧٠/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ .

ولا الاشتغال بشئ سوى مايكون نحو الجهة التى بها الاشتغال ولكن نظرا للاشارة ولان حركتنا فى ذلك من باب المساعدة فى الدين رضينا ولكن قابضين على الجمر من شدة الافتكار فان رءا (رأى) سيادتكم ان يفرج عنا بادامة تعريفنا بما يتم فى ذلك ففيه الراحة والامر اليه ..."(١) ويفكر مشغول باخبار " الجهة البحرية" شرع محمود فى تنفير القبائل وجمعهما لتكوين الجيش الذى سيتبعه اليها ،وفى ٢٨ ربيع اول ارسل كشفا ببيان بعض من جمعهم من الرزيقات والعريقات والبرتى والذين وصل عددهم الى ٢/٨٩٠ مجاهدا ومعهم ٤/٤٠٦ من العوائل (٢) ،ووصله رؤساء المسيرية الذين ارسلهم الخليفة لاستنفار اهاليهم، كما انه طلب من الربع الذى كان قد ارسله الى شكا ان يرجع لينضم الى الجيش " من اجل المصلحة الدينية "(٣) وكاتب القبائل : " نهدى سيدى ان عبدكم منذ حضوره بهذه الجهات فى هذه المرة لم يزل متلفتا ليله ونهاره فى ظعنه وقراره الى مابه اتساع امر الدين وادخال العباد فيه بمهما امكن من الاوجه الموصله الى تمام المراد ومن ضمن ذلك فاننا فى هذين اليومين ارسلنا وكاتبنا كافة القبائل التى هى حرية بالقيام للهجرة كمثل الحمر برينقا والحمر الذين بجهة كيلك وغيرهما من جهاتهما

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٥٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ محرم سنة ١٣١٤

(٢) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٤

(٣) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٠ الى ٢٦٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

وكمثل العسيرية الذين بجهة الخلا وكمثل باقى الرزيقات المتاخرين بجهات البحر وجهات شكا وكمثل الهبانية الذين بالكلكه والذين بداره وغيرهما وكلا منهم قررنا له من الدعاية بالترغيب والاعتناء بامره ماهو كفيل بقيامه وقطع علايقه ان شاء الله تعالى فى هذه الايام وفى عزم عبدكم ان يستمر الاجتهاد فى امر الهجره حتى لايترك شئ من هذه القبائل التى هى مظنة الرغبة فى الدين والصبر فى جهاد الكفرة المعرضين وسيصير ارسالهم بالتوالى حتى يكون طريق الهجره متصلا بالرجال طايفة اثر طايفة ٠٠٠"(١) وفى خطاب اخر يوضح للخليفه مدى اهتمامه بهذا الامر يكتب ردا على خطاب ورد له من الخليفه بتاريخ ١٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ مستفسرا عن عدم وصول الاخبار من محمود وعن الامر الذى ارسل محمود لاتجازه فيقول " ٠٠٠اما المصلحة التى توجهنا فى شأنها فلم يكن لنا اشتغال اناء الليل واطراف النهار غيرها ولم ندع شيئا فى طاقتنا ومعرفتنا فى تدريب القريب والبعيد وحزم امره الا فعلناه بحمد الله تعالى ولم نزل على ذلك بدون ادنى فتور ولا قصور ان شاء الله حتى يتم المرغوب كما الاشاره

---

(١) مهدية ٢٦٥/٤/١٥/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ ٠

الكـريمه التى تلقيناها من جنابكم وقريبا نرفع لسيادتكم نجازها وتمامها على مايسر الخاطر الكريم ونحظى فيه الرضاء المستديم ٠٠٠٠ كذا سيدى انه من ضمن الاحوال التى يجب رفعها لجنابكم ان قد تواتر لنا من الغرب بان جهة بنى هلبة صارت مشحونة بالقبائل المحضرين من الغرب سودان وعربان ٠٠٠ " (١) وزاد اهتمام محمود بأمر الجهاد وجمع القبائل اكثر من ذى قبل عندما ارسل له الخليفه خطابا بتاريخ ٢٤ ربيع اخر سنة ١٣١٤ باخبار " الجهة البحرية " ٠٠٠ المتضمن بان اعداء الله الكفرة حاربوا المكرم محمد بشاره بمركز العرض ورفعوه من البحر وانك تحضر بالجيش على حسب سابقه الطلب قد تشرفنا بوروده ولاخبر ماحواه احطناه علما والحال سيدى انه قد حصل الاهتمام بالحضور من عدكم اهتماما لايقر له معه قرار حتى صار قيام الجيش جميعه على احسن حاله وصار قيام عبدكم بعده كما توضح فى غير هذا ولكن هذه الواقعة قد شغلتنى سيدى وامرضت فكرى وابلغتنى من الاهتمام بشأنها حالة لايعبر عنها ومنذ ورود الخبر الينا لم نطعم النوم ولم نعل الى شئ من الراحة فى ليل ولا نهار وماذاك من شئ سوى اننى اخشى ان يسبقونا هؤلا الكفرة يهلكهم الله قبلنا " (٢) ٠

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اخر سنة ١٣١٤ ٠

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ ٠

وتحرك محمود بجيشه الذى جمعه متجها نحو البقعه ، وقد اوضح ان الاسباب التى اجبرته على التاخير هي كثرة الامطار ، وانه رأى ان المصلحة تقتضى ان يتأخر لانه لو تحرك فى تلك الاونة بالجيش فان الناس لن يقوموا معه للجهاد فى زمن الخريف لانعدام الغلال . ولذلك فانه تأخر ووصل الى الفاشر فى مدة شهرين من الشهود ، وكان فى خلال هذه المدة قد كتب للانصار بالفاشر بالاستعداد وجمع القبائل هناك لمقابلته . وعندما احضرت له القبائل واخبرهم بانه ينوى اخذهم للتشرف بمقابلة خليفة المهدى " .... ارتجعوا جميعا فرأينا اننا اذا دعوناهم مرة اخرى فعلى فرض الحضور لابد أن يرتجعوا كما فعلوا فى المرة الاولى وتركهم بهذه الحالة مما لايوافق ولا تقبله المصلحة والمؤمن يجبر على رغم انفه ولم نرى فى اوجه الحزم ابلغ من قيامهم بعايلاتهم وتسليم كل طايفة منهم الى احد الارباع لغاية وصولها وبالمفاوضة مع رؤسائهم اعنى عمال اهل الوطن ومع الاخوان خاصة فالجميع قد وافق لديهم ذلك وصار العمل بموجبه والحالة هذه تاموا جميعهم وتوجهوا امامنا منذ ايام ."(1) ولم يتمكن محمود من حصر اعداد الجيش الذى قام معه ولكنه يوصفه بانه جيش كبير جدا " ... فان اوله الان بكردفان واخره قريبا من دارفور هذا فى الطول واما العرض فان حده من الصعيد المجلد دار الحمر اذ هى طريق المكرم الختيم موسى وربع الشهيد محمد جوده ومن جهة الشمال حده داركاجه وهذه الطرق جميعها مشحونه بفضل الله تعالى خيلا ورجالا وايضا لابد من الزيادة فى جهات كردفان لان قبائلها تبعا للارباع وفيها من رجال الحرب اناس كثيرون وبفضل الله تصل لصوبكم على حالة جميلة وفى العزم

---

(1) مهدية ١/١٥/$\frac{٤}{١}$/$\frac{٢٧٠}{١}$ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ .

ان ذلك لايحدل عيدكم اذ مانبهنا سابقا ولاحقا من فحوى الاشارات لاينبغي التاخير بعده ولا تعليقه نفس عندكم ونسأل الله الاعانة والتوفيق والرشد ببركات جنابكم امين " (١) وارسل محمود كتبا بالقبائل التى حضرت معه للجهاد من دارفور " وقد بلغ عددها تسعة وخمسين قبيلة كلها حضرت من دارفور مستجده بخلاف قبائل كردفان .. "(٢) ولما وصل محمود بجيشه الى الابيض طلب منه الخليفه ان يترك الجيش هناك ويحضر للمقابله معه بسرعه فحضر فى نهاية شعبان وتشاور مع الخليفه فى الطريقة التى يحضر بها ذلك الجيش ومن يتركه ليحافظ على الامن من ورائه . ورجع بعد ذلك الى الابيض مرة اخرى فى ١٧ رمضان سنة ١٣١٤ ، وحسب الاوامر التى ترود بها فانه قد ترك الختيم موسى ومعه الجهاديه التى كانت مع الجيش ، وكذلك ترك اغلب عوائل الجيش بباره ومعها المكرم عيسى زكريا ومعه قليل من الانصار كما ترك بعض العوائل فى اماكن اخرى من كردفان مثل امدم وغيرها " بحيث لا تخلوا جهة من جهات كردفان من بعض العايلات ماعدا جهة الصعيد وقد تركت هذه العوايل وليس معها الا القليل الذى لايكون اقل منه من الاصحاب للمحافظة عليها . "(٣) وتحرك بالجيش فى ٢٧ القعده سنة ١٣١٤ متوجها نحو امدرمان .

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ شعبان سنة ١٣١٤ .

(٣) مهدية ١/١٥/٤/٢٨٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ القعده سنة ١٣١٤ .

ولم تكن هذه المرحلة من مسيرة الحملة سهلة بالنسبة لمحمود ، فقد قابلته فيها صعوبات كثيرة فى المحافظة على الجيش من الرجوع ، وظل يحافظ عليهم بشتى الطرق ، ولكن ذلك ادى الى تأخيره بعض الشئ ، فارسل اليه الخليفة يؤنبه على ذلك التأخير ويقول له بأن " المكرمين محمد البصير والعباس العبيد وعبدالله ابى سن قد حضروا بمن معهم من جيش الجزيره وان رايات دقيم قد تقدمت بالفعل ... وان الخليفة نفسه متقدم نحو كررى للجهاد "(١) ويصف محمود الصعوبات التى قابلته بقوله " ... انه بحسب مايعلمه داعيكم فى اهمية نزول الجيش بكامل عدته فمنذ رجوعنا لكردفان باذلين جهدنا ليلا ونهارا فى جمع البعيد منه وفى تقديم من نخشى ارتجاعه والمحافظة على من تقتضى المصلحة المحافظة عليه الى غير ذلك من اوجه الحزم .... " ولكن رغم ذلك " ... بلغنا ليلة البارحة بالتواتر ان كثيرا من الانصار ارتجعوا الى جهة باره والى مركز الابيض والبعض تأخروا بجهة ام درم باسلحة نارية وخيول ..)) ويعتقد محمود ان ترك هؤلاء قد يؤدى الى ارتجاع الاخرين وان هؤلاء انفسهم لم يكن رجوعهم الا لمفسدة وانه يرجو من خليفة المهدى ان يكتب الى الختيم موسى وعيسى زكريا وعبدالقادر رحمه بضبطهم وارسالهم وارسال كل من يرجع بعد ذلك وان يكتب لهم الخليفة بما يحسم هذا الامر(٢)

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٨٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ القعده سنة ١٣١٤ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٩٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ الحجه سنة ١٣١٤ .

وهكذا وبعد جهد وتدبيـــر وباستعمال الكثـير من اســـاليب الضغط والممــارسة اســتطاع محمود ان يصل بحمـلته التى اراد لها الخليــفة مقابلة جيوش كتشــــنر فى الشـــمال • وقـــد قطـعت هذه الحمـــلة فى مســيرتها الاولى من الغرب مـــئات الاميـــال ودخلت فى كثير من المـــدن والقـــرى واحتكت بالكثـــير من القـبائل والاجنـاس وتركت اثـــار مسـيرها فى كل الرقـعة التى سـارت عليها حتى وصـولهـــا الى امدرمـــان الا ان المرحـــلة الثـانية من مســيرة هــــذه الحمـــله ـــ من امدرمـــان الى عطـــبرة ـــ هى التى تركت الاثر الاكبـــر ومازالت بعض اثـارها باقـيه فى نفـوس الناس الى يومنا هذا وان نسـى كثـير من الناس ماخلفته تلك الحملة فى النفـوس من ذكريــات عنـد نزولهـا بالابيـــض وبــاره وامدرم وتضييقها عـلى قـبائل الحسـيرية والحمـر وغـيرهم فان نزولها بالمتمـــة وتضييقـها عـلى قـبائل الجعليين واهالى بربر وغـيرهم من قبائل " اهل البحـر " مـازالت ذكراه باقـيه الى يـومنا هذا •••" وواقــعة المتمـــة " هى اول مابدأت به هذه الحمـله المـرحلة الثـانية من مســـيرتهـا ••••

الفصل الثاني

واقعة المتمه

في يوم ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ كان محمود يتسأهب للقيام ليلحق بجيشه الذي كان قد تقدم قبله الى الشمال . وهو في ذلك اذ ورد اليه خطاب من رؤساء الارباع بجيشه يخطرونه فيه بعصيان عبدالله ولد سعد على المهدية : " بسم الله الرحمن الرحيم الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وعلى آله مع التسليم وبعد فمن عبيد ربهما على السنوسي والبشاري ريده وصلاح ابو وعبدالقادر دليل الى حضرة سيدنا المكرم محمود احمد نصره الله امين . بعد تقبيل الايادي الكرام نعلم سيدي انه بنهار الثلاثاء الموافق ٢١ الجاري قد نزلنا بجهة مديسيسه ولد حامد الساعة من النهار وبتنا بها ولغاية العشاء من الليل قد حضروا لطرفنا ادريس ولد حمزه وابكر ولد على وبيدهم بوسطة لنا من احمد حمزة التوم السعدابي يذكر فيها انه بيوم الاثنين الموافق ٢٠ محرم هذا أن عبدالله ولد سعد قد اصبح منافقا وخالف الله ورسوله والمهدي وخليفته عليهما السلام وجاهر بالعصيان فنعوذ بالله من ذلك . وحيث ان المذكور صار كافرا فعندما قرأنا الجواب الوارد لنا من احمد حمزة المذكور قمنا ليلا ساعة تاريخه وتوجهنا على بركة الله تعالى لنحو المتمة باستعداد ونية صادقة لانه والله ان كان المتمه وغيرها وكافة اعداء الله فيها لاتقاومنا ودين الله منصور

وعـدو مقهور ولا يبـلغكم الا كل خـير وبعون الله تعالى نقطع دابـرهم قـبل لحوق المتـاخرين اى ان ذلك فهو مـقصـدنـا ونسـأل الله تعالى النصرة والمعونـة وذات ولـد حمزه الـذى حضـر بالبـوسـطة واصـل لجنابكم سـيدى والسـلام " (١)٠

وكان جيش محمود عندما تحرك من امدرمان قاصدا المتمـة يسـير نحوها فى طمأنيـنة ، ولم يكن يتوقع اى مواجهة مع اهاليهـا وكانت مـقـدمة الجيش قـد وصـلت الى قريب مـن المتمـة عـلى غـير استعداد للحرب ، الى ان اوقفـهم احمـد حمـزه (٢) وارسل يحذر روساء الارباع : " بسم الله الرحمن الرحيم الحمـدلله الوالى الكريم والصـلاة والسلام على محمد واله مع التسليم وبعد فمن عبد ربه احمـد حمزة التوم السعدابى الى المكرم الاكبر سـيدى عـلى السـنوسى والبشـارى ريـده ٠ وجلاح ابو وعبدالقادر الـدليل امـراء الاربـاع حفظهم الله وتولاهم امين ٠

بعد السلام احبـابى نعرفكم انه يوم الاثنين الموافـق عشـرين محرم ان عبدالله سعد فى اصبح منافقا ومخالف للمهدية ونحن خاطبنا خليفة المهدى بذلك واتونا الاخـوان رحمـة ومحمـدين ومن معهم متوجهين الى المتـمة بدون خبر فلمـا اتونـا عـرفنـاهم ورجعنـاهم اليـكم فالبعض منهم توجهوهم لوصـول البوسطة والبعض منهم يقـوم معكم الينـا ليوصـلكم لمنزلنا والسلام " (٣)

---

(١) مهديه ٢/٣/٨/١ من الامراء الى محمود بتاريخ ليـلة محـرم سنـة ١٣١٥ ٠

(٢) وهو جعلى من الانـتـرياب ومن اقـرباء عبدالله سعد وكان اخـوه محمـد حمزة احد عمال وايـمات محمد بشارة وكان اميرا على قبـائل الشـرقا ٠ راجع فى ذلك : Egypt. Int. Rep. No. 48, 22nd May to 21st June 1896, Annex 3 and Egypt Int. Rep. No. 49, 22nd June to 18th. Aug. 1896

(٣) مهدية ١/٣/٨/١ من احمد حمزة الى على السنوسى بتـاريخ ٢١ محـرم سنـة ١٣١٥ ٠

ومن جهة اخرى ورد خطاب من وادى بشارة من مرشود امبدى وسيداحمد وقيع الله وهما وكلاء الربع التابع لمحمد بشاره مؤكدا ماأورده احمد حمزه فى خطابه ، فهم يكتبون الى اميرهم : " .... وبعد فمن عبدى ربهما مرشود امبدى وسيداحمد وقيع الله الى سيدنا المكرم محمد بشاره كان الله له امين .

بعد اهدا جزيل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم نعلمك الى المكرم انه فيتاريخه (فى تاريخه) الساعة من ليلة الاربعاء ٢٢ الجارى قد بلغنا اكيدا بان عبدالله سعد قد اغراه الشيطان وارتد عن المهدية ونكص على عقبه وجاهر بالعداوة وسل سيفه وعرض بالمتمة وقصده محاربة المهدية وذلك امر بوق شتاوه الازليه اعاذنا الله والمسلمين من ذلك وها نحن ارسلنا مخاصيص من طرفنا للجهة لكشف الصحيح من احواله واحوال غيره من اهالى الجهة فعند عودتهم سنرفع الامر بما يتضح ولمعلوميتكم بما اوضحناه لزم ترقيمه ونحن فيغاية (فى غاية) التحزب والاستعداد سيدى السلام ... وقد قيل ان عبدالله المذكور اول وصوله المتمة ركب خمسة جمال الى العربان وناس ولد الفزارى وخمسه جمال ايضا قد ارسلهم الى الكفرة وحينئذ نحن فيحالة (فى حالة) تحرير هذا قد بلغنا ان اثنى باشات حضروا بجهة جقدول والله اعلم بالحقيقة وكذا ارسلنا فيتاريخه (فى تاريخه) لتلك الجهة من اجل كشف الخبر وبذا لزمت الحاشيه " (١)

وتحذير احمد حمزه لرؤساء ارباع جيش محمود

---

(١) مهديه ١/٨/٣/٤ من مرشود امبدى وسيداحمد وقيع الله الى محمد بشاره بتاريخ ليلة ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ .

كان له اكبر الاثر فى تنبيههم عن غفلتهم وشروعهم فى الاستعداد اللازم لمواجهة الموقف بما يقتضيه ٠ واول ماقعلوه هو ارسالهم فى طلب الذخيرة التى لم يكن الجيش يحمل منها ما تقتضيه الضرورة فكتبوا الى محمود :
" بعد تقبيل الايادى الكرام سيدى انه لايخفاك حال الجيش من عدم الجبخانه ولذلك وانه لاهمية الامر الذى عرفناكم عنه توجهنا بما معنا من الجبخانه القديمه التى بايادى الانصار وحيث ان امر الجبخانه فهو ضرورى وسيادتكم اعلم بذلك فالامل بوصوله لجنابكم اسعافنا بالجبخانه الكفاية واما نحن بعون الله تعالى خلاف العتمة مايكون لنا وقوف دونها على مقتضى اشارة سيد الجميع خليفة المهدى عليه السلام وان شاء الله تعالى بالموجود عندنا من البارود تنصر دين الله تعالى ولو بالحراب والعكاكيز ولا يبلغكم الاكل خير والقصد حضور الجبخانه فقط وفى ذلك فالامر مفوض لسيدنا وساعة تاريخه الساعة من الليل عرفنا لنحو العتمة كما عرفنا سيادتكم والسلام "(١)
كما ان تحذير احمد حمزه كان له اثر كبير فى نفس محمود الذى رأى ان تاخيره عن جيشه بعد حدوث ذلك الامر فيه شئ من التراخى ولكن ذهابه الى الجيش بدون ان يحمل لهم معه ذخيره ايضا لا يجدى فكتب الى الخليفه والى يعقوب اخى الخليفه وامين بيت الامانه لاسعافه بها "٠٠٠٠٠٠

---

(١) مهدية ١/٨/٣/٣ من على السنوسى وآخرين لمحمود بتاريخ ليلة ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ ٠

بحسب ماعلم لنا من احوال عبدالله سعد لم نستبعد ماانسب اليه وقد صرنا على عزم جد المسير ومداركة الامر بمهما امكن الا ان الجبه خانه امرها ضروري وقد تحرر منا الى سيدي المكرم يعقوب بن محمد باسعافنا بها ونرجو مع الموافقة ان تكون ماية صندوق بالبر اعنى ترسل على الجمال لسرعة الاسعاف لانها مفقوده عندنا وعند عموم الجيش بل الذي بلغنا يوم تاريخه ان اول الجيش من الاصحاب وصل بالمتمة ولذا صار امر الجبه خانه لايكن اهم منه ٠ (١) كما ان محمود زيادة منه في الاحتياط رأى ان يامر رؤساء الجيش بعدم دخول المتمه قبل ان يصل هو بنفسه اليهم" ... واما وصول الجيش للمتمة فلم يتحقق عندنا وانما بلغنا بدون حقيقة وقد ارسلنا مخاصيص الى رؤساء الارباع بان الحركة اذا كانت حقيقة ينتظرونا ولا يصلوا المتمة وذلك لعدم الجبه خانه وان لم تكن حقيقة يصلوا فيها مع غاية الحزم ٠٠"(٢) كذلك عبر عن قلقه مما وصله من اخبار مع عدم وجود الذخيره بقوله " نبدى سيدي ان اجوبة الاصحاب هذه وان كانت تفيد شدة الحزم منهم وعدم مبالاتهم بهذه الحركة لكن داعيكم في غاية الشفقة لوجهين اولهما عدم الجبه خانه لان الذي ذكروه منها لايفي بالصرف لهم وجه وجه وثانيهما ان عبدالله سعد وان كانت حركته ضعيفة لكن الحسبه من ان يكون له مكر وخداع لم يدروك عندنا ونرى ان تاخيرنا بعد هذه الحاله لا يمكن ابدا

---

(١) مهدية ١/٨/١/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

ولحوقنا بالجيش ضرورى جدا ولكن وصولنا لهم بدون الجهة خاله لايجدى شيئا ولذا حررنا هذا راجين الاسعاف ولاجل معرفة ماعليه داعيكم من المشغولية والاهتمام باللحوق هذا والايادى دامت مقبله والسلام " (١)

اما لماذا قرر احمد حمزه تحذير محمود وجيشه بعصيان عبدالله سعد فامر يحتاج الى نظر وبحث • (٢) وقد كنا نعتقد ان السبب هو تطلع احمد حمزه الى رئاسة الجعليين ، وقد دفعنا الى هذه الاعتقاد ماذكره كتشنر فى تقريره السرى فى ١٩

١٤ الحجة ١٣١١ هـ

يونيو سنة ١٨٩٤ والمضمن فى خطاب سرى من كرومر لكمبرلى

١٥ الحجة ١٣١١ هـ

فى ٢٠ يونيو سنة ١٨٩٤ ، من انه بعد تولى عبدالله سعد رئاسة قبائل الجعليين ارسل رسولا الى كتشنر للتفاوض معه ، وقد كان من اهم مطالب عبدالله سعد ان تظل رئاسة الجعليين عنده ثم فى بيته من بعده ، مما يدل على ان عبدالله سعد كان عنده احساس بان هناك من كان ينافسه فيه من الجعليين السعداب من غير اهل بيته • ولكن كل من ناقشت معهم من اهل تلك المنطقة من الكبار .. استبعدوا ان يكون الدافع هو ان احمد حمزه كان يطمع فى رئاسة الجعليين ، كذلك استبعدوا ان يكون الدافع لذلك خلافات شخصية بين وبين عبدالله سعد و

---

(١) مهديه ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٣١٥ •

(٢) يذكر نعوم شقير " جغرافية وتاريخ السودان بان عبدالله سعد " جمع كبار قومه واسر اليهم ما نوى فمن وافقه ضمه الى جيشه ومن لم يوافقه استحلفه على كتم السر "

والمرجح ان يكون احمد حمزه مثله مثل بعض اهالي المنطقة من الجعليين وغيرهم ممن اتفقوا مع عبدالله سعد على ان مرور جيش محمود بجهتهم فيه غاية الضرر بها الا انهم اختلفوا معه في الاسلوب الذى يجب ان يعالج به ذلك الامر ورأوا ان الطريقة التى اقترحها عبدالله سعد فيها بعض التهور (١) • واذا كانت اكثر قبائل الشمال "اهل البحر" قد بدأ حماسها للمهدية يقل منذ ايام حملة الامير عبدالرحمن النجومى ،واذا كانت قبائل الجعليين بالذات قد بدأت تتخلى عن المهدية منذ موت زعيمهم على سعد (٢) ، فان ذلك لم يصل بهم الى الدرجة التى يفكرون فيها العصيان والثورة عليها •(٣) وقد عرف محمود هذا اذ كتب للخليفة "•• وان شاء الله لايحصل شئ الا نصرة الدين لان عبدالله سعد وان كان نفاقه لايح بين عينيه من هنا والسموع فيه كثير لكن لاتجدى حركته لمقاصده شيئا اذ الكفرة لا نصرة لهم ولا لغيره ومع ذلك جهتهم بعيده وبعيد ايضا ان يدركوه وكذا الجعليين نفسهم ولو المشهور متابعتهم له في اقواله وافعاله لكنهم جميعا لايرضوا هذه الحالة ونرجو الله ان يرميه هو فى التيفي وان يهدى من يريد هدايته من الجعليين• "(٤)

---

(١) كثير ممن تحدثت معهم من شيوخ تلك المنطقة والذين عاصروا تلك الفترة مثل الشيخ عبدالكريم الفاضل وهو ممن اشتركوا مع عبدالله ودسعد فى العصيان اتفق رأيهم على ان على ودسعد كان رجلا عاقلا جدا ولكن عبدالله اخاه لايخلو من بعض التهور والاندفاع •

(٢) هناك اعتقاد بين اهل المنطقة بان على سعد قد مات مقتولا بالسم الذى وضعه له الخليفه فى طعام الكبده النيئة• ويذكر ابراهيم فوزى باشا فى كتابه "السودان بين يدى غردون وكتشنر الجزء الثانى مطبعة المؤيد مصر ١٣١٩ هـ ص ٢١٤ " رواية قريبة من هذه • راجع النص فى Appendix B(1) •

(٣) تورد المخابرات المصرية تقريرا عن هذه الحالة التى كان عليها الجعليون فى :- Egypt. Int. Rept. No. 44, 1896
راجع النص فى Appendix E
Appendix B(2)

(٤) مهدية ١/٨/١٧/٦/٦/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣

وقد كان قرار عبدالله سعد بالعصيان مفاجئا حتى لهم/ ان بعضهم تشكك فيه كما يذكر محمود فى خطابه للخليفه شارحا ذلك " ٠٠٠٠ هذا وبعد مقتل ولد سعد وجدت مكاتبات فى جيب جبته واردة اليه من رسله الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين فى امره ومثلهم عربان الحسانيه ٠"(١) والقرار الذى اتخذه احمد حمزه انبنى على اساس ان فكرة العصيان هذه فيها كثير من التهور وعدم تقدير العواقب ، وانه مثله مثل بعض زعماء الجعليين الاخرين وقبائلهم قد تشكك فى جديتها وقرر معارضتها ٠

عندما قرر عبدالله سعد اعلان العصيان على المهدية والوقوف امام تقدم محمود احمد لم يكن ذلك تنفيذا لأمر مدبر تم التخطيط له من قبل واتفقت الاراء على اجرائه ، ولا كانت حركته جزءا من مخطط للاطاحة بحكم المهدية ، فلم يكن عبدالله سعد قد عمل لهذا الامر من قبل ولا استعد له ولا هيأ الاذهان له ، وقد يكون محمود محقا فى اعتقاده بان هذه الحركة قد بدأها عبدالله سعد بعد رجوعه الى المتمة من امدرمان : " ٠٠ هذا وبعد قتل ولد سعد وجدت مكاتبات فى جيب جبته واردة اليه من رسله الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين فى امره ومثلهم عربان الحسانية ورسله يوعدوه بحصول النجح فى رسالتهم ٠ وعلم من ذلك ان هذه المسالة

(ـ ١) مهدية ٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٥ ٠

لم يكن لها اساس سابقة وانما ابتداها بعد رجوعه من البقعه المنيرة ..." (١) ولذلك فانها جاءت مفاجاة للخليفه ولمحمود ولاهالى المنطقة وللجيش الغازى • ولم يكن ذلك فى مصلحه عبدالله اذ ان اهله لم يتمكنوا من ارسال المساعدات له ولم يكن هناك الوقت الكافى لتصله اى امدادات من فرق جيش كتشنر التى كانت بدنقلا " .. اما احوال المخذول ولد سعد فلم ياتنا منها شيئ مفصلا ولكن المشاع انه لم يحضر اليه احد لا من العربان ولا من الكفره وان اهالى الجهات بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يتاتى لهم الاجتماع عليه وبلغنا ايضا ان الحركة خاصة بجهته والله اعلم .."(٢) وقد فطن محمود الى مواطن الضعف هذه فى حركة عبدالله سعد " ... وماذكره (عبدالله سعد) من موافقة القسمين له على العداوة امر وهمى لديه وان كان دخلوا معه فلا ينفعوه بشيئ لأن كل احد منهم لايقدر ان يفوت اولاده وماله ويأتى الى المتمه وبغير هذا من الفشل له مالا خفاء فيه وان شاء الله تعالى قريبا يذهب امره ويصير عبرة للمعتبرين ."(٣)

وبالرغم مما ظهر لمحمود من ضعف الحركه الا انه لم يتهاون فى امرها بل كان حذرا كل الحذر واتخذ الاحتياطات اللازمه

---

(١) مهدية ١/٨/١/٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٥ •

(٢) مهدية ١/٨/١/١/٣/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ •

(٣) مهدية ١/٨/١/١/٣/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ •

ولاهالي المنطقة وللجيش
عبدالله اذ ان اهله
يكن هناك
كثير

لم يكن لها اسـ

من البقعة المنـور

مناجاة للخليفه ولمحمود

الغازي . ولم يكن ذلك في مصلحة

لم يتمكنوا من ارسال المساعدات له ، ولم

الوقت الكافي لتصله اي امدادات من فرق جهد

التي كانت بدنقلا " .. اما احوال المخذول ولد سعد

فلم ياتنا منها شيء مفصلا ولكن المشاع انه لم يحضر

اليه احد لا من العربان ولا من الكره وان اهالي الجهات

بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يتاتى لهم

الاجتماع عليه وبلغنا ايضا ان الحركة خادة بجهته

والله اعلم .. "(٢) وقد فطن محمود الى مواطن الضعف

هذه في حركة عبدالله سعد " ... وماذكره (عبدالله

سعد) من موافقة القسمين له على المصاوة امر وهمى

لديه وان كان دخلوا معه فلا ينفعوه بشيء لأن كل

احد منهم لايقدر ان يفوت اولاده وماله ويأتى الى

المتمه وفي هذا من الفشل له مالا خفاء فيه وان شاء

الله تعالى قريبا يذهب امره ويصير عبرة للمعتبرين . "(٣)

وبالرغم مما ظهر لمحمود من ضعف الحركة

الا انه لم يتهاون في امرها بل كان حذرا

كل الحذر واتخذ الاحتياطات اللازمة

---

(١) مهدية ٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٢/٣/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٣/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

لمواجهتهما " ٠٠٠ ان عبدالله سعد وان كانت حركته ضعيفة
لكن الحسبة من ان يكون له مكر وخداع لم ندركه عندنا "(١)
٠٠٠ . كما ان هذه الحركة كانت تشكل خطرا كبيرا
على فرق جيش المهدية التى كانت فى الجهات الشمالية
فرق المتمة فى جهات بربر وابى حمد ، وقد هدد عبدالله
سعد فعلا بقطع مواصلات هذه الفرق "٠٠٠ يذكروا انه
كاتب الكفرة مرارا وعرفهم بانه يسد طريق بربر على
الانصار الذين بها حتى لايصلوا الينا الى غير ذلك مما
ابلغوه لنا الرسل شفاها ٠٠٠(٢) وقد حاول فعلا قطع
ذلك الطريق اذ انه تمكن من قبض بعض الانصار من جماعة
بربر وحبسهم بالمتمة حتى دخلها محمود فوجدهم بها "٠٠
انه من قبل دخولنا بالمتمة كان حضرت مركب من بربر
فيها جماعة من الاصحاب الذين كانوا مع المكرم يونس الدكيم
والهالك عبدالله سعد مسكهم وارسل بعض روسايهم للكفرة
وقد خلصهم الله الجميع فاهم المسجونين خلصوا فى يوم
الواقعة والذين سفروهم لدنقلا تخلصوا فى الطريق حيث
حاربوا الكفرا وخرجوا منهم وبالوقوف على مقدارهم بلغوا
الاربعين نفر مجاهد من اولاد عرب وجهادية وكشف اساميهم
واصل فى طى هذا ٠٠"(٣)

وتخوف محمود من حركة المتمة اكثر مما يجب ، واتخذ
من الاحتياطات اكثر مما كانت تتطلبه تلك الحركة ، فشدد

---

(١) مهدية ١/٨/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١/٣/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ .

فى طلب الجبخانه ، واوقف المواصلات بينه وبين الفرق التى فى بربر وفوق ذلك طلب روساء الارباع الذين تقدموا قبله ان يزيدوا فى الحذر " .. وقد تحرر لهم منا باخذ الحذر ليلا ونهارا وان الطلائع التى يرسلوها تكون فى غاية الاحتراز .. "(١) كما انه طلب منهم الا يدخلوا المتمه قبل وصوله لهم "... نبدى سيدى انه لوجوب الاخذ بالحزم فى كل الامور والاحتياط فى امر الحرب دون غيره من الشئوون كان فيما حررته منا الى الاخوان روساء الجيش اشرنا لهم بانهم اذا لم يسبق دخولهم بالمتمه قبل وصول محررنا فالاولى ان ينتظروا وقد كان ووصل اليهم الامر وهم على حالة القيام من الهوبجى فتاخروا على موجبه حالة كونهم مستعدين ومنتظرين لقدومنا ونحن لم نحرر لهم بذلك الا لعلمنا بعدم الجبه خانه عندهم وان يكن بطرفهم منها شئ فهو كالعدم والحرب بدون جبه خانه عرضه للفشل كما معلوم ."(٢) وقد تردد محمود كثيرا وتلكأ قبل ان يصل الى جيشه بكل ذلك زيادة فى الحذر حتى تتم كل الاحتياطات . ولم يلحق محمود بجيشه الا بعد ان كتب له الخليفه يستفسره عن سبب تأخيره وحثه على الاسراع بمقابلة عبدالله سعد " .. فنعلمك ايها المكرم ان المبادرة الى الاخذ بالحزم فى امور الجهاد من المهمات وان المخذول عبدالله سعد

---

(١) مهدية ١/٨/١/٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

ولم يكن الخليفه ليتحمل تردد محمود فى استلام المتمه لانها كانت بالنسبه له مكانا هاما جدا لوضعها الاستراتيجى فى ملتقى الطرق الخارجه من الصحراء ومن بربر على النيل ومن الشرق وقد كان الاعتقاد السائد حوانها ستكون المكان الذى ستكون فيه المعركة ضد جيش كتشنر (١) ولذلك فان الخليفه كتب لاهاليها منشورا يطلب فيه منهم ان يأخذوا كل ممتلكاتهم وحاجياتهم ويتحولوا بها لاى جهة يريدونها بالشرق ليبتعدوا عن طريق الجيش (٢) وقد استدعى زعيم الجعليين عبدالله سعد مع أخرين من زعماء القبائل الاخرى مثل حسنين برى من المكابراب ومحمد العجيل من الكبوشاب والشيخ ود الازرق من الشعديناب

---

(١) الدافع لهذا الاعتقاد هو تاريخ الحملة التى ارسلت لانقاذ غردون فقد حضر قسم منها بطريق آبار جقدول عبر الصحراء والقسم الاخر عن طريق النيل والتقيا فى المتمه حيث دارت هنالك معركة ضد جيش المهدية الذى كان يقوده النور عنقره • راجع تفاصيل هذه المرتعه فى : نعوم شقير "جغرافية وتاريخ السودان ص ٨٤٣ • "

(٢) P.M.Holt : A calendar of the Correspondance of the Khalifa Abdallahi and Mahmoud Ahmed Khartoum 1950,P.9

يورد نص هذا المنشور مترجما الى اللغة الانجليزية انظر Appendix B.

ويذكر انه موجود ضمن مخطوطات المهدية تحت رقم مهدية ٢ / ٦٠ وقد بحثنا فى دار الوثائق المركزية لجمهورية السودان من هذا المنشور فلم نوفق فى العثور عليه ولكن مايسمع من الروايات عن اهالى المنطقة يؤيد احتمال وجود مثل هذا المنشور فالناس يوردون على لسان عبدالله ودسعد انه قال " حارقانى قومة تمسر من شندى " على اساس انها كانت لتبرير رفض هذا الامر

وغيرهم وذلك لتبلغيهم بخبر مرور جيش محمود بمناطقهم لتسهيل مهمته وقد كانت هذه هى عادة الخليفة التى اتبعها من قبل عندما قرر ارسال حملة الامير عبدالرحمن النجومى فى سنة ١٣٠٦ اذ انه استدعى زعماء القبائل للتشاور معهم . ولكن فى هذه المرة كان غرض الخليفة الاساسى هو التبليغ بمرور جيش محمود اكثر من التشاور ويظهر ذلك من ان الخليفه كان قد طلب تنفير القبائل فى الغرب وفى الجزيره للجهاد ولكنه لم يطلب قط تنفير قبائل الشمال لذلك الغرض بل العكس اذ انه كتب لمحمود ".. والبرابره جميعهم غير مامون ساحتهم الان ولا تعويل عليهم فى امر الجهاد ".(١) وبعد مقابلة للخليفه مع بقية زعماء تلك المنطقة رجع عبدالله ودسعد الى المتمة وهناك اعلن العصيان على المهدية " وعرض " استعدادا لمحاربة جيش محمود المتقدم نحو الشمال . اما لماذا جاهر عبدالله سعد العصيان وماهو السبب المباشر الذى دفعه لذلك فانه لم يتحدد بعد بصور قاطعة ولكن هناك روايات كثيرة تذكر فى هذا الصدد نذكر هنا بعضها .

يذكر تشرشل رواية قريبه جدا من قصة المك نمر مع الامير اسماعيل ~~الخديوى~~ باشا كامل واثر قصة المك نمر واضح جدا فى رواية تشرشل هذه فهو يقول ان الخليفه كان قد عقد العزم على ارسال جيش كردفان الى المتمة ليجبرهم اما على الطاعة او على العصيان قبل ان تصلهم الجيوش الغازية فاستدعى زعيم الجعليين عبدالله ودسعد

---

(١) مهدية ١/٨/١/٦٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

الى ام درمان واخبره بان منطقة الجعليين تهددها جيوش " الترك " وانه سيرسل الامير محمود وداحمد للدفاع عنهم ويتوجب على عبدالله ان يبرهن ولاءه للمهدية بتجهيز المؤن والعمل على راحة جيش المهدية .. وقد احتج عبدالله بانه مخلص للمهدية وان قبيلته لها المقدرة الكافية لصد جيوش " الترك " وطلب من الخليفه ان لا يثقل عليهم بارسال جيش لتلك المنطقة خصوصا وانها منطقة قد هدها الفقر وسوء الازمان التى توالت عليها . وقد غضب الخليفة غاية الغضب من هذا الحديث ولم يستطع السيطرة على عواطفه وانفجر فى سيل من الاتهامات والسباب لعبدالله سعد واخبره بأنه يشك فى ولائه منذ مدة بعيدة وانه يحتقر اساليبه وانه يستحق ان يموت ميته مشينة وانه وقبيلته سبة على وجه الارض وانه يأمل ان ياتى محمود ليعلمهم الادب هم وزوجاتهم ... وانسحب عبدالله سعد من مجلس الخليفه ورجع الى المتمة وهو فى حالة شديدة من الغضب والاستياء وجمع زعماء القبيله واخبرهم بما دار بينه وبين الخليفه وبنية الخليفه بارسال جيش محمود . وكان هذا كافيا ليقنعهم بضرورة العصيان على المهدية والانضمام الى الجيوش الغازية . وبهذا فان عبدالله سعد كتب خطابين احدهما معنون الى السردار وصل الى جنرال رندل فى مروى فى ٢٤ يونيو سنة ١٨٩٧م (٢٢ محرم ١٣١٥هـ) اعلن فيه عبدالله ولاءه للحكومة المصرية وطلب فيه اسعافهم ببعض الامدادات بالجيش ان امكن او السلاح وانتهى بقوله انه ان اتتهم مساعدة او لم تاتهم فانهم مصممون على مقاتلة جيش المهدية والدفاع عن المتمة حتى الموت واما الخطاب الثانى فقد كان معنونا الى الخليفه يتحداه فيه ويعلنه فيه بالعصيان الى آخر القصة التى اوردها تشرشل والتى نورد ترجمه لها هنا :-

((وطد الخليفه عبدالله عزمه على ارسال جيش كردفان للاستيلاء على المتمة ومن ثم يجبر قبيلة الجعليين للخضوع أو يدفعها دفعا الى العصيان والثورة من قبل ان تصل الجيوش المصرية وتتمكن من مد يد المساعدة ٠
واستدعى الخليفه زعيم الجعليين عبدالله ودسعد الى امدرمان وقال له ان الترك يهددون ارض الجعليين ، وانه حيا فى الخير لهم لانهم من انصار المهدى وانهم من المسلمين الصادقين فانه يجب الدفاع عنهم من اعدائهم الترك الغزاة ٠
واحنى زعيم الجعليين رأسه موافقا ، واضاف الخليفه قائلا ان محمودا وجيشه سيتم ارسالهم الى المتمة لهذا الغرض ، وان عبدالله يمكنه ان يثبت ولاءه بتجهيز المؤن والاقامه لهم ثم اشار الخليفه بنهاية المقابلة ٠ ولكن زعيم الجعليين كانت عنده الجرأة التى تمكنه من الاحتجاج فاكد للخليفه ولاء ومقدرة قبيلته على صد اعدائها ، ورجاه الا يثقل عليهم بفرض جيش ليقيم فى منطقتهم وبالغ فى وصف سوء الحالة فى المتمة وجور الزمان عليها ، ثم طلب العفو من الخليفه لانه تجرأ بمثل ذلك الاحتجاج ٠
وتملك الخليفه الغضب حتى اخرجه من وقاره ولم يستطع كبح عواطفه فشرع فى حديث طويل مسىء قال فيه انه ظل يتشكك فى ولاء عبدالله منذ امد بعيد ، وانه يستحق الموت المشين ، وان قبيلته وصمة فى جبين هذه الارض وانه يرجو ان يصلهم محمود ليؤدبهم ويؤدب نساءهم ٠ وانسحب عبدالله من مجلس الخليفه وهويتميز غيظا ورجع الى المتمة ٠

وبعد ان جمع شيوخ قبيلته اخبرهم بما حدث له ومنوايــــا الخليفه . ولم يكونوا بحاجة لتعريفهم بأن نزول جيش محمود بالمتمة كان يعنى التســلط عليهم ونهب ممتلكاتهم ، وخراب بيوتهم واغتصاب نسائهم . واتفقوا على العصيان والانضمام الى القوات المصرية . " (١)

والرواية الثانيه فى سبب عصيان عبدالله ودسعد يرويهــا اهل المنطقة نفسها وفيها كثير من محاولة ابعاد التهمة والخطا من عبدالله ودسعد واظهار الخليفه بالرغبة فى التشفى وسوء النيه واستعمال كثير من اساليب "الدكتاتورية " ومحاولة رمى كل الخطـــأ والتهمه عليه فيقولون ان الخليفه استدعى عبداللهودسعد الى امدرمان وكان ينوى ان يقتله بدس السم له فى " الكبده النيــه " مثلما فعل مع اخيه على ود سعد من قبل ، ولكن كانت هناك صداقة حميمة بين عبداللهودسعد وبين عثمان شيخ الدين ابن الخليفه عبدالله حتمت على شيخ الدين هذا باخطار عبدالله سعد بالمؤامرة ومساعدته فى الهروب الى المتمة ليلا وعندما وصل عبدالله الى اهله اخبرهم بماحدث له " فعرضوا " معه واعلنوا عصيانهم على المهديـــة ويتفق مع هذه الرواية مارواه ابراهيم فوزى باشا فى " ذكر موت الحاج على سعد " حول قصة قتل على سعد بدس السم له (٢) كذلك رواية أهالى المنطقة هذه يتفق معها يوسف ميخائيل فى مسالة الهروب مع انه يختلف معهم فى ان الذى ساعد عبدالله ودسعد فى الهــروب هو يعقوب اخو الخليفه بعد ان رشاه بمبلغ من المال : (٣)

وفى الروايتين المذكورتين نقطة لابد من مناقشتها وهى ان خروج عبدالله ودسعد فى كلا الروايتين فيه على دعوة الخليفــــة

---

(١) W.S. Churchil : Op. cit. P.P. 187-8.
See Appendix B 3

(٢) ابراهيم فوزى باشا : السودان بين يدى غردون وكتشنر مطبعة المؤيد مصر سنة ١٣١٩ هـ الجزء الثانى ص ٢١٤ .
انظر النص الكامل فى Appendix B. 4

(٣) مخطوطة يوسف ميخائيل عن التركية والمهدية ١٩٣٤ ص ١٠٤
" مسالة المتمة : انظر النص : Appendix B 5 .

للريبة في امره ويجعله حذرا من ناحيته وكل ذلك يفرض على الخليفة ان يحذر جيشه الذاهب الى الشمال قبل ان يصل المتمة وان يمده بالاسلحة ويجعله مستعدا لكل الاحتمالات ففى الرواية الاولى خرج عبدالله سعد متسللا من مجلس الخليفه وذهب للمتمة وهو فى حالة شديده من الغضب اما فى الثانيه فانه خرج هاربا بالليل وبمساعدة ابن الخليفه نفسه ولكن مع كل مايدعو الى الريبة فاننا نجد أنه جيش الخليفه قد ترك امدرمان وتوجه الى المتمة وهو فى غاية الاطمئنان والاسترخاء غير متوقع لاى شىء من جهة عبدالله سعد فقائدة محمود مازال بكسررى عندما وصلوا الى الهويجى قريبا من المته ولم تكن معهم الذخيرة الكافية عندما علموا بخبر عصيان عبدالله ودسعد .

والرواية الثالثة هى رواية نعوم شقير التى يقول فيها " ... هذا وكان الخليفه لما علم بانهزام ودبشاره من دنقلا استدعى اليه عبدالله ودسعد امير الجعليين وفرض عليه عددا معلوما من اهله يستنفرهم للجهاد وقدرا معينا من المؤونة يقدمها للجيش المنوى ارساله الى المتمة فثقل الطلب على عبدالله ودسعد وقد طالما ارهقه الخليفه من قبل فعقد النيه على عصيانه ولكنه اظهر الطاعة وعاد الى المتمة فجمع كبار قومه واسر اليهم مانوى فمن وافقه ضمه الى جيشه ومن لم يوافقه استحلفه على كتم السر فاجتمع اليه نحو ٣٠٠ رجل من اهله الادنين وارسل فى طلب المدد من جيش الحكومه فى دنقله وكان له عدو من اهله يدعى احمد ودحمزه

فوشى به الى الخليفه وكان محمود اذ ذاك فى كررى وجيشه فى طريق المتمه فامره الخليفه ان يلحق بجيشه فى الحال ويسحق عبدالله ودسعد قبل وصول المدد اليه من دنقلا فجد محمود السير حتى وصل المتمة بجميع جيشه فى فجر ١ يوليو سنة ١٨٩٧م (فى ٢ محرم ١٣١٥هـ) فاحاط بها من كل الجهات وابتدرها القتال بدون ان يدعوها الى التسليم وكان عبدالله ودسعد قد تحصن فى منازل المتمة الجنوبيه وفتح فيها المزاغل فرأى انصاره انهم هالكون لا محالة فاشاروا عليه بالفرار الى دنقله حتى اذا ماتقدم الجيش لمحاربة الخليفة عادوا معه فقال دعونى من الفرار وعاره - فانى كلما ذكرت حادثة الملك نمر وفراره من وجه الدفتردار ضاقت على الارض بما رحبت وتمنيت الموت فلنمت هنا او نحيا هنا وشرع فى اطلاق النار ..."(١) والرواية كذلك فيها اثر واضح من قصة الملك نمر مع/اسماعيل ~~الخديوى~~ فى طلب الخليفه من عبدالله ودسعد لعدد معلوم من اهله للجهاد وقدر معين من المؤن للجيش ... كذلك نجد ان عبدالله ودسعد مثل الملك نمر اظهر الولاء واضمر العصيان . كذلك نجد نعوم شقير يذكر رواية شعبية ولكن بغير الطريقة التى تذكر بها اليوم بين اهالى المنطقة فرواية "حارقاى قومة نمر من شندى" توردها الرواية الشعبيه على اساس ان عبدالله ذكرها عندما طلب منه الخليفه ان يرحل مع اهله كلهم عن المتمه الى اى جهة اخرى بينما يذكر شقير هنا معنى هذه الجمله التى قالها عبدالله سعد وهو فى حالة الحرب مع محمود وعندما اشتد عليه الحصار وطلب منه اهاليه الفرار .

---

(١) نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ـ ص ١٢٢٥

والرواية الرابعة هى التى يوردها هولت والتى يذكر فيها ان الخليفه ومجلسه استقر رايهم على ارسال جيش ليبقى فى المتمة التى تلتقى عندها الطرق الخارجه من الصحراء مع النيل . وهذا البلد هو عاصمة قبائل الجمعليين الذين كان الخليفه يشك فى ولائهم له . وبعد التشاور مع زعيمهم عبدالله سعد فرح اصدر الخليفه امرا الى اهالى المتمة بان يحزموا امتعتهم ويرحلوا الى اى جهة يختارونها فى الشرق (٢) وقد قرر عبدالله ودسعد واهالى المتمة معارضة هذا الامر . وقد وصلت اخبار عصيانهم الى محمود فى يوم ٢٢ محرم وفى اليوم التالى وصل رسولان من عبدالله سعد الى مروى يطلبان من جيش كتشنر اسعافهم بالسلاح

" .... قرر الخليفه عبدالله واعوانه – بناء على تجربتهم
١٤٠١هـ – ١٤٠٢-٢م
السابقه مع حملة انقاذ غردون فى عام ١٨٨٤ – ٨٥ – ارسال قوات محمود لتعسكر فى المتمة حيث تتصل الطرق الواردة من دنقلا عبر الصحراء عن طريق جقدول وطريق ابوطليح مع النيل . وهذه المدينة على اى حال هى عاصمة قبائل الجعليين الذين يشك عبدالله فى ولائهم . وبعد مداولة مع زعيمهم عبدالله سعد فرح اصدر الخليفه امرا الى اهالى المتمة بان يتحولوا جميعهم ومعهم كل مايمكن حمله من امتعتهم الى اى جهة يختارونها على الضفة الشرقية .

---

(١) P.M.Holt: A Calendar of the Correspondance etc Op.cit., P.9

يورد هذا النص مترجما الى اللغة الانجليزية .. ارجع اليه كما اورده "هولت" فى :– Appendix B.6

وعندما ووجه بهذا الامر قرر عبدالله سعد واهاليه العصيان والحرب • ووصلت الاخبار الى محمود فى يوم ٢٢ محرم سنة ١٣١٥ (٢٣ يونيو سنة ١٨٦٧) وفى اليوم التالى وصل اثنان من رسل عبدالله سعد الى مروى ووضعوا بين يدى كتشنر طلب زعيمهم امداده بالسلاح والمؤن والرجال ان امكن ذلك لمساعدتهم فى ثورتهم على المهدية •• "(١)

تجمع الروايات كلها على ان الخليفه عبدالله استدعى عبدالله ودسعد زعيم الجعليين الى امدرمان وتشاور معه حول امر مرور جيش محمود بالمتمة ولم يتفقا فى الرأى • وقد ادى ذلك الى تصميم عبدالله سعد على العصيان وليس هناك شئ مدون عن مادار بين الخليفه وعبدالله ودسعد فى تلك المقابلة فى امدرمان فاختلفت الروايات فيها فالبعض نظر الى قصة الملك نمر مع اسماعيل الخديوى التى حدثت فى نفس المنطقة وصاغ رواية قريبة التأثر بوقائعها • والبعض الاخر اعتمد على القصص التى تروى من بطش الخليفه ببعض من كانوا يخالفونه الرأى والطرق التى كان يستعملها فى التخلص منهم وصاغ رواية على منوالها • ولم تساعد الروايات الشعبيه كثيرا فتقول عبدالله ودسعد " خارقانى قومة نمر من شندى "يوردها بعض الرواة على اساس ان عبدالله قالها ليبرر بها عصيانه على الخليفه وتصميمه على مقابلة جيش محمود بدلا من ان يترك له المتمة وفى هذا تأييد للرواية التى تقول ان الخليفه فى مقابلة مع عبدالله ودسعد كان قد طلب منه ان يرحل باهله عن المتمة•

---

(1) P.M.Holt: Op. Cit PP. 213-14

ولكن نفس القــول يسورده بعض الرواة وعلى اساس ان عبدالله ودسـعد قـاله ليبرر قبول العصـيان ولكنه بعده وبعد ان قامت الحرب بيـنه وبين محمـود وبعد أن تـاكد لاصحاب عبــدالله ود سعد انهم هالكون واشـــاروا عـليه بالفـرار فعقد المقارنة بين فـراره من وجه محمود وبين فرار الملك نمر من وجــــه الــدفتردار من قـبل • الارجح ان يكون الخليفه في تلك المقابلة مع عبدالله ودسـعد قـد اوضح له انه ينوي ان يرسل جيش محمود ليعسكر في المتمـــة وامـــره كما امـر اخاه على من قـــبل ابان حملة النجومي بان يجمع شـــبان الجعليين وينضـــموا الى جيش محمود اما النســاء والعجزة فيبعدهم عن طـــريق الجيش • وقـد كان هذا الامـر سـهلا ـ نسبيا ـ للقــبائل الرعـوية التي مـر عـلى جهاتها جيش محمود في مـســيرته الاولى من الغرب الى امدرمـان فقـد اعتـادت تلك القبائــل عـلى الرحيل وصـار جزءً من حيـاتها اما بالنسـبة للقبائـــل الزراعـية في النيل فان ذلك يعني خراب ديارها كما ان فان اخذ الشـــبان للجيش كان يعني خراب السـواقي والعمــران والزراعـــة • ورجع عبدالله بهذه الاوامر الى المتمه وتشـــاور مـع اهله فيها فـاشـاروا عـليه بعدم اطـاعتها واسـتعدوا للوقـــوف ضـدها فكتبوا الى جميع فروع القبائل من الجعليين يسـتنفرونها عـلى العصيان " انه قـد اتفقت كلمـة الاهل بقســمي المتمـة والزيداب عـلى حماية العروض كالنساء والاولاد من ام كواك واشـقر الدار وانه يلزمكم الحضـور بكافة رجالكم او تحاموا على نفسكم بمحـلكم لحقن الـدمــــوم ٠٠ " (١)

---

(١) مهدية ١/٨/١/١/٣/١ من محمود الى الخليفة بتـــاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ •

وكان عبدالله ودسعد يأمل فى ان تصله بعض الامدادات من جيش كتشنر وتجتمع عليه قبائل الجعليين قبل ان يصله محمود ويكون بذلك فى منعه وقوة تمكنه من صد اى هجوم على المتمة ، ولكن قائد حامية جيش كتشنر فى دنقلا " رندل " والذى وصله رسل عبدالله ودسعد تردد كثيرا قبل ان يرسل الامدادات ولذلك فانها لم تصل الى المتمه فى الوقت المناسب(١)" ..
هذا وبعد قتل ولد سعد وجدت مكاتبات فى جيب جبته وارده اليه من رسله الذين ارسلهم لدنقلا تفيد ان الكفرة شاكين فى امره ومثلهم عربان الحسانيه .."(٢) ولم تجتمع القبائل على عبدالله كما كان يتوقع " .. المشاع انه لم يحضر اليه احد لا من العربان ولا من الكفرة وان اهالى الجهات بالنظر لخوفهم على اولادهم وتعلقاتهم لم يتاتى لهم الاجتماع عليه وبلغنا ايضا ان الحركة خاصة بجهته والله اعلم .."(٣) ولهذا فان عبدالله ودسعد وجد نفسه يقف مع عدد قليل من اهله حوالى ٢/٥٠٠ مقاتل ومعهم ثمانين بندقية كما يذكر تشرشل (٤) وذلك فى مواجهة جيش محمود .

ورتب عبدالله ودسعد جماعته فى داخل حيطان المتمة وركز كل همه على الجهة الجنوبيه منها حيث كان يتوقع هجوم محمود من تلك الناحية فوضع هناك حملة الاسلحة النارية ومعهم كثير من الرجال الاشداء وترك الجهات الاخرى فيها القليل من حملة السيوف والسكاكين والرماح وغير ذلك من الاسلحة

---

(١) حاول كثير من المؤرخين امثال تشرشل ونعوم شقير وغيرهم ممن كتبوا عن حملة كتشنر ان يبعدوا تهمة التردد عن رندل ولكن ما اورده محمود من وجود خطابات فى جيب عبدالله سعد تفيد تشكك رندل فى الحركة يتضح انه لابد ان يكون قد تردد قبل ارسال تلك الامدادات .

(٢) مهديه ١/٨/١/٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١/٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ . ١ ٢

(٤) W.S. Churchil : The River War Op.cit, P. 188

الخفيفه الاخرى ولكن فى خطاب من محمود الى الخليفه يصف فيه الحالة التى حارب بها عبدالله ودسعد يقول محمود ان عبدالله لم يرتب جماعته ترتيبا عسكريا " بل كان كل واحد منهم يحارب بمفرده " قيل ان ذلك اتباعا لكلام احد علمائهم حيث قال لهم بانكم اذا متم محامين على نسائكم وذراريكم فانتم الشهداء حقا (١) ولكن فى موضع اخر من نفس الخطاب يذكر محمود " ... ويوم الخميس صباحا استعدينا وتوجهنا نحو البلد ولدى وصولنا بادرونا بضرب الاسلحة النارية من وراء الجدران لأن المخذول ولد سعد عمل البلد كلها مزاقيل "(٢) مما يدل على انه كان هناك نوع من الاستعداد العسكرى والتدبير ولم يحارب كل واحد بمفرده كما قال محمود ولكن بعد ان هجم محمود بجيشه الذى كان يفوقهم عدد وعدة انحل نظامهم وصاروا يحاربون بالطريقة التى وصفها محمود كل واحد منهم بمفرده داخل البيوت والحيشان (٣) وبدأ هجوم محمود من جهة الجنوب كما توقعه عبدالله سعد وقد تمكن حملة الاسلحة النارية من ضرب بعض رجال محمود وقتلهم ولكن تكاثرت عليهم الاعداد فانهزموا الى داخل المنازل فتبعهم رجال محمود قتلا حتى قضوا عليهم وبينهم عبدالله ودسعد نفسه ووصف محمود الموقعة فى خطاب ارسله الى الخليفه يقول فيه " نبدى سيدى ماصارت به النفوس مستبشرة وتتوالى نصرة الدين ونفذت الاشارة فى المتمة وتبدلت سعادة المخذول ولد سعد شقاوة وعزه ذلا حيث اهلكه الله بسوء فعله وانقلب

---

(١) مهدية ١/٨/١/٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ غساية محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) وصف لى الموقعة الشيخ عبدالكريم الفاضل وهو من اهالى الدامر ولكنه " عزى " مع عبدالله ودسعد وحضر معه واقعة المتمة فقال انهم ابعدوا النساء بعيدا عن مكان المحارب " واستعدوا استعدادا حربيا لمقابلة جيش محمود .

مع الهالك عبدالله سعد ... هذا ولم يحصل للاصحاب بفضل الله اقل ضرر ماعدا قليلون فازوا بالشهادة ومثلهم مجروحين والجميع من سائر الاصحاب ليس فيهم احد من الاعيان . وراس المخذول عبدالله سعد صار قطعة وارساله مع حاملين البوسطة ."(١)

وقد كانت نتيجة الموقعة مجزرة كبيرة مات فيهما عدد كبير من رجال المتمة تقدّرهم نعوم شقير باكثر من الالفين (٢) اما الذين ماتوا من جيش محمود فى الموقعة فقد بلغ عددهم ٥٠ من اولاد العرب و٣٨ من الجهادية وجرح ١٤٧ من اولاد العرب و١٨٣ من الجهادية ومن الخيول مات ١٧ حصانا وجرح منها ٥ خيول حسب ماورد فى الكشف الذى ارسله محمود الى الخليفه (٣) وهناك ستة من الاعيان ممن ماتوا ولحق بهم بعد يوم من المعركة احد اولاد الحبشى المدعو خالد وهناك خمسة فقدا من الاعيان من بين المجاريح . ويبدوا من تفاصيل الكشف المذكور ان الارباع التى تحملت عبء المعركة هى ربع محمد ولد علي وربع على السنوسى وربع البشارى وبعد. اذ مات من الربع الاول ٢٦ شخصا وجرح ٥٧ والثانى مات منه ١٦ شخصا وجرح ١٧؛ اما الثالث مات منه ١٥ شخصا وجرح ٣٧ .

---

(١) مهدية ٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) نعوم شقير : جغرافيه وتاريخ السودان ص ١٢٢٥ .

(٣) انظر الكشف : مهدية ٣/٦/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣١٥ .

Appendix B 7

وقد انتهت معركة المتمة في مدة وجيزة جداً يبالغ محمود في تقديرها فيقول انها انتهت في " قدر ربع ساعة أو اقل " . مما يدل على ان محموداً كان قد استعد لها استعداداً شديداً وجهز جيشه لها من كل النواحي وانه كان يخاف من ان يكون عبدالله سعد قد دبر له مكيدة " .. ان عبدالله سعد وان كانت حركته ضعيفة لكن الحسبة من ان يكون له مكر وخداع لم ندروك مسندنا " (١) فحزم امر جيشه لمقابلة كل الاحتمالات .

ولكن بالرغم من ان محموداً كان شديد الحرص على تجهيز جيشه من ناحية العدد والعدة الا انه لم يبذل كبير جهد في حزمه من ناحية الضبط والربط ، ولهذا نجده يقابل كثيراً من المتاعب من افراد الجيش بعد واقعة المتمة ، والاضرار التي الحقها هؤلاء الافراد بعد الواقعة اسوأ وابعد اثراً مما حدث في المعركة نفسها . فلم يستطع محمود ان يمنعهم من التعدي على الاهالي ، ولم يستطع ان يأخذ منهم حقوق بيت المال من الغنائم ولا ان يمنعهم من خراب الجهة كلها فبالرغم من محاولاته المتكررة ومجهودات امراء الارباع ومنشورات الخليفه فقد تمادوا في تعديهم على اهالي الجهة شرقاً وغرباً وعلى عدم اظهار ماهو مفيد من الغنائم واخذها الى امدرمان اوكردفان ان وجدوا الى ذلك سبيلاً ، وهروبهم عن الارباع حتى وصلت بهم الحال درجة

---

(١) مهدية ١/٨/١/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٣١٥ .

شعر فيها محمود نفسه بعدم الارتياح ، فكتب بالشكوى الى الخليفة : " تهدى سيدى ان عبدكم منذ تعيينه لهذا الجيش سنة ١٣٠٨ فهو يقاسى من احواله امور تسيب النواصى وتذبذب الرواسى تارة من عدم الرضا بالحكم وتارة من عدم الهمة فى نجاز الامر وتارة بعدم سماع النواهى وارتكاب مالايرضاه الله ورسوله حتى ان الاغلب منهم يرتكب مايعود ضرر فعله عليه فى نفسه مع الضرر فى امر الدين الذى لايرضى بادنى خدشه فيه كما يعلم رب العالمين ومع كل هذه الاحوال فاننا ساكتين وللصبر ملازمين ولمرارة عدم المساعدة والموافقة متجرعين اذ كل هذه المدة لم نرفع بان فلانا خالفنى ولا فلانا ارتكب المحظور الفلانى الى ان ادى ذلك الى نسبه التقصير منى .. والحالة هذه خشيت على نفسى حيث ان ماسبق من الموعظة لى والتذكير فى عدم رفع الاحوال اذا حصل منى السكوت الان وترتب عليه ادنى خلل او فشل فى الدين اكون مسئولا عنه فى الدنيا والاخرة وحقيقة العاقل من يسعى فى سلامة نفسه بالبدار قبل ان تحتوشه الموبقات فى هذه الدار فلذا انهيت وحررت هذا وانا اقدم رجلا واؤخر اخرى لعدم سبوق مثله منى وذلك الذى حملنى ان هذه الجهة لم تكن كجهات الغرب لا فى ارضها ولا فى اهاليها وسمعنا غير مرة بل تكررت الاوامر الرسمية بتأمين اهاليها فبعد واقعة الهالك عبدالله سعد امناهم وحررنا لهم ماينفيد عدم مؤاخذة اى احد منهم الا من كان مع الهالك المذكور فتراجعوا اغلبهم فماكان من

الاصحاب الا خروجهم شلة بعد شلة مشاة وركبانا غربا وشرقا حتى اتوا عليها وجاوها جيدا كان لم تغن بالامس حيث اخذوا البهايم وقتلوا وجرحوا كثيرا من الرجال واستولوا على النساء بصفات منكرة ينفر عنها الطبع ويحرمها الشرع نحو اخذها لتحمل الماء على رأسها لسقاية الحصان أو حمل الغلال مع ان البحر قريب ولا هناك داعي لهذا الامر سوى محض الخلاف للاوامر ثم مع هذا كررنا لهم التنبيه بان يجتمعوا ويتركوا هذه الامور وكاننا امرناهم بها اذ لم يزالوا بالجهات ... ثم ان ذات غنايم المتمة لم يرخصوا باخراجها مع التنبيه لهم وبعد ورود ارشاداتكم لعموم الجيش تلوناها عليهم وسمعوه فردا فردا فكانها زادتهم حرصا عليها وقد اعيتنا الحيلة فيهم " (١) وقد وصلت شكاوى كثيرة جدا للخليفة عن سلوك جيش محمود بتلك الجهات بعد واقعة المتمة فيكتب لمحمود في ٢٤ صفر " فتعلمك ان هذا الامر لايخفاك انه الدين وان القصد فيه وجه الله سبحانه وقد بلغنا ان بعض من معكم من خلو راسهم يقولوا لاهل الجهة ان ناس الزبير بالبحارة نعلوا بدارنا كذلك ونحن الان نفعل بجهتهم وهذا امر لايصدر من عاقل اذ أن هذا هو الامر الذي اتى عليه المهدي المنتظر وهو الدين الذي لاهواد فيه فانتكر لذلك وانه اصحاب خفة الراس من التفوه الذي لايليق بالعقلاء وذكرهم بوجه الدين والسلام "(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/١/٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ليلة ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٣٨/٤/٤٣ من الخليفة الى محمود بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

وكذلك يصل الى الخليفة " ان الجيش الذى بالشرق تحت قيادة المكرم فضل السيد فمنذ حضوره بل من قبل وصوله تراكمت الشكوى من اهالى الجهة فى تعديه عليهم واخذ اموالهم وتعلقاتهم بضرب البعض بالرصاص حتى صارت كالبيئة الغريبة فى الخراب ." (١) وفى امر الغنائم ونساء المتمة يكتب الخليفة لمحمود "فنعلمك ان الاهتمام بامر الدين مطلوب وواجب والمهاونة لاتليق بمن يقصد سلامته عندالله وان من الامور المطلوب خلاص الذمة فيها والاعتناء بشأنها الغنائم وهى مما انزل الله سبحانه الوعيد فى غلوها وان مسالة النساء خصوصا من اهم المهمات وكان اول انتهاء امر المتمة ورد منك الطلب فى الوابور بقصد ارسال النساء الغنائم لما رأيته من حصول الحزم فى ذلك والسلامه وبالقصد حصول السلامه اجبناك وارسلنا الوابور لأن المذكورات اذا حضرن هنا لابد ان يجرى فيهن مايوافق المصلحة الدينية والاوجه السديده والان من توجه الوابور مضت له مدة حتى دخل الخريف وكان القصد ستر الحال فى امر النساء والان على ماهو متبالغ ان بعض النساء حضرن بيد بعض ناسات لهذا الطرف والبعض بيد الجهادية واما الغنائم الاخر مثل الامتعة والرقيق والجمال وغيرهما فقد تفرقت بالجهات وكل ذلك لايوافق ولايليق التهاون به خصوصا النساء الحراير امرهن مهم وقد رأيت النستوصات التى حصلت فى مدة المهدى عليه السلام

---

(١) مهدية ١/٨/١/٤٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

فهل رأيتما مكنما جهدى من حرة مطلقا او بلغاك ان الامام المهدى اجاز ذلك لان المذكورات وان كن غنائم فلهن الحرمة وتفريقهن لايكون الا بالاوجه التى توافق مصلحة الدين .. ماعلمنا النساء المذكورات والغنائم التى شتت بالجهات أهل اخوت منها الخمس واذنت بتفريقها قبل ان ترد لك اشارة بذلك ولم يحصل منك استفهام ام ذلك لاعلم لك به ام ذلك حاصل من المذكورين على وجه الغلول والسرقة ." (١) وكان الخليفه قد ارشد محموداً فى امر الغنائم من اول وهله بعد واقعة المتمة " فنعلمك حيث ان الله سبحانه بفضله قد ايد الدين وخذل المنافقين فينبغى منكم ان تجتهد كل الاجتهاد فى حزم امور الغنائم والاستكثار لما به يكون قوام الدين فى المستقبل ومن اهم ذلك العيوش فانها تضيع فانتكر لها واجمعها هى وكافة الزوامل من جمال وخيول وحمير وخلافها وكذلك العبيد الذكور اجمعها فانكم اذا ماافتكرتم فى جمع ذلك من بدرى لابد يضيع فى يد الاصحاب فافهم ذلك وحذر الاصحاب جهدك من الغنايم والخصوص الزوامل ." (٢)

ولكن رغم كل الارشادات والتحذير من الخليفه لمحمود والذين معه فان مسألة الغنايم والغلول فيها من جانب افراد الجيش قد صارت من الامور التى اتعبت محمود تعبا شديدا ، وهى التى اتعبت اهالى تلك المنطقة التعب الحقيقى بعد واقعة المتمة لان اثرها عم المنطقة كلها شرقا وغربا ، وقد كانت المنطقة فقيرة

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/٤٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣١٥ .

بطبيعتها فزادوها جدبا باخذ ماوجدوه فيها ، وكان عدد الجيش كبيراً جدا والمؤن التي تصله من امدرمان تكاد تكون معدومه فاعتمد في مؤونته على المنطقة فاثقل بذلك على الاهالي ، وكان افراد الجيش يأخذون كل ماتقع عليه العين فاشاعوا الفوضى وعم السلب والنهب ، ورغم ان محمودا كان يحتاج للابقار التي كسبت بعد الموقعة ليعمر بها السواقي لتوفير المؤن ، الا ان افراد الجيش كانوا مشغولين بكسبها وارسالها الى أمدرمان او الى كردفان او الاحتفاظ بها وعدم اظهارها حتى تتأتى الفرصة المناسبة " نبدى سيدى ان رافعه قطية عبدالغنى مرسول منا بابقار الغنايم التى وجدت بايدى الاصحاب الذى قياسا من المتمة نحو بربر وهى السف راس ابقار . " (١) "سيدى ان الجيش الذى مع داعيكم هو شئ وافر بحمدالله تعالى وهذه الجهة لاتفى ببعض المؤن اللازمه له فضلا عن وفايها بها كلها وخصوصا ماقيل بان القشوش اللازمه للخيول وللبهايم وغيرها مالم تتعمر السواقي وتدور لايتاتى الحصول على شئ منها على ان كافة ابقار الجهة صارت بيد الاصحاب واذا ارسلنا الابقار صارت الجهة خالية عنها وعن ساقية واحده ويحصل التلف للخيول فيما بعد " (٢) وكتب الخليفه منشورا عاما الى الانصار فى شؤم الغنايم ويحذرهم من الغلو فى امرها ليتهيوا لامر الجهاد ، وتلاه محمود على الارباع جميعها ربعاً ربعاً " سيدى ان امركم الكريم المسرين له ٨ الجارى المتضمن انه بالنظر لقصد امتداد نصرة الدين وما معلوم من شئوم الغنايم تحرر للاصحاب منشور بخصوصها واشير بتلاوته عليهم والعمل بموجبه تشرفنا

---

(١) مهدية ٥/٦/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٥/١١/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ .

بوروده وطيه المنشور الكريم المحكى عنه وقد صار موقعه كموقع البرد من السقيم والماء البارد من الظمآن لانه منذ دخولنا بالمتمة فنحن فى معاناة الاصحاب بخروج الغنايم والتصفية منها ظاهرا وباطنا طلبا للسلامه ولم يحصل منهم اسعاف ٠٠ "(١) كل هذا ادى الى خراب تلك المنطقة مما كان له اسوأ الاثر فى نفوس الاهالى وزعزعتهم ٠

شئ اخر له صلة بهذا الخراب وهذه الزعزعة مما ترك اثرا سيئا بقى حتى بعد المعركة وهو مسألة نساء المتمة ، وقد كانت هذه مسألة فيها كثير من الحساسية بالنسبة لمحمود ، فقد ارسل للخليفة بعد الواقعة يقول " سيدى اما النساء الاحرار فان داعيكم عازم على اخراج الخمس منها وارساله لدى حضور الوابور والاربعة اخماس من النساء الحراير كذلك نرسلها باكملها لان تاخيرها هنا لا ثمرة فيه ٠٠ " (٢) وعليه فهو ينتظر وصول الوابور لارسالهن بدون اشاعة وعلى حالة صيانة مع انسان امين ترفقه مع من يحضر من صوبكم الكريم كما الاشارة الكريمة وكذا عايلات الهالك عبدالله سعد جميعها سترسل بدون تاخير شئ منها كما اشير ان شاء الله ٠(٣) وبعد ذلك ارسل الخليفة الوابور الى محمود حسب طلبه وكتب له " فنعلمك ان الوابور هاهو واصل اليك على حسب طلبك وفيه كل من بحان الامين وابراهيم القصير وبعد وصولها اليك فالشئ الخاص من نساء الخمس اليكن عند بحان وباقى الخمس غير الخاص والنساء الاخر اليكونا عند ابراهيم القصير مع الامين الذى يتعين منكم وعلى كل حال فليكن ارسال المذكورات على وجه الامانه والستر بلا اشاعة والسلام"(٤)

---

(١) مهدية ١/٨/١/١٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١/٨/١/١١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ " [illegible]

(٣) مهديه ١/٨/١/١٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥

(٤) مهدية ١/٨/٤/٢٩ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٢ صفر سنة ١٣١٥

وكان المفروض ان يرسل محمود النساء في الوابور بعد أن يصل اليه ولكنه يكتب للخليفه في ليلة ٢٤ صفر يشكو من سلوك الانصار الذين معه ومن خرابهم للجهة ومن تعديهم على النساء فيقول " حيث اخذوا البهايم وقتلوا وجرحوا كثيرا من الرجال واستولوا على النساء بصفات منكرة ينفر عنها الطبع ويحرمها الشرع تمواخذها لتحمل الماء على راسها لسقاية الحصان او حمل الغلال مع ان البحر قريب ولا هناك داعى لهذا الامر سوى محض الخلاف للاوامر "(١) وقد احضر محمود النساء استعدادا لارسالهن لام درمان بالوابور ويتضح من الكشف الذى ارسله ان العدد ليس قليلا " نبدى سيدى ان الكشف مرفوقه يحتوى على اثنين وثلاثين بنت جميعها ابكار وهى خمس الخمس من نساء الغنايم بواقعة المتمة وقد سلمناهم الى ريحان الامين .. "(٢) هذا من النساء الحراير الابكار فقط اما السرارى فانه يذكر :ـ " ان رقيق الغنايم الذى وقع بيد الاصحاب في واقعة المتمة هذه قد صار حصره ثم صار اخراج الخمس منه وبلغ قدره مايتان اربعه وثلاثون خادم وجميعها سلمناها لرابعه عبدالله ادم لوصولها لمحل لزومها .. "(٣) هذا بالاضافة الى النساء كبيرات السن وقد بلغ عددهن كما يذكر محمود " زيادة عن السبعماية حرمه كبيره بخلاف الاطفال "(٤) فيكون عدد النساء حسب هذه الكشوفات حوالى ٢/٥٧٠ امرأة تقريبا بخلاف الاطفال وضمهم محمود على مجموعات لارسال بعضهن وابناء البعض " نبدى

---

(١) مهديه ١/٨/١/٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ليلة ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١/٣١/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١/١/٣١/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣١٥ .

(٤) مهديه ١/٨/١/١/٣١/٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ صفر سنة ١٣١٥ .

« سيدى ان حريمات المتمة بعد حصول الواقعة وهلاك المحاربين قد صار جمعهم وحصر مايخشى عليهن ولم ندع منهن شيئا الا التى لا ارب للرجال فيها ثم صار اخراج الخمس منها وهو الذى رسل والحالة هذه بالوابور وصار الباقى من الحريمات لانفع منه ولا رغبة للاصحاب فيهن لانهن لايقدرون على الخدمة بل ولا على الحركة الى اقرب محل وكافة الاصحاب متعودين على التاهل بالحريمات اللواتى يقمن بخدمة الرجال وراحتهم كما يجب ولهذا ولما حصل لهن من التعب وموت البعض منهن فبعد مشورة الاخوان واتفاقهم على ان نسلمهن لبعض اهاليهن بالضمان لغاية رفع الامر لكم وانتظار الاشارة فيهن وعلى ذلك فقد سلمناهم الى على محمد تاى الله من اهالى المتمة والمذكور كان حضر معنا من البقعة وهو من الجعليين العبوداب وشرطنا عليه بقبولهن امانة لغاية رفع الامر الى خليفة المهدى "(١) وقد اقام على محمد تاى الله المذكور بالنساء بشاطئ البحر فى انتظار الاشارة من الخليفه ليجرى العمل بمقتضاها فيما يفعل بهن .

ويتضح مما كتبه محمود الى الخليفه ان امر النساء قد حسمه محمود ولم يترك اى ثغرة فيه ، ولكن الامر ليس كما ذكر محمود اذ اننا نجد الخليفه يكتب لمحمود فى ٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ معاتبا اياه على عدم صيانة النساء الحرائر بعد واقعة المتمة ويتهمه بالاهمال

---

(١) نفس المصدر السابق .

فى امرهن مما يتنافى واوامر الدين "...
وان مسالة النساء خصوصا من اهم المهمات وكان اول انتهاء امر المتمة ورد منك لنا الطلب فى الوابور لقصد ارسال النساء الغنايم لما رايته من حصول الحزم فى ذلك والسلامة ولقصد حصول السلامة قد اجبناك وارسلنا الوابور .... والان من توجه الوابور مضت مدة حتى دخل الخريف وكان القصد ستر الحال فى امر النساء والان على ماهو متبالغ ان بعض النساء حضرن مع بعض تاسات لهذا الطرف والبعض بيد الجهادية .. وكل ذلك لايوافق .." (١) وهذا يدل على ان الامر لم يحسم الطريقة التى ادعاها محمود بل ان محموداً نفسه يعترف بان بعض الانصار قد عاملوا النساء معاملة "ينفر عنها الطبع ويحرمها الشرع" حتى ان البعض منهن — على حسب بعض الروايات (٢) فضلن الانتحار برمى انفسهن فى البحر ووكن بالرغم من وجود بعض

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/٣. من الخليفه الى محمود بتاريخ ٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) هناك روايه يتناقلها الناس حتى اليوم تقول بان نساء المتمة وخصوصا الفتيات منهن قد رمين بانفسهن فى النيل ومات كثير منهن غرقا — راجع نعوم شقير جغرافية وتاريخ السودان ص ١٢٢٥ عن واقعة المتمة اذ يذكر فيها انتحار الفتيات بهذه الطريقة — ونعتقد ان هذه الرواية فيها بعض المبالغة فالانتحار شىء غير مألوف بين السودانيين المسلمين بل هو شىء ينفرون منه . ثم ان الاعداد التى ارسلها محمود الى الخليفه بكشوفاته كانت كبيرة حوالى ٢/٥٧٠ امرأة .

الثغرات وبعض الاخطاء في امور نساء المتمة الا انه يتضح ان هذه الثغرات وهذه الاخطاء لم تصل درجة الفوضى بل ان محمودا اتخذ بعض التدابير السريعة في هذا الامر " ففي ساعة نزولنا من الحرب امرنا بجمع النساء الحواير ووضعناهن بالمحلات المأمونه وصار حجرهن الى ان سافرن بالوابور ونحن على اعتقاد تام في صيانتهن وسترهن (١) وقد ارسل في الوابور الذي ارسل اليه حوالي الخمسمائة امرأة من النساء صغيرات السن وابقى كبيرات السن منهن مع على محمد طرالله الى أن سمح لهن بالتفرق فيما بعد عندما اراد التحرك من المتمة ، اذ انه سمح لمن كان لها زوج او اقارب بالذهاب لهم والبقية منهن تم ترحيلهن الى الاسرى حتى تتمكن من تريد الذهاب الى امدرمان من عمل ذلك او تتوجه الى المكان الذي تريده . ولكن ورغم كل المجهود الذي بذله محمود في هذا الامر وكل ارشادات الخليفه له الا انه لم يتم بالطريقة التي اريدت له اي على حالة الصيانة والستر وعدم الاشاعة .

ولم يقتصر الخراب على جهة المتمة وحدها بل تعداها الى المناطق الاخرى باستثناء جهة الدامر التي بها المجاذيب . ففي منطقة بربر قامت حركة بسيطة قادها حسنين برى وتم قمعها بسرعة كما يذكر محمود في محاورته للخليفه " وبلغنا ان حسنين برى جمع له جموع قبل ان يسمع بهلاك الهالك عبدالله سعد واراد اثارة الفتنة على طس على قرقار وهو في ذلك

---

(١) مهدية ١/٨/١/٤٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

ان هجموا عليه المذكورين فقتلوه هو وولد الفحل وباقى الناس شتتوا بطلالاتهم ومع ذلك فاذا ورد لنا مايفيد صحة هذا الخبر او مناقضته لابد من رفعه لحكم الكريم "(١) ثم فى محرر اخر يكتب له " بدى سيدى انه بيوم تاريخه ورد لنا جواب من الحكم على فرار ببربر يذكر به ان حسنين برى قد اراد الله له من الشقاء باسباب العصاوة ماهو طبق الواقع على الهالك عبدالله سعد حيث انه جمع الجموع واعلن بالنكوص واراد ابطال امر الله الذى لاتدفعه الحيل ولا ترده قوة مخلوق وان عمل ماعمل وقد عجل الله بقتله على يد الحكم البخيت الشمورى ومن معه من الاصحاب كما اوضح ذلك فى محرره المرفوق بهذا .. "(٢) وبعد ذلك نال المنطقة مانال منطقة المتمة من الخراب والدمار وقد اخذ الجنود فى اخذ الغنائم وعدم اظهارها كما حدث من اقرانهم بالمتمة وقد كتب الخليفه لمحمود يأمره بالكتابة لانصار بربر ليوضحوا ماعندهم من الغنائم "استقر ان الغنائم التى بطرف نائب الحكم على فرفار حرر لهم بايضاحها وعدم الغلول فيها وبعد ايضاحها فيدوننا بها وانتظروا الاشارة انظروا فيها وجه المصلحة وفيدونا بما تروه فيها "(٣)

وقد اقلقت مسألة المتمة هذه خليفة المهدى وازعجه اشتغال الانصار بامر الغنائم وخرابهم للجهة بالفوضى التى سادت بعد واقعة المتمة ومقتل عبدالله ود سعد فكتب لمحمود "فنعلمك ان الانتباه للمصالح مهم وانك توجهت

---

(١) مهديه ٣/٢/١/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ صفر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ٣٦/٤/٢٨/١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ .

لتأييـــد الدين وقتال اعـداء الله الكفـار ومســألة ولد سعد مسـألة مـارخة ليسـت بشـــئ بالنسبة لاعداء الله الكفـــار ولا يخفـاك ان الاعـداء اهل مـكر وخداع واذا لم تفتكـر لمكايدهم ربمـا دبـروا لهم مكـيدة فى هذه الايـام بالنسبة لما جرى مـن الاهـالى .. " (١) وفى محرر اخر يكتب له " فتعلمك ايها المكرم ان الاخذ بالحزم فى امـور الجهاد مطـلوب والاشتغال بامـــر الغـنايم معوق عن الجهاد فامنع الانصـار من الاشـتغال بامر الغنايم وكفهم عن التعديات على الاهالى حيث ان المنافق ولـد سـعد ومن وافقـه قـد هتكـوا وليكن منكم الالتفـات التـــام لتطمين الاهالى وتثبيتهم فى محلاتهم وتامينهم ورفع التعديـــات عنهم ولايكن لكم هم غير الانتباه لامر الجهاد حيث ان الاوان قد قـارب والاعداء المتقدمون بلادهم لايخفاك مكرهم وغدرهم فليكـن همكم مصروفا نحوهم لاغيـر "(٢) ولكن بالرغم من اجتهاد محمود فى حزم امـر الجهة ومسك جنوده عن التعديات ووعده للخليـفه بذلك الا ان الانصـار استمرأوا الاغـارة على الاهالى واخذ حقوقهم وخراب الجهة حتى اقفرت ولم يعد بها شئ من الناس او العيوش او البهائم او المؤن ، وقـد كان لهذا اسوأ الاثـــر عـــلى

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/١٩ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٢٨/٤/٣٠ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٤ صفر سنة ١٣١٥ .

موقف جيش محمود فيما بعد ، فبدلا من ان يجد محمود نفسه في موضع مريح جدا في المتمة قريبا من امدرمان وعنده مايكفيه من المؤن والمياه والعيوش ينتظر جيش كتشنر ليخرج له من الصحراء في غاية التعب والارهاق لينقض عليه قبل ان يصل الى امدرمان بدلا من كل هذا اصيب محمود بخيبة امل كبيرة بعد استلامه للمتمة . فلم يحضر له الجيش من الصحراء كما توقع ، ليس هذا فحسب بل انه وجد نفسه في منطقة خربها جنوده بالتعديات على الاهالي وتشتيت المؤن والبهائم التي فيها فتركوها خالية من كل شيء ، وبين الناس قتل كثيرا من رجالهم واخذ كثيرا من نسائهم اسرى ، وصارت تتحكم في تحركات جيشه عوامل لم تكن في حسبانه ، ووجد نفسه مترددا بين الاقدام نحو بربر للسيطرة على مناطق المضايق والشلالات قبل وصول الاعداء اليها ، وبين البقاء في المتمة او الرجوع الى السبلوقة . وقد بقى زمنا طويلا بالمتمة قبل أن يستقر رأيه اخيرا على التحرك نحو بربر ولكنه تحرك لهما بعد فوات الاوان .

الفصل الثـــــالث

تحركـات جيش محمـود حتى وصـوله نهر عطـبره

لم تكن هناك اى خـطة مـدروسـة ومنظـمة ليتحـرك بموجبها جيش محمـود الـذاهب الى الشمال ،خطة تتحكم فـى تحركـاته من مكان الى اخر ،وتحسب حساب الاتصال بينـه وبين السـلطة المـركزية فى امدرمـان ،وتضمن له وصول الامدادات والمؤن بسـهولة ويسـر ،ولذلك فقـد تحكمت فى تحركات ذلـك الجيش الظـروف الوقـتيه ومـقتضـيات الاحوال ومجريات الحـوادث وتغيراتها ،وعـلى ذلك فقد ارتبكت تحركاته فتارة " تصل الاوامـر الى محمـود من الخليفه بالتحرك شـمالا من المتمه الى بربر للاســتيلاء عـلى المضايق والشـلالات (١) ويستعد الجيـش لتنفـيذ تلك الاوامـر ويشرع فى التحرك ولكن سرعان مايغير قواده رأيهم ويقـررون البقـاء فى المتمـه ويتعـللون بشتى الاســباب لعدم مـبارحتها (٢) . ثم تاتى الاوامر من الخليفه بتحرك الجيش راجعا الى الســبلوقـه (٣) فـلا يرجع محمود ومن معه اليهـا بل يسـتقر رأيهم عـلى البقـاء بالمتمـة ثم يغيرون رأيهم ويقررون التحرك منها شمـالا الى عطبره (٤) وقد صار هذا حال جيش محمود

---

(١) مهديه ١/٨/١/٣٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيــع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/٤٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيــع اول سنة ١٣١٥ .

(٣) مهديه ١/٨/١/٨٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيـع أخر ســنة ١٣١٥ .

(٤) مهديه ١/٨/٢/١٨٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شعبان ســنة ١٣١٥ .

ـــيماه التردد وعدم الاســـتقرار عـلى حال الى أن قابل جيش كتشـــنر •

كذلك كانت هنالك تحركات لفرق الجيش المختـــلفة على غير هدى وبـدون ســابق ا تنظيم فقـد تحركـت بعـض الفـرق من القضارف الى شـندى ثم الى المتمة ثم الى شندى مرة أخرى فـالى عطـبره • كذلك تحركت فرقه من بربر الى المتمة فمـرة اخرى الى عطـبرة ،وكذلك عثمان دقنه وجماعته تحركـــوا باوامـر الخليفه من أدرامـا ثم رجعوا مرة اخرى الى عطـبره •

وقـد كانت هنالك عناصـر كثيرة فرضـت على ذلـك الجيش هذا التردد وعدم الاستقرار اولا لم يستقر الرأى عـــلى نوع الحرب التى كانت متوقعا هل ستكون " بحرية " ام برية والاسـتعداد لكل له متطـلبات خاصه ، فالحرب البرية كـانت تتطـلب الاسـتعداد بالخيول والمـدافع واخذ المواقـع فـى الارض الرحـبة التى يكون فيها المجال للخيول للكـر والفـره بينمـا البحريـة تتطـلب اتخاذ المراصـد فى اماكن المضـايـق والشـلالات واعمال الطـوابى فى الاماكن الوعـرة ، وقـد صـار محمود يتخبط بين الاسـتعـداد لهذه تارة ولتلك تارة اخرى ، فهو يجمع الخيول والجمال التى تجر المدافع اسـتعدادا لحرب برية ، متوقعـا خروج جيش كتشـنر اليه من الصحراء ((•••• والحال سـيدى انه بحسب المصلحة الحاضرة فى اهمـيـة وجود الخيول الكفـاية معنا لاسـتطلاع الطـلائع ولما عـســى ان تجد فرصة فى الاعداء بالخيول المذكورة نرى ان تاخيرهـا معنـا لو مـدة قـليـلة فهو أولى وعـلى ذلك ســتجـرى توزيعهـا عـلى الارباع ان شـــاء اللـــه تعـــالى

وتفضل تحت الطلب بحيث متى اشير بحضورها نبعثها بدون تاخير بعون الله تعالى ولزم هذا للمعلوميه والايادى دامت مقبله سيدى والسلام ..." (١) وقد أرسل الخليفه الى محمود اعداداً كبيرة " من الخيول ليستعد بها للحرب " بعد السلام عليك فنعلمك ان خيول كنانه واصلة اليك تحت رياسة محمد ابراهيم وهى ماية جواد وعلى اثرها تاتيك الخيول فبوصولها اليك فلترد لنا الافادة بوصولها بارك الله فيك والسلام" (٢)

وكذلك " فنعلمك ان واصلة لك خمسين جواد من خيول الرزيقات تحت قيادة عبدالله جلع ومحمود فبوصولهم اليك فاستوص بهم خير حيث انهم من الرجال الصادقين ومجرد ماندبهناهم اليك بادروا الى القيام بالهمة العاليـة"(٣) وكذلك " فنعلمك ان ماية جواد من خيول الحمر واصله اليك تحت قيادة حامد وحيث ان الحمر المذكورين لايخفاك مكانتهم وكونهم من الانصار الصادقين ولما ندبهناهم اليك قاموا حالا بهمة عالية لاسيما ريسهم حامد المذكور فانه من خاصة الاعوان الصادقين فاستوصى بهم خيرا بارك الله فيك والسلام "(٤)

ثم بعد ذلك تطورا فكرة الحرب البحرية فيطلب الخليفه من محمود ومن معه التحرك من المتمه للاستعداد فى المضايق والشلالات فى بربر او فى السبلوقه .

---

(١) مهديه ١/٨/١/١٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١/صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١ من الخليفه الى محمود بتأريخ ٢٨ محرم سنة ١٣١٥ .

(٣) مهديه ١/٢٨/٤/٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٩ محرم سنة ١٣١٥ .

(٤) مهدية ١/٢٨/٤/٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٩ محرم سنة ١٣١٥ .

وعدم تحديد نوع الحرب المتوقعه هذا كان من اكبر الدواعى التى فرضت على جيش محمود هذه الزمزمة وعدم الاستقرار الذى اتسم به فى تحركاته •

ثانيا : مسألة المحافظة على خطوط التموين والامدادات بين الجيش وبين البقعة ، وقد كانت هذه دائما هى من اكبر المشاكل التى قابلت جيوش المهدية ، فبمجرد ابتعادها من البقعة يصعب الاتصال بها والمحافظة على خطوط تموينها كما حدث للنجومى بالشمال من قبل ، وللزاكى طمل بالشرق • وقد كان محمود شديد الحساسية بالنسبة لهذا الامر فلم يكن يريد ان تنقطع الصلة بينه وبين البقعة خصوصا وهو فى منطقة يصعب فيها وجود الغلال ، وهو فى مقابلة اعداء تحتم عليه مقابلتهم ان يكون مستعدا بالامدادات والمؤن والغذاءات • وقد زاد من حساسية محمود فى هذه الناحية وجود بعض العربان الموالين للجيش الغازى فى المنطقة الصحراوية حول ابار جقدول وجود بعض الفرق من ذلك الجيش فى دنقلا مما يهدد دائما مؤخرته ان هو اراد التحرك شمالا •

ثالثا :ـ الاختلاف فى التفكير فى تسيير الجيوش بين جيلين • جيل يمثله الخليفه ومن معه وفى ذهنهم ذكريات ايام المهدية الاولى عندما كان الناس اكثر حماسا لفكرة الجهاد وبالتالى اكثرا استعدادا للتضحيات ولتحمل الجوع والعطش وقلة السلاح ، وعندما كانت جيوش المهدية تحارب وساعدها الاهالى فى المنطقه بالمؤن وبالاخبار وبهذه الذكريات فى ذهنهم ارسل الخليفه ومن معه جيش محمود على اساس " ان رزق المجاهد فى سيفه " ، وجيل آخر يمثله محمود ومن معه وفى ذهنهم الحاضر بما فيه من هروب الجهادية وبقية افراد الجيش عندما اشتد عليهم الضيق

من الجوع وعدم الاسلحة حتى اضطروا لعمل النقط لحفظهم من الفرار وفى ذهنهم ايضا ماقابلهم من صعاب من معاكسة اهالى المنطقة لهم وكل هذه الاشياء تستدعى اعادة النظر فى فكرة " ان المجاهد رزقه فى سيفه " بل انه يجب تدبيره وتنظيم الطريقة التى تضمن وصول المؤن والغذاءات اليه قبل ان يتحرك من مركز الى اخر • وفى الوقت الذى يرى فيه الخليفه وجوب تحرك محمود ومن معه شمالا لملاقاة الاعداء نجد محمودا مصرا على عدم التحرك قبل ضمان وصول المؤن والغذاءات اليه من المقمه وضمان تأمين مؤخرته بعد تحركه شمالا •

رابعا : تحركات جيش كتشنر المختلفة المتعددة تارة بجهات جقدول وتارة بابى حمد وتارة بالشرق ثم جاء مد خط سكة الحديد حتى دنقلا من جهة ثم مده من جهة اخرى حتى ابى حمد ثم تحركات لعربان بجهات جقدول والامدادات التى ارسلها رندل بتلك الجهات ووجود فرق من الجيش بدنقلا واخرى بابى حمد ثم تحركات البواخر ثم تحركات كتشنر نفسه الى كسلا ورجوعه الى حلفا ثم الى دنقلا ثم نشاط الجيش الحربى بجهات دنقلا وكذلك بجهات الشرق ومناوشتهم لعثمان دقنه بتلك الجهات (١) كل هذه التحركات بمختلف الجهات ربكت محمود وجعلت الامر يختلط عليه فلم يستقر رأيه على مكان محدد يقف فيه لمقابلة كتشنر ومن معه •

---

(١) لمراجعة تفاصيل هذه التحركات يمكن الرجوع الى :ـ

. W.S. Churchil OP. Cit. P.162- 182



كانت وجهة جيش محمود الاولى التى توجه اليها هى المتمة ليقيم فيها معسكره ولمقابلة الجيش الغازى بها عوقد قام الجيش من كررى فى محرم متوجها نحوها • ويتضح من الخطاب الذى كتبه على السنوسى وبقية الامراء الى محمود من جهة مديسيه بان الوصول الى المتمة كان غايتهم : " واما نحن بحمد الله تعالى خلاف المتمة مايكون لنا وقوف دونها على مقتضى اشارة سيد الجميع خليفة المهدى عليه السلام " (١) وكان محمود قد تاخر عن الجيش فتقدم الجيش حتى وصل الى جهة الهوجى وعندئذ علم محمود بحركة عبدالله ودسعد فى المتمة ففضل ان يسبق الجيش حتى يلحق هو به ويدخل معهم سويا فارسل اليهم خطابا فى ٢٧ محرم يأمرهم فيه بانتظاره بالهوجى لحين وصوله اليهم " نبدى سيدى انه لوجوب الحزم فى كل الامور والاحتياط فى امر الحروب دون غيره من الشؤون كان فيما حررناه لك الى الاخوان رؤساء الجيش اشرنا لهم بانهم اذا لم يتيسر دخولهم بالمتمة قبل وصول محررنا فالاولى ان ينتظروا وقد كان ووصل اليهم الامر وهم على حالة القيام من الهوجى فتاخروا على موجبه حالة كونهم مستعدين ومنتظرين لقدومنا ويومنا هذا تم وصولنا بجهة مديسيه ضحى ومنها قايمين فى ظهر هذا اليوم

---

(١) مهديه ١/٨/٣/٣ من على السنوسى والبشارى ريده وصالح ابو وعبدالقادر دليل الى محمود احمد بتاريخ ليلة ٢٢ محرم سنة ١٣١٠ •

وبكرة ان شاء الله نجتمع على الجيش ونصير توجهنا للمتمة سويا ودخوله ." (١)

وكان كل هم محمود الوصول الى المتمة لانها كانت ملتقى للطرق المارة من الصحراء ومن النيل والمؤدية الى امدرمان وقد كان يعتقد بانها انسب مكان بالنسبة له للقاء جيش كتشنر الذى كان يتوقع حضوره زحفا عبر الصحراء بطريق جقدول . اما الجهات التى تقع شمال المتمة فلم يكن الاهتمام بها كثيرا فقد كتب الخليفه الى محمود فى ٤ صفر سنة ١٣١٥ (٢) ان يرسل احدا ممن معه الى بربر اذا دعت الى ذلك الضرورة والا تكون للشخص المعين الى بربر مهمة اكثر من الاستكشاف " فنعلمك انه اذا اقتضت المصلحة توجه احد الاصحاب لجهة بربر نحيث ان المكرم على فرفار والاصحاب الذين معه لهم الاسبقية فى الجهة وقد نصرهم الله على اعداء الدين فالانسان الذى توجهه لبربر اشترط عليه عدم التشويش عليهم .... والانسان الذى يتوجه تكون اعتناءه بكشف احوال الجهة ومعرفة احوال الاعداء والاستعداد لصدهم ." (٣) وقد تحير محمود فى اختيار الشخص المناسب لبربر

---

(١) مهدية ١/٨/١/١/٣/٢٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١٠ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣١٥ .. ينبغى ان تعين انسان حازم وتوجهه لبربر وتوصيه بما فيه الكفاية من امور الحزم والتيقظ ورفع الاحوال ..

(٣) مهدية ١/٢٨/٤/٣٦ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ .

" سيدى ان مركز بربر نراه مهم وقد اشكل علينا امر الانسان الذى نعينه به لاننا لاندرى هل نعين انسان بدون جيش ويكون غير روساء الارباع ام نعينه بجيشه وهل الاولى تعين احد عمال الارباع بربعه ام غيره (١) ولكن مع جهره فقد اخطر محمود اثنين من الامراء الذين معه ليكلفهم بمهمة الذهاب الى بربر وقد فضل احدهما على الاخر لانه اكثر مقدرة على استكشاف اخبار الاعداء " وان كان من عمال الارباع فلا نرى اليق من اثنين وهما البشارى ريده وعبدالقادر دليل وكلاهما .وحزم ورأى وهمة ولكن عبدالقادر دليل اكثر فى استكشاف الاخبار وزيادة الاحتراز فان وافق تعيين احدهما بدون ربعه ليتوجه للجيش الذى بربر ليستلمه ويقيم هناك نلترشد اليه سيدى ." (٢)

ورغم ازدياد الاهتمام بامر بربر الا انه لم يرق الى درجة التفكير فى التحرك بالجيش كله شمالا من المتمة فالخليفه مازال يوصى محمودا بالانتباه للاعداء بجهة جقدول " وارسل الاصحاب والدوريات ليرصدوا الاثار بجهة جقدول وخلافهما من الاماكن الممكن الوصول اليها ... وجهات بربر انتكر للمصالح بها .. " (٣) ولكن وصلت الى الخليفه بعض الاخبار من ادم يحى ابى الخليل تفيد احتمال تحرك جيش كتشنر بجهات بربر فكتب لمحمود يوصيه بزيادة الاهتمام بامر بربر ويرفق له المكاتبات التى وصلته من جهات ادم يحى ابى الخليل .

---

(١) مهديه ١/٨/١/١/٨/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مهدية ١/٢٨/٤/١٩ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥ .

" اما جهة بربر فامرها مهم جدا لانها موالية لجهة الاعداء والاجوبه الوارده من جهة ابى الخليل مفيدة تحرك الاعداء وترديهم فى الدكايد وهاهى واصلة اليك تبعد تظرك لامانع من تعين المكرم عبدالقادر دليل بربعه لجهة بربر وناس المكرم على فرفار حيث انهم صاروا من ضمن من معك فان رأيت المصلحة فى ان يكون الرمى المكرم عبدالقادر دليل نفسره باكرام ناس على فرفار والاتحاد معهم ومشاورتهم "(١) ثم الحقه بامر اخر بعد ذلك بيومين يستعجله فيه لتعين شخص ليقوم بامر بربر " فتعلمك ايها المكرم الاتقد اسبقنا لكم القول قبل هذا مع ابد بشاره بتعين عبدالقادر دليل للاقامه بمركز بربر لاجل مسكه ورفع الاخبار لكم فبوصول امرنا هذا اليك فانظر فيمن توجهه لمركز بربر بمعرفتك ومن ترى فيه الكفاية للقيام بهذه المصلحة وتتوسم فيه اللياقه لها ويحصل الاتفاق عليه بالمشورة المسنونة سواء كان عبدالقادر دليل او غيره من رؤساء الارباع او غيرهم ممن ترى فيه اللياقه بذاك فمعك الاذن فى توجيهه الى ذلك المركز ." (٢) وشاور محمود من معه فاتفقت المشورة على تعيين البشارى رحده لبربر لعدة اسباب ذكرها محمود فى خطابه الى الخليفه فى ١٩ صفر سنة ١٣١٥ " تهدى سيدى اه بخصوص ورود نعم الاوامركم السابقة واللاحقة بخصوص مسالة بربر وان تعين لها احد الاصحاب للقيام بمصلحة الدين فيها .

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/٢٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٣ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٢٨/٤/٢٩ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٣١٥ .

قد حصل الاهتمام منا في ذلك وصرنا متفكرين متدبرين في امرها وبعد طول التفكر ثم بعد مشاورة الاخوان ورؤساء الارباع جميعهم ومعهم المكرم محمد بشاره اتفقت المشورة من محمد بشارة والمطا اصول وعبدالقادر دليل بتعيين المكرم البشاري بيده بربعه لها وباقي الاخوان تتابعوا عليهم بموافقة ذلك ."(١)

" ثم بعد ذلك نظر لمحمود لاول مرة ان كتشنر قد لا يحضر بطريق جقدول بل قد يحضر من طريق بربر ((ولكن عرض لداعيكم في امره بل في امر بربر جميعه ماوجب الاسترشاد حيث ان امر الحرب يقتضي ان لانكتم من جنابكم مايختلج بفكرنا سواء وقع موقع الصواب او لم يقع وان كان نعرف من نفسنا العجز والتقصير وعدم معرفة ادنى شئ من وجوه التدابير اذ ماعلينا الا الاجتهاد ومن سيادتكم ارشادنا الى السداد وذلك الذى خطر ببالنا ان هؤلاء الكفرة خذلهم الله تعالى بحسب المترأى انهم سيتحركوا اولا على جهة بربر لقربها وموالاتها واذا كان كذلك وداعيكم ومن معه مقيمين بالمتمة فكيف العمل للاصحاب الذين ببربر فهل يكافحوا الكفرة لوحدهم ام تتوجه لهم بمن معنا عند اقتراب الكفرة او نجمعهم علينا ام كيف . فان كان يكافحوا وحدهم نعبدكم مع قصر فهمه يرى هذا خارج عن الحزم بل عرضه للفشل ودخول الخلل وان كان يجتمعوا علينا بعد تحرك الاعداء فهذا ايضا كمثل حرابتهم لوحدهم وقد تكررت الخواطر وتضاربت الافكار حتى صار عدكم في غاية المشغولية به .)) (٢)

---

(١) مهديه ١/٨/١/٢٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

بل ان محمودا فى هذا الخطاب لمح بفكرة التحرك بالجيش
جميعه الى بربر والاستعداد بها فهو يقول بعد ان اوضح
ما عرض له من امر بربر وتحرك الاعداء بها " ومن الوجوب
ان يكون استعداد الجيش بالمحل كاستعداده بالاسلحة
والجبه خاء بل مساعدة المحل نكايته بالكثرة عظيمة
حيث تتهيأ المراصد الطرق من بدرى الوقت ويقيم
الجيش فى الجهة مدة ايام ليعرف مراصدها ويتخذ مايلزم
للحرب من مكايده))(١) ولكنه رغم هذا التلميح لايستعد
بالجيش جميعه للتحرك شمالا بل يعمل على امداد البشارى
بمدد ليذهب بربعه الى بربر " اما المكرم البشارى بمدده
فانا مديناه يوم تاريخه بالفعل ووجهناه بربعه وحررنا الى
المكرم على فرقار بالاتحاد معه فى مصلحة الدين والامتثال
اليه ومؤازرته ظاهرا وباطنا واكدنا عليه بالتحرز من
الاعداء واستكشاف اخبارهم ورفعها اول باول))(٢) ولكن قبل
ان يصل هذا المكتوب بتعيين البشارى الى امدرمان كان
الخليفة قد اتخذ قرارا بتعيين شخص اخر لبربر هو محمد
الزاكى عثمان وكتب بذلك الى محمود فى ١٧ صفر " فنعلمك
ايها المكرم ان القصد مساعدتك فى امر الدين وراحتك
ولذلك رأينا ان تنظر من باب وجه المصلحة فى جهة بربر
وحصول الثمرة فان رأيت اوفقية توجيه المكرم الزاكى عثمان اليك

---

(١) نفس المصدر السابق
(٢) نفس المصدر السابق

كي يتعين لجهة بربر ليبحث، بهما قاته على سبوق معرفة من أحوالها وله المعرفة بالادارة والاهالي لهم الف به وسابق ماأبناه الا بعض الروسا فمان وافقك ارساله فأخر الان ارسال احد للجهة وحالا خاطبنا لتوسل لك المكرم المذكور))(١)

ونلاحظ في هذا التعيين عدم الاخذ بما عرض لمحمود في امر بربر من احتمال تحول جيش كتشنر بتلك الجهات ولذلك فقد تأجل ارسال البشارى وبده وتأخر ارسال الجيش الذى كان سيرافقه وارسل بدلا منه شخص ليس من اهل الحرب وفقد عرف من الزاكى انه كان رجل دين وكبيرا في السن وكان صاحب " خلوة " لتدريس القران ولم يكن من اهل الشدائد الذين يرسلون في المقدمة ، وذلك عندما تم تعيينه طلب محمود من الخليفه ان يذكر الزاكي بهذه الشدائد " وانما توجهوا ياسيدى عند تعديته بهنا تتكرر له المذاكرات بما يلزم في مثل هذه الايام التى هي محض اكتساب الخيرات والرغبة فيما عند الله .. وان يترك الراحات جانبا ويقوم لله راغبا كما هو الظن فيه)) (٢) وكان من اهم الواجبات التى طلبت من الزاكي هى كشف الاخبار وليس الاستعداد لملاقاة العدو الذى قد يحضر بتلك الجهات ((وان مايلزم ايضا كشف الاخبار فانه لاشئ ادم منها .)) (٣)

---

(١) مهديه ٢٨/١ /٤/ ٣٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/١/٢٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢١ صفر سنة ١٣١٥ .

(٣) نفس المصدر السابق .

" وركز محمود على جمع الجيش فى المتمة فقد ارسل اليه الخليفه بعض الفرق من جيش احمد فضيل فى القضارف " نبدى سيدى ان امرتم الكريم المؤرخ له ٨ الجارى المتضمن ان اخواننا المكرمين فضل المسنه وعبدالله حامد توجهوا تحوط باربابهما وان تقابلهم بالاكرام والبشاشه ولين الجانب وان كان اقاموا بالشرق فهو اصوب لان القصد فى ارسالهم نكاية المنافقين واظهار صولة الدين)) (١) وقد اكد محمود وصول هذه الفرق بخطابه الى الخليفه فى ١٧ صفر ((والحال سيدى ان الاخوان المذكورين قد وصلوا بحلة الحوش قصاد المتمة بيوم الخميس الموافق ١٤ الجارى وخابرونا بوصولهم وحررنا لهم ما يجبر خواطرهم وامرناهم بان ياخذوا الراحة لغاية يوم الاثنين القابل الموافق ١٩ الجارى ثم يحضروا فيه باشخاصهما للمقابلة والمذاكرة فى تحولهم بالجيش الى الجهة الموافقة وحسب ما نراه ان اقامتهم بحلة شندى اولى وبعد المداولة فما يستقر عليه الرأى نرفعه لعلوكم الكريم))(٢)

" وقد اذن الخليفه لمحمود كذلك بمكاتبة عثمان دقنة على شريطة ان يكون مؤدبا معه فى ذلك ((ايها المكرم لايخفاك ان المكرم عثمان ابى بكر دقنة هو العون والعضد والشريك فى الهم الدينى وكان الاخوان القبلك ليسو مؤدبين واجب حقه وانت حرى متدثر بمعرفة حق المذكور فواصله بالاجوبة الحسنة والتكن المحبة بينكم كاحسن حال والسلام))(٣)

---

(١) مهدية ١/٨/١/١٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٢٨/٤/١٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٤ صفر سنة ١٣١٥ .

" وتوسعت مسئوليات محمود وكثرت اعداد الفرق التى صارت تحت امرته ولكنها كانت مشتته فالجيش الذى حضر معه من امدرمان زادت اليه فرق من الخيول وصلت اليه زمرة بعد زمرة ثم صارت الفرق التى فى بربر تحت امرته ثم جاءت اليها فرق من القضارف ثم كاتب عثمان دقنه تمهيدا لضم جيشه اليه ، وكان لابد من جمع هذا الجيش فى مكان واحد • وفى الوقت الذى كان يعتقد فيه محمود بان احسن مكان لجمع ذلك الجيش هو جهة المتمة فقد كان الخليفه على عكس ذلك يعتقد بان خير مكان لجمع الجيش هو جهة بربر ((اما اجتماع الجيش فى مكان واحد فذلك هو الرأى المفيد والقول السديد وان الجهة الذى لابد لكم من التوجه لها هى جهة بربر وهى مركز الجيش لان توجه الجيش بها ضرورى ••• لان العدو اذا سولت له نفسه الحضور فمحل مكافحته لابد ان تكون بين بربر والرباطاب كى تكون جهة بربر كلها خلف الاصحاب لاتصال المدد من البقعة ومن جهة المكرم عثمان دقنه اذا ازمت المصلحة له • واما العدو اذا صار تكسته ببربر وام يحصر زحوفكم عليها بالجيش واقامة الجيش بها والانتكار لمحلات المراصد كما ذكرنا من بدرى تحصل صعوبة لان الاعداء تعويلهم هو على الوابورات والوابورات من قسمر بطوابى وخط نار حصين تصعب مكافحتها وقد رأيت الوابورات عند حصار الخرطوم كيف اتعبت الاصحاب حتى حصل الاعتنا بالمتاريس بواسطة ناس المرحوم ابى عنجه وود النجومى))(١) وكان هذا بمثابة الامر لمحمود ومن معه بالاستعداد للتحرك الى جهات بربر •

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/٤٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٣١٥ •

ويستعد محمود ومن معه لتنفيذ ذلك الامر بل يذكر بعض الامور التي تشجعه على التحرك الى جهات بربر فقد وصلته اخبار من ادم يحى ابى الخليل ومحمد الزين حسن بابى حمد والرباطاب بتحركات جيش كتشنر تفيد بانهم كانوا فعلا قد تحركوا من طريق جقدول ولكن عندما عرفوا ان المتمة قد وقعت تحت سيطرة الانصار قفلوا راجعين ((ومن ذلك انه وردت لنا اجوبه من المكرمين محمد الزين حسن وادم يحى ابو الخليل يذكروا بها اخبار اعداء الله الكفرة مقيمون بمحلاتهم وامداداتهم واردة اليهم بالتواتر وحركاتهم حثيثه وطائ زعمهم الان وما عزموا عليه سابقا عندما بلغهم تحرك الهالك عبدالله سعد ... وقد زادت بها الهمم نشاطا والنفوس انبساطا لان الجهاد هو الموسم الاكبر وبه الحظ الاوفر لمن له فى الاخرة ادنى متجر والحمدلله فان داعيكم ومن معه على وثوق تام بان الله يهلك هؤلاء الكفرة هلاكا يكون عبرة للمعتبرين ... وقد اتضح لنا الان انهم تحركوا بطريق جقدول بناء على التماس الهالك عبدالله سعد لقدومهم اليه وسلكوا الطريق الفوقانى الى ان وصلوا جقدول المذكورة وكان وصولهم اليها بعد واقعة المتمة بخمسة ستة ايام ولما بلغهم خبر دخولنا المتمة وهلاك من فيها داخلهم من الخوف والرعب مالايعبر عنه وارتجعوا هاربين خائفين.))(١)

---

(١) مهديه ١/٨/١/٣٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ . يتحدث محمود فى هذا الخطاب عن الفرقة التى ارسلها "رندل" لنجدة عبدالله سعد .

ممـا رفع روح محمود المعنوية وطـاء على مقـدرته على ادخال الرعب فى قلـوب اعـدائه " وزاد همـه نشـاطا " وهناك أمر آخر جعل تحرك الجيش الى بربر ضـروريـا وهو ((ثم انه ورد جواب من ادم بحى ابى الـخليل يذكر به احوال الجيش الـــذى معه وارتجاع افـــلابه الى بربر وانه خرج من يده لاخر صـــابه وذات جوابه واصل على هذا ولاشـك انه يتحرك الجيش من هنا نحوهم يزول كل فشل وخلل بعون الله تعالى)) (١)

واقتنع محمود بان التحرك بالجيش الى جهات بربر شـئ لابـد منه " وقـد صـار التحرك بالجيش نحو محـلات الشـلالات والمضـايق امـر لابد منه لاجل الاسـتعداد مـــن بـدرى واتخاذ الوســايط والاحتيـاطات اللازمـه)) (٢) ولكـن قـبل ان يتحرك كان لابـد له من الاطـمئنان على مؤخرتــــه لضمـان وصـول المـدد له من امدرمـان ولابـد له كذلك مـن اخذ المؤن والذخـائر الكافيـه • وهنا يبرز جليا الخـــلاف بين تفكيــر محمـود ومن معه المعتمـد عـلى واقعهم الـذى يحتم عـليهم تـدبيـر مؤنهم واعتمـادهم عـلى مركز ليمدهم بهذه المؤن مع ضمان خطـوط المواصلات بينهم وبين هذا المركز ، وبين تفكير الخليفه الـذى يعتمـد عـلى خبرته الماضية ايام كـــان الاهالى يسـاعدون جيش المهدية • لهذا نجد محمـود يكـتـب

---

(١) نفـس المصـــدر الســابق
(٢) نفس الخطـاب ســابقه

الى الخليفه عند ازمعاه السفر من المتمة ((فنرجوا استعجال الجيش الكفاية الى المتمه هذه واقامته فيها كونها من المفازات المهمة والا فالامر لنظركم سيدى ٠)) (١) وهذا ليطمئن الى ان مؤخرة فى امان ثم يطلب بعض المؤن والذخائر " نهدى سيدى حيث ان الاشارة الكريمة اقتضت قيام الجيش نحو بربر ومنها الى محلات المضايق والشلالات لاتخاذ المراصد والطوابى وتلك الحالة تحتاج الى المدافع الكفاية بالشرق والغرب والان ليس معنا من المدافع الا قليل فلذا قد استعجلوا جميع الاخوان التماس زيادة المدافع والطوبجية واستعجلوا ايضا ان تلتمس لهم بارسال جانب من اسلحة الرمنتون ولو الف بندقية فقط لاجل تفريقها على اولاد العرب خاصة لان اسلحتهم قليلة)) (٢) وصل اليه رد الخليفه على ذلك ((فنعلمك ان جوابك الذاكر فيه لزوم الالف بندقيه لزيادة الاستعداد ولزوم المدافع الخ مابه قد وصل وفهم ونقول لك ايها المكرم انا نحب لك التاييد والتسديد ونحب ان ينصر الله سبحانه الدين على يدك ولعلمنا ان النصرة هى من الله سبحانه وان الوثوق به سبحانه هو اقوى سبب فانا نحبك ان تكن واثقا معتمدا عليه طالبا منه العون والنصره وبفضل الله سبحانه ان الاسلحة التى معك بكثرة وكذلك الاسلحة التى بجهة بربر والدرة وان جهة الجعليين اذا دققتم بالاوجه المناسبة فى الاستحصال على الاسلحة النارية التى ممكن جمعها بلا شوشرة ممكن ومع ذلك كله فليكن القلب واثقا بالله

---

(١) نفس المصدر السابق نفس الخطاب سابقة

(٢) مهديه ٣٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٠ ٠

فان سبحانه يقول وما النصر الا من عند الله وهذه الامه قتالها هو بالدين ليس بالدنيه لان الدنيا لاتغلب دينا فافهم ذلك واعلم انا نوى ان نتول عوضا من الالف بندقية توكلات على رب البريه بخالص القلب وصفاء النيه فان الله يحب المتوكلين وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه)) (١)

وفى يوم ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ وصلت الى محمود تقارير من جهة بربر تستدعى الاهتمام بامر تلك الجهة وضرورة التحرك اليها " نبدى سيدى انه بيوم تاريخه وردت لنا اجوبة من المكرم محمد الزاكى عثمان بتاريخ ١٠ الجارى تتضمن ان الكفرة خذلهم الله تعالى وصلوا بابى حمد وحاربوا المكرم محمد الزين حسن وانه فاز بالشهادة .. وبوقته قد زاد الاهتمام من داعيكم بامر الجهاد وشرعنا فى القيام نحو بربر بالجيش جميعه لاننا رأينا ان تفريقه فى هذه الايام لايوافق الحزم المطلوب)) (٢)

وقد كانت بعض فرق الجيش بالشرق فطلب منهم محمود الاجتماع مع بقية الجيش وذلك لان جهة الشرق بها العاقيب واذا تحرك الجيش بتلك الجهات فربما ادى ذلك الى خرابها *

---

(١) مهديه ١/١٨/٤٠ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٨ ربيع أول سنة ١٣١٥ .
(٢) مهدية ١/٨/١/٤٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع أول سنة ١٣١٥ .

نبدى سيدى ان الجيش الذى بالشرق تحت قيادة المكرم فضل الحسنة وعبدالله حامد فمنذ حضوره بل قبل وصوله تراكمت الشكوى من اهالى الجهة فى تعديه عليهم واخذ اموالهم وتعلقاتهم وضرب البعض بالرصاص حتى صارت كالجهة الغربية فى الخراب ٠٠٠٠ وبالنظر لذلك وكون جهة المكرم الحاج حمد محمد المجذوب لم يسبق لها خراب والحالة هذه صار الجيش كله متوجه نحو بربر وهم اذا سلكوا طريق الشرق فيخربوا الجهة جميعها فلذا رأينا بعد مشورة الاخوان واتفاقهم ان يكون قطوع الجيش عليك وسيره معك سويا ٠٠٠٠ فنرجوا مع الموافقة صدور الامر لنا ولهم بذلك والا فالامر لما ترو ((فوض والسلا))(١) وقد بدأت هذه الفرق عبور النهر الى الغرب بالفعل بعد ان وصلتها الاوامر بذلك ٠ ومن جهة اخرى شرعت الفرق الاخرى التى كانت بالمتمة فى التحرك وحيث ان التاخير فى مثل هذه الحالة لايوافق ويحصل به الفوات التى لاتكن مداركه واذا انتظرنا الرد ربما يفوت فوات فنقيد اخذنا الجيش جميعه بحسب رأينا القاصر وتوكلنا على الله تعالى وفى الليلة القادمة هذه لابد من صرف الجهة خاله الموجوده والمنظور انها قليله ٠٠ ثم فى تاريخه حررنا الى المكرم محمد الزاكى عثمان بقدومنا وحررنا ايضا الى

---

(١) مهديه ٤٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ ٠

المكرم ادم يحى ابى الخليل اذا أمكنه الصبر وانتظار قدومنا في محله فهو اولى والا فينتظرنا في الجهة الموافقة له وعلى الجملة فانه ايام الجهاد حركاتها وقتية والتأخير فيها لايمكن وانتظار الرد فيما يحصل في الفوات كذلك لايوافق فلذا كلما نراه من اوجه الحزم سنجريه ونرفعه لعلمكم الكريم)) (١) وقد وافق الخليفه على هذه الاجراءات التي اتخذت في خطابه لمحمود بتاريخ ١٠ ربيع أول سنة ١٣١٠ (٢) وكتب محمود الى الزاكى عثمان مؤكدا تحركه بالفعل من المتمة " حبيبى انه بوقته اهتممنا في القيام وبعون الله تعالى ساعة تحريره خرجنا من المتمة بكامل الجيش بل حوزنا هذا وندن بمسافة منه وماكان تاخيرنا بهاض هذا النهار الماضى الا انتظار الاخوان الذين بالشرق فبطلاته بمشورة الرؤساء اتفقت بجمعهم عليها والقيام مرة واحده نحوكم والحالة هذه قد استكمل تطريهم وعموم بكره هذا نحن وهم قايمين خفانى وليس لنا تاخير سوى مسافة الطريق ان شاء الله تعالى .))(٣)

وعسكر محمود بجيشه خارج المتمة بنية التحرك شمالا الى بربر ولكن وصلته بعض المعلومات التى جعلته يرتبك في تحركاته ويصير في حيرة بين التحرك شمالا والبقاء في المتمة فارسل جزا من الجيش تحت قيادة عبدالقادر دليل ليتقدمه الى جهات بربر وبقى ببقية الفرق الاخرى في انتظار رأى الخليفه .

---

(١) مهديه ١/٨/١/٤٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٠ .

(٢) مهديه ١/٢٨/٤/٦٣ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٠ ربيع اول سنة ١٣١٠ .

(٣) مهدية ١/٨/١/٤٩ ك من محمود الى الخليفه بتاريخ ليلة ١٠ ربيع اول سنة ١٣١٠ .

صوره ماتحرر من محمود للاإكى .

نهدى سيدى اننا كنا رفعنا لسيادتكم غير مرة قيامنا من المتمة وانه لا تأخير لنا سوى انتظار اجتماع ناس المكرم فضل الحسنة بمن معه علينا وقد كان واجتمعوا علينا امس تاريخه لداعى تفرق ناساتهم بالشرق وعلى حسب مارفعناه من السفر بالجيش كان خروجنا من المتمة بغاية الاستعداد الذى هو فى طاقتنا وصرنا على وشبة القيام بل كل يوم فنحن فى حركة السفر نحو بربر الا ان الاحوال لم تساعد بالقيام مرة واحده ولما لم يتأتى ذلك تراءى لداعيكم بعد المشورة قيامه على طوايف ويوم اول امس هذا وجهنا المكرم عبدالقادر دليل بربعه وعازمين على توجيه المكرمين فضل الحسنه وعبدالله حامد يومنا هذا باشره ونقوم بعدهما بباقى الارباع جميعها بدون تأخير الى ان اتانا الخبر من جهة جقدول كما اوضحناه فى الجواب مرفوقه (١) ورأينا شاهد صدق بما موضح بجواب ادم يحى ابى الخليل حيث اورى انه ستحضر الى جقدول ثمانيه عسكرى وتسعايه خيالة فبعد النظر والمشورة فى هذا الامر حررنا الى المكرم عبدالقادر دليل بأن ينتظر بجهة الكتياب ولا يتجاوزها ... رأينا ان نتأخر بمن معنا لغاية ورود الرد من هذا بما تراه سيادتكم .))(٢)

وكان محمود يفضل الرجوع بجيشه مرة اخرى الى المتمة لانه لا يريد ان يكون الطريق بينه وبين امدرمان معرضا للخطر مع قلة المؤن التى معه " نهدى سيدى انه لوجوب رفع الامور كلها لسيادتكم خصوصا احوال الجيش

---

(١) مهديه ١/٨/١/٠٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/٠٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

فى السفر والاقامة فهى هم المهمات وبالاخص فى هذه الايام ولذا فاتنا كنا رفعنا لجنابكم قيامنا نحو بربر ولم يتيسر السفر ولغاية تاريخه بخارج المتمة بكامل الجيش ولم يسافر منا الا المكرم عبدالقادر دليل كما اوضحنا ذلك بالجواب مرفوقة (١) ... وانما الذى جبرنا على التاخير مانراه من اهمية أمر الطريق وراءنا واننا اذا قمنا من المتمة ينسد الطريق مابيننا وبين البقعة المنوره ويتمكنوا الاعداء من هذه الجهة غاية التمكن)) (٢) وقال محمود انه قد تشاور مع من معه واستقر رأيهم على ضرورة البقاء المتمة وارسلوا مناديب منهم ليشرحوا وجهة نظرهم للخليفة " فقد صار من المحتم الواجب على داعيكم الالتفات الكلى للاحتياطات اللازمه .. وبالملاحظة لذلك تاخرنا بالجيش جميعه بعد اعتاق ارايه ولا ندرى هل هذا التاخير يوافق لدى سيادتكم ام لا فلذا ارسلنا رافعين هذا يشاره ولد خميس وشرف الدين هاشم وعبدالحميد محمد وحامد عيسى لاجل وصول هذا واعلام سيادتكم بحالنا وحال الجيش وكونهم من ذوى الرأى والتدبير والشفقة على الدين))(٣)

ولكن رد الخليفه جاء مخيبا لآمال محمود مصمما على ترك الجيش للمتمة مؤكدا الاوامر له بالتحرك نحو بربر " فنعلمك ايها المكرم ان الاجوبة المتحررة منك فى تاريخ ٢٤ الجارى (٢٣ الجارى

---

(١) مهدية ١/٨/١/٥٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/٦٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/١/٧٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

وصلت بطرفنا وجميع ما حوته من الاحوال والاخبار وماانتم عليه من التحزب والاخذ بالحزم والاستبشار فهمناه وقد شكرناك ايها المكرم وجزيناك الخير على ما فعلته من الهمه والحزم وحسن التدبير وكشف اخبار الاعداء حتى عرفت جلية امرهم واحطت علما بما هم عليه من اعمال المكيدة التى لا تجديهم نفعا بجهة جقدول ... وقد اسبقنا لك القول قبل هذا بالتوجه لجهة بربر لاجل حمايتها من الاعداء ومداركة الاستحواذ على الشلال الذى بنواحيها لاعمال المراصد فيه قبل تمكن الاعداء منه وترك المكرمين فضل الحسنه وعبدالله حامد فيمن معهم من الانصار بجهة المتمة بعد تحصينهم فيها وتكسير مالا لزوم له من حيطان المتمة ومنازلها ... فعلى حسب ماسبق تحريره اليك اولا فليكن ترك المذكورين اعنى فضل الحسنه وعبدالله حامد ومن معهم بمركز المتمة ... وخذ الجيش الذى معك من سابق وتوجه حالا على بركة الله لجهة بربر))(١)

وقبل ان يتحرك محمود تنفيذا لهذا الامر انتهى امر بربر بخروج الزاكى عثمان منها ورجوعه بجيشه وتركها للعبابدة بعد أن كان قد الح فى الطلب من محمود بوصول الجيش اليه دون جدوى ((والان ورد لنا جواب من المكرم محمد الزاكى عثمان يفيد قيامه ومن معه من مركز بربر وانحيازه الى الغرب من المقرن بالاسلحة والجبة خانة وذلك باسباب عدم ثبات الانصار وخروجهم من يده وحرقهم للديم والاشاعة بان وابور الكفرة حضر .. وبالنظر عدم امكان تأخير الرد منه فبمشورة

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/٨٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

عموم الاخوان فى شأنه حررنا له الرد بالحضور الى مركز شندى بكافة من معه وحررنا ايضا الى العكرم عثمان دقنه بمثل ذلك))(١)

ويتحرك الزاكى عثمان من بربر تتضح صورة الربكة والاضطراب الذى صار عليه جيش محمود فى تحركاته ، ففرق فضل الحسنه وعبدالله حامد طلب منها ان تعبر النيل من الشرق الى الغرب وعبدالقادر دليل طلب منه التحرك شمالا ولكنه اوقف بجهة الكتهاب فلا رجع الى المتمة ولا اكمل رحلته ، وبقية الفرق مع محمود خرجت خارج المتمة دون أن تستمر فى سيرها او تعود الى معسكرها، اما الزاكى عثمان فهو عائد فى الاتجاه المعاكس من بربر فى غاية الانحلال ، واما عثمان دقنه فقد صارت الفرق التى معه فى موضع حرج وطلب منه الحضور الى شندى . ولاحظ محمود ايضا ان جهة الشرق من النيل صارت خالية من الجيش وربما تحرك الجيش الغازى بتلك الجهات " ـــ مهدى انه بما تواتر لنا يومين تاريخه من خبر الطلائع ومن الهجانه الذين يحضروا من بربر ان الكفرة كلهم انحازوا الى الشرق حيث من حدا بى حمد الى غاية اخرهم بدنقلا صاروا بالشرق وذلك لما علم لهم من خلو الشرق من الجيوش لاغير ولذا فان وجود الجيش الكفاية بالشرق مطلوب))(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/١/٧٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

وازاء هذا الموقف وجد محمود نفسه متسمرا فى مكانه وهو فى حيرة شديدة من امره هل يتحرك نحو بربر اطاعة لاوامر الخليفه ام يرجع للمتمة ؟ وقد وصله خطاب من الخليفه بتاريخ ٢٨ ربيع اول يحثه فيه على الذهاب لبربر ليسبق الكفرة الى مكان المضايق والشلالات ، ويامره بتكسير حيطان المتمة ويترك بها فضل الحسنة وعبدالله حامد بعد تحصينها " ... والان ورد امركم الكريم المتضمن له ٢٨ ربيع اول سنة ١٣١٥ المتضمن الاشارة بقيامنا نحو بربر بعد تكسير حيطان المتمة وان نترك فيها فضل الحسنة وعبدالله حامد ... وقد ضاقت علينا الارض بما رحبت لان القيام بعد هذه الحالة ضرره كثير ولا ينتج منه الا الفشل واذا تاخرنا كان التاخير بخلاف الاشاره من جنابكم فاى الامرين خطر عظيم واملكتنا الحيرة وصرنا بحالة لايعلمها الا الله تعالى بين خواطر فى رجاء العفو تنشطنى واخرى عند ذكر الخطر فى تاخير الامر تثبطنى .))(١) ويعتذر محمود عن عدم اطاعة الاوامر المتعددة التى وصلته فى شأن التحرك الى بربر ويذكر اسبابا لذلك " ... فانى لما حضرت لهذه الجهة باشارتكم الكريمة لم يكن حضورى لاجل الاقامة بالمتمة ولا انى حضرت بتدبير استقل به ولا برأى استبد بعمله وانما حضرت باشارتكم الكريمة وحيثما وجهتنى الاشارة فانى طوعها ... وعلى ذلك كنت رفعت لجنابكم مايرد على خواطرى من جهة بربر وقد ورد الرد بالقيام الى محلات المضايق واتخاذ المراصد فشاورت من معى وتلوت عليهم امركم الكريم ولو لا الاشارة باستعمال المشورة لما كنت اشاورهم فافادوا بان القيام لا يوافق مالم يحضر لهم جيش ويستلم المتمه .. وفى هذا الكلام من ابايتهم للسفر

---

(١) مهدية ١/٨/١/٧٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

وعدم رضايهم به طالاخفاء فيه ثم غحصت من احوالهم واحوال الجهة بعد التدقيق ومعرفة الحقائق فرأيت ان التوجه الى بربر عين الصواب ... وشرعت فيه بالفعل فما امكن القيام لمدة دواعى ... فاولا الجيش الذى معنا قاطبة اعيانه وافراده شاورتهم وقلبت اراءهم فما احد منهم اشار بالقيام مطلقا بل كلهم رغبوا التأخير بالقطعة وذكروا فيه من الوجوه مالو جبرناهم على القيام معه لما استقام حالهم ... ثانيا تحقق لى ان القيام بعد معلومية حال الجيش بالصفة المتقدمة ضرره اكثر من الضرر بضياع بربر وجهاتها فصيرت حالة كونى مرتكبا لاخف الضررين لاغير .. وثالثا ان ذات اهالى بربر لا وثوق بهم فى الوفاء مع الانصار عند قدوم الكفرة لجهتهم والحزم يقتضى عدم تمكنهم منا ولو توجهنا لهم لكانت الشورى كلها اليهم فى اتخاذ المراصد وفى التدابير التى نعملها ولتمكنوا منا غاية التمكن وليس شئ اضر من ذلك فى هذه الحالة ورابعا ان قيامنا نحو بربر اقوى الدواعى لتمكن الكفرة من الجيش الذى معنا لان تدبيرهم كله مصروف فى شأنه)) (١) وقد قبل الخليفه الاعذار التى ذكرها محمود " فنعلمك ان جوابك المحرر فى ٩ الجارى المحرر ردا لما صدر لك فى كيفية القيام بالجيش لجهة بربر وايضاحك الاوجه التى اوجبت

---

(١) نفس المصدر السابق .

عدم التوجه وطلب السماح ٠٠الخ ماذكره وصل وفهم ووقع موقع الاستحسان والقبول ٠٠٠ وجميع ماذكره قد رأيناه مناسبا بوجه المصلحة حيث انك مأمون مقتدنا ولأن الشاهد يرى مالا يريه الغايب وانك غير متهم بالجبن ٠)) (١)

وبعد أن اطمأن محمود الى رضاء الخليفه جعل يستعرض موقفه من جديد فتذكر بان الطلائع التى كان قد ارسلها لاستكشاف الخبر قبل ان يتحرك من المتمة قد عادت وان اخبارها عن تحركات جيش كتشنر هى ((واخبرونا بان الكفرة تركوهم بابى حمد لم يتحركوا منها وان وابوراتهم من وراء الشلال لم تخلص منها الا اثنان وهى اصغرها والباقى اربعه ومتعذر خلوصها باسباب نقصان البحر وظهور احجار الشلال وذكروا ان وابوراتهم المتأخرة هى التى عليها المدار وانهم لايمكن تحركهم من ابى حمد مالم تستكمل وابوراتهم وذكروا ان احد الوابورات تعوق بالشلال وشاهدوه بامينتهم متركبا على الحجار وذكروا ان عربان الحسانيه سعد مقيمون بجقدول ومستعدين للحضور الى المتمة ومازال بعد يوم اويومين تاتيهم دورية من الكفرة على جمال تحرضهم وترجع وعدوهم بحضور الجيش الكفاية مع الهالك شياطين (٢) وحسن النجومى ٠٠٠ اما من جهة بربر لم يرد لنا خبر ولكن بلغنا شفاها بان المكرمين محمد الزاكى عثمان وعثمان ابى بكر دقنه

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/٨٨ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ ٠
(٢) يقصد به سلاطين ٠

اجتمعوا سويا وسايرين نحو شندي بالشرق حسب ماتحرر لهم منا سابقا)) (١)

ثم بعث محمود يتشكك فى امر حضور الكفرة ((واما الكفرة فلم يتحقق لنا ان جيوشهم وصلت بربر أم لم تصل ولابد من وضوح أمرهم ورفعه لسيادتكم على اثر هذا مفصلا ان شاء الله تعالى كما وقد بلغنا من الطلائع الذين كنا وجهناهم لجهة جقدول وحضروا يوم تاريخه بانه شاع عند العربان هناك بان جيش الكفرة جميعه سيحضر بطريق جقدول ومعه سردارهم والهالك سلاطين وانهم متواعدين مع الوابورات بيوم معلوم بالمقابلة بالمتمة فهم يحضروا من فوق وهي تحضر بالبحر وهذا الخبر بعيد عن الصحة بحسب القياس ولكنه ان صح فيالها من فتيهة باردة ونصرة تدوم احاديثها الى اخر الدهر بلا تعب بل بحول الله وقوته والظاهر أن هذا وغيره كله تهيلات وتدابير واهية .)) (٢)

ومن جهة اخرى استعرض الخليفه ومن معه الموقف فاستقر رأيهم على أن بقاء محمود وجيشه بالمتمة لم يعد يخدم غرضا ولابد من رجوعه الى السبلوقه لاقامة الطوابى بها وقد كتب الخليفه الى محمود بهذا المعنى في خطاب ارسله له في ١١ ربيع اخر سنة ١٣١٥ " نبدى سيدى ان امركم الكريم المزين له ١١ الجارى المتضمن الاوجه السديده

---

(١) مهديه ١/٨/١/٨٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ ربيع أخر سنة ١٣١٥ .

اما من خبر اجتماع الزاكي عثمان وعثمان دقنه فهو غير صحيح الا ان عثمان دقنه ضد رفض التحرك الا بامر مباشر من الخليفة راجع مهديه ١/٨/١/٨٠-٨٢-٨٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٣ ربيع اخر و١٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/٨١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

التى رأت سيادتكم موافقتها ثم اتفقت كلمة المسلمين عليها وهى عدم موافقة اقامة الجيش بالمتمة من حيث عدم وجود من يعاونه فى شوونه من اهل البلد ومن حيث عدم وجود فئة من المسلمين تلزم الحمايه عليها ومن حيث عدم موافقة المحل لاتخاذ الطوابى والمراصد الى اخر مابه من اننا نجمع اطرافنا ونحضر لجهة السبلوقه بكافة الجيش ولتنا الاذن فى الحضور اليها دفعة واحدة او ربع ربع ••• تشرفنا بوروده وفهم مافيه لاخره)) (١) وقد وافق محمود على التحرك لجهة السبلوقه ووعد بالاستعداد لعمل ذلك " والحال سيدى ان ماأرات سيادتكم موافقته واتفقت عليه كلمة المسلمين لاينبغى لنا ان نحيد من العمل به ولا ان نتاخر فى اجرايه ولكن من حيث انه اشهر بالحزم وجمع الاطراف فهما داعكم فى سماعة وروده حررنا لكافة الانصار المتبقين بالشرق والغرب للمصلحة ولجلب الغلال وغيرهم بالحضور عندنا سريعا بكافة علايقهم وحررنا ايضا للمكرم محمد الزاكى عثمان بالحضور عندنا بكافة من معه واما المكرم عثمان ابى بكر دقنه فلداعى ماتراه من اهمية عدم تاخيره هناك ولو لم يكن مذكورا بالامر فقد حررنا له بالحضور بكافة من معه ••• ولدى تكاملهم يصير قيامنا بهم نحو السبلوقة ان شاء الله تعالى ان كان دفعة واحده او على طايفتين بحسب ماتقتضيه المشورة ونرى فيه اوجه الحزم))(٢) ولكن رغم

---

(١) مهديه ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ •

(٢) نفس المصدر نفس الخطاب السابق " قبله "

موافقته على التحرك فان محموداً يستدرك ويقول

" ونقول سيدى انه لا محيد لنا من اتباع الاشارة والعمل بها غير ان القيام فيه جملة مضار فى الدين

اولها ان جهة التتمة هى الحزم لكثافة الطرق التى هى المظنة لحضور الكفرة بها كمثل طريق جقدول وطريق القرعاء وطريق ابوحراز وكتوسطها فى دار الجمليين .

ثانيا فان الجيش الذى مع داعيكم لايخفا سيادتكم حاله فى رغبته لاوطانه وفى انهم تركوا اولادهم ونساءهم فى الغرب وان الاغلب منهم مستجدين فى لزوم السرايا والصبر فى رباطات الجهاد واذا رأوا رجوع الجيش مع قرب العدو واقتراب زمن الملاقاة فلا يرد على افكارهم شئ سوى الانفلات والتسلل من الرايات شئ فشئ الى ان يحل نظامهم ويخرجوا من اليد بالكلية وينصرف الفكر فيهم اكثر من انصرافه الى الاعداء الان وهذه الحالة محتوم عندنا وقوعها اذا تحركنا بهم الى جهة السبلوقة المذكورة كما انه محتوم عندنا بحسب الظن انهم ماداموا هنا لايحصل منهم الا الثبات .. واما من جهة موافقة السبلوقة لاتخاذ الطوابى بالنظر لضيق البحر فان البحر لا حرب فيه غير الوابورات ويبعد بحسب القياس بما معلوم فى حال الكفرة ان يرسلوا وابوراتهم الى السبلوقة بدون جيش واذا كان المدار كله على جيشهم الذى بالبر وأن المتواتر فيه من الاخبار انه سيحضر ويحارب بالصحراء بدون ان يتستر بشئ وعلى هذا

فجهة المتمة اولى فى الحرب)) (١) ومرة اخرى رضى الخليفه بالامر الواقع ووافق على بقاء محمود وجيشه بالمتمة " فنعلمك ان جواباتك الذاكر فيها وصول ماشرحته لك فى كيفية الحضور بالسلوقة وايضاحك الاوجه الدالة على اصوبية الفضول بالمتمة التى ماذكرته وصل وفهم ووافق)) (٢)

ولكن المقام لم يطب لمحمود اذ سرعان ماحضرت اليه وابورات كتشنر وسببت له الكثير من القلق والازعاج وقد وصله خبرها قبل ان تصل اليه من الزاكى عثمان " تهدى سيدى اء قد علم لنا من الوصية التى اوصى لنا بها المكرم محمد الزاكى عثمان بان وابورات الكفرة ستحضر قريبا بالمتمة وعلم منها ايضا ان اهالى البلد جميعهم لا امان لهم .. وبهذا وما تواتر لنا سابقا من اهالى تسرى من مواصلتهم للكفرة بطريق جقدول واعمالهم بابراهيم الحاج محمد بن عم الهالك عبدالله سعد المقيم هناك وجلبهم للاخبار يوميا ورفع مايعلموه من احوال الجيش هنا واحوال البقعة المنورة))(٣) وقد بدأ محمود فى الاضطراب وشرع فى تهجير الاهالى وعدم الشفقة فيهم ومضايقتهم من اجل ذلك " وقد اوصى لنا معها بأن اولاد الريف الطوجيه لا امان لهم لان الذين معه هربوا وارتجعوا الى الكفرة وان اهالى البلد على عمومهم لا امان لهم بعد الذى شاهده منهم .)) (٤) وقد بدأت الوابورات بهزيمة الفرق المتقدمة من جيش محمود والتى كانت تحت قيادة عبدالقادر دليل ((ويومنا هذا

---

(١) مهدية ١/٨/١/٨٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/٤/٩٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٩ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

ورد لنا خطاب من المكرم عبدالقادر دليل يذكر به انه بعد قيامه من جهة الكتياب لحقته الوابورات بالطريق وجاوزته ثم ضربت الاصحاب وهى اثنين وقد كان ضربوها بالاسلحة فولت مدبرة ولم ترجع اليهم)) (١)

فى يوم ٢٠ ربيع اخر وصل الزاكى عثمان بجيش بربر الى المتمة راجعا اليها فى غاية الاضطراب والرغم من ان محمودا كان يشكو من عدم وجود جيش بالشرق ليمنع " الكفرة " من الوصول الى امدرمان من ذلك الطريق - بالرغم من ذلك فانه طلب من جيش الزاكى عثمان عبور النيل من الشرق الى الغرب " نهدى سيدى ان المكرم محمد الزاكى عثمان قد وصل عندنا بالمتمة والانصار الذين معه جارى قطوعهم من الشرق ومن يومنا هذا لحد بكره ان شاء الله يتكاملوا كلهم .. وهم نواهم فى غاية الانحلال حتى ان قطوعهم لم يكن الا بشق الانفس فضلا عن كثرة العلايق .)) (٢)

فى يوم ٢٥ ربيع اخر وصلت اخبار لمحمود بان جيش "الكفرة " ينوى الحضور بالوابورات لمحاربة عبدالقادر دليل وكذلك ستحضر جيوش من جقدول لذلك الغرض وبعد وصول تلك الاخبار ارسل محمود خمسمائة من الخيول لمساعدة عبدالقادر دليل (٣) وفى ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ ارسل محمود الى الخليفه يخبره بمحاربة الوابورات لبعض الانصار (٤) وفى يوم ١٨ جماد اول

---

(١) مهدية ١ / ٨ / ١ / ٨٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١ / ٨ / ١ / ٩١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١ / ٨ / ١ / ٩٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٥ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٤) مهدية ١ / ٨ / ١ / ١٠١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ .

حضرت الوابورات مرة اخرى " نهدى سيدى انه بيوم تاريخه الساعة اربعه نهارا قد حضرت وابورات الكفرة المتمة وهى ثلاثة ومنذ حضورها قربها من حلة شندى ضربت جلتهن ثم استمرت فى المضاربة لغاية تحرير هذا))(١) وفى ١١ ربيع اخر سنة ١٣١٥ يكتب محمود مرة اخرى عن حضور الوابورات ومحاربتها لهم (٢) واستمر حضور الوابورات خلال شهرى رجب وشعبان وفى خطابه للخليفه فى ٥ شعبان نجد محمودا يكتب ((نهدى سيدى انه منذ سبعه ايام قد صارت وابورات الكفرة تغيب يوما واحدا من جهرة سرديسة التى هى بمرأى العين من ديم المتمة وصارت تغب يوما وتضارب يوما ومع ذلك فانها مترددة بحيث كل يوم يحضر وابور اخر ويتوجه الذى قبله)) (٣) ووجود الوابورات بهذه الصفه جعل تحركات جيش محمود غاية فى الصعوبة اذ انها هددت كل طرق مواصلاته ((استقر سيدى ان الاخوان الذين بالشرق لابد من جمعهم علينا ولكن المراكب متعذره لان الوابورات اخذت بعضها فى محاربتها السابقة والذى فضل قليل جدا ولا نفع فيه حتى بمقاطعة الانصار فى هذه المدة توفوا منهم بالفرق نحو المايتان نفر وزيادة من عموم الانصار بخلاف البهايم والخيول وفى جميع امورنا معتمدين على الله ومتوكلين عليه لا على شىء

---

(١) مهديه ١١٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ جماد اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١٢٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ جماد اخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١٧٤/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ شعبان سنة ١٣١٥ .

من الاسباب انط هذا املام لجنابكم والامر مفوض والسلام))(١)
وقد كان اكبر ضرر حدث لمحمود من هذه الوابورات هو تهديدها
لخطوط تموينه من اليقعه فانه عندما اشتد عليه الضيق
طلب بعض المؤن من اليقعه ولكن الخليفة لم يجوز على ارسالها
له بالمتمة خوفا من تعرض الوابورات للمراكب التى كانت ستحملها ،
ولذلك فقد قرر الخليفه ارسالها الى وادى بشاره وارسل
محمود متاديب لاستلامها من هناك وترحيلها بالبر الى المتمه
" فنعلمك ايها المكرم انه بالنظر لشفقتنا على الاصحاب الذين
معكم واهتمامنا بامركم الجميع وان كان امر العيوش هنا متعسر
نظرا لتراكم الجيوش هنا من كل الجهات فها قد شحنت لكم المراكب
بالعيوش ومتوجه لطرف المكرم عبدالباقى عبدالوكيل لكى يضعها
لكم فى المحل الموافق تحت امانته فبوصول هذا اليكم فانظروا
باتفاقكم الجميع وانتدبوا حالا من تختاروه من الرجال الامناء
لاستلامها من المكرم عبدالباقى واصلوا الطريقة المؤدية لنقلها
اليكم بطريقة البر بغاية الصيانة والحفظ .)) (٢) وحتى بهذه
الطريقة فان طرق مواصلات محمود لم تكن فى امان وقد
ظلت على ذلك الحال الى أن اضطر محمود اخيرا لترك المتمة
تحت ضغط قلة المؤن وصعوبة وصولها اليه .

---

(١) نفس المصدر السابق .
(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١٠٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ
٢٥ رجب سنة ١٣١٥ .

اما تحركات كتشـــنر والفرق التى كانت معه فقـــد كانت ايضـا من اكبر الـدواعى التى ادت الى ازعـاج محمـــود وتركه فى وضع لا يستطيع معه اتخاذ رأى محدد وخطة يتحرك بمقتضـاها .. فتارة يتـأكد لمحمود بان جيوش كتشـــنر قـد تركـزت فى جهات دنقـلا وانها قـادمـة الى المتمة عن طـــريق جقـدول ولكن سـرعان مايتضح له قـدومها عن طـريق ابى حمد ، ثم يتأكد له وجود بعض الفـرق تحت قيـادة سـلاطـين ومعهم كثـير من العربان الموالين للحكومه ويتـأكد لديه انها قـد تحضـر الى المتمـة فى اى يـوم من الايـام ولكن تحضر جيوش كتشـــنر عن طـريق بربر وتسـتلمها ويتأكد لمحمود ان الجيش الذى سـيقابله سـالك طـريق النهـل نحوه ، ثم فجاة تصـــله الاخبـار بان هذه الجيوش قـد هاجمت جيوش عثمان دقنة بالشرق " نبـدى سـيدى انه بعد تحرير البوسـطة بالنهار المـاضـى هذا وتضمينها ماعندنـا من الاحوال قـد حضر بطرفنا بعـض الاصـحاب الـذين كانوا بالشـرق لطـلب المعايش وذكر انـه منـذ ثلاثة ايـام تقـابل مع موسى على دقنـه الذى هـــو الوكيل للمكرم عثمان ابى بكر دقنه وانه اعطاه جواب وقـــب منـه توصـيله الينا وصوله وتلاوته وجدناه محرر من على منطـالب (١) يذكر به قـيام تقطـتى القاشر واصـبرى بقصـــد محاربة الكفرة ومسالاتهم وقـد اشـتغل فـــكر داهـــكم)(٢)

---

(١) يقصـد عثمان دقنه وقـد كان المهدى قـد سمى خلفـاءه باسماء الخلفاء الراشـدين فسمى عثمان دقنه خليفة على بن ابى طـالب.

(٢) مهدية ١/٨/٦/٨٤من محمود الى الخليفه بتاريخ ليـــلة ١٥ شـعبان سنة ١٣١٥ .

بعد وصول جيش كتشـــنر لبربر تحركت بعض فرق الكشـافه تحت قيادة هنتر جنوبا على نهر العطبراوى واجلت الانصار من تقطتى القاشر واصبرى.

وقد كانت تحركات السردار نفسه مصدر قلق لمحمود فقد كان كتشنر يتحرك تارة بجهات دنقلا وتارة يرجع الى مصر ومرة يعرف محمود انه ذهب الى جهات مصوع " وايضا فان تحريك الكفرة على جهات الفاشر واصرى مما افادنا صحة الخبر المتقدم فى أن سردار الكفرة توجه لجهات مصوع لحصول الموافقة مع التليانى وكل هذا فلا يغنيهم شيئا اذ أمر الله تعالى لاتدفعه التحيلات ولا تؤثر فيه هذه التدابير .)) (١) وكذلك فقد لعبت تحركات العربان بجهات جقدول دورا بارزا فى عدم استقرار محمود وزعزعته وعدم رغبته فى ترك المتمة قبل أن يطمئن الى تأمين مؤخرته . وبقى محمود متسمرا فى المتمة لايبغى عنها حراكا وارهق جيشه بالتحركات عديمة الفائدة وبالعبور من الشرق الى الغرب على حساب راحة الجيش . وقد اتضح له اخيرا بأنه اضاع وقتا هاما فى التردد وعدم التقدم نحو بربر ففى ٧ جمادى اول سنة ١٣١٥ يكتب للخليفه بأنه قد اتضح له بان تأخيره بالمتمه فيه ضرر كبير له ولجيشه :"

---

(١) نفس المصدر السابق .

((واذا كان كذلك فان تاخير الكفرة عن الحرب الحالة هذه اذ صح امره لايكن اخسر منه للجيش هنا بل اذا صح فلا ينبغى التاخير بالمتمة وتجب المبادرة الى بربر لاسترجاعها منهم بقوة الله تعالى)) (١) اما عن جهة جقدول فاته يقول عنها ان طريقها قد يبس من المياه من الان تصاعد وصار متعذر قدومهم به الا ان يكونوا فى قلة لايعبأ بها ولا يوثروا معها فى شئ)) (٢) وقد طلب محمود على ذلك ان يأذن له الخليفه بالسفر الى بربر بشرط ان ترسل له الغلال التى تكفى لمؤونه الجيش وان تكون خطته فى التحرك هى ((ان يكون قيام الجيش بالشرق والغرب حسب الكفاية اما الغرب فدامهكم ومن معه يقوموا بامره واما الشرق فان كان يوافق احتاع الكرم احمد فضيل والمكرم عثمان ابى بكر دقنه بمن معهما ويزادوا بمن يلزم اليهما من الخيول ويتوجهوا بالشرق ويكون سيرنا وإياهم مرة واحدة كلا منا بمرأى العين لصاحبه ونجد السير حتى نصل بربر ونتجاوزها وننزل بابى حمد قريبا ان شاء الله تعالى ومنه الى اخر وجود الكفرة واستيصالهم بقدرة الله تعالى .)) (٣)

يوافق الخليفه على تحرك محمود بل يحثه على ذلك ويقول له انه لوكان قد عمل بالاشارات السابقة وتحرك الى هناك لما وجد نفسه فى هذا الوضع ولما تمكن اعداؤه من الاستيلاء على بربر قبله . ولكن تلك كانت مشيئة القدر والان فليتوكل محمود ومن معه ويستعدوا للسفر

---

(١) مهديه ١٠٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق

(٣) نفس المصدر السابق .

ولكنه يختلف معهم فى الخطة التى وضعوها للتحرك فهو يرى ان الجيش الذى مع محمود فيه الكفاية ولا يحتاج الى اى زيادة بل انه يجب عليهم ان يتركوا فضل الحسنة وحمدالله حامد فى المتمة عند تحركهم منها اما الجهة الشرقية فانه سيأمر عثمان دقنه بالمناوشات من تلك الجهات بعد تحرك محمود اما الغلال ((فلتكن فى امر الرزق والمعايش ثقتكم بالله قوية واعتقادكم عليه صادقا فان رزق المجاهد فى سيفه)) (١)

ولايرضى محمود بذلك فوجود جيش يرافقه بالشرق مهم عنده وهو يصر عليه وكذلك لابد من اخذ مايكفى الجيش من المؤن وبالتالى فانه لو لم يوافق الخليفه على هذه الخطة فاولى له ان يبقى فى المتمة وينتظر قدوم اعدائه فيها ((واذا لم يكن التوجيه لهم بالشرق والغرب بهذه الصفه فالاولى ان تكون اقامتنا بالمتمة هذه كما كنا وننتظرهم فيها حتى يحضروا لاننا اذا توجهنا لهم بجهة واحده فهو من باب المساعده لهم واقوى الدواعى لنيل اغراضهم لا اتم الله لهم غرضا ٠)) (٢)

ولكن الخليفه كان قد سئم المماطله وعدم رغبة محمود ومن معه فى التحرك نحو بربر فكتب اليهم ((ولما نديتم بامرنا للجهات البحرية ماكان القصد من توجيهكم الاقامة بالمتمة واستيطانها وانما القصد منه ضرب الاعداء ورفعهم عن جهات الاسلام التى استحوذوا عليها ٠٠ ولعلكم كنتم رأيتم وقتها ان المصلحة فى اقامتك بالمتمة والماضى لايعاد وقد سامحناكم

---

(١) مهدية ١١٦/٤/٢٨/١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٢ جماد اول سنة ١٣١٥ ٠

(٢) مهدية ١١٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ جماد اول سنة ١٣١٥ ٠

فيه لحسن ظننا بكم ولكن نراكم الى الان مصرين على الاقامة بالمتمة حتى مس الجيش الذى معكم الضرر مع قرب الاعداء منكم مع ماهو معلوم لديكم من أن رزق المجاهد فى سيفه وانكم كل ماتاخرتم من جهاد الاعداء فالضرر يتمكن فيكم)) (١)

ولم يبق لمحمود ومن معه الا التحرك من المتمة الى بربر " .. وحيث ان الاشاره صرحت لنا الان بان الاقامة فى المتمة لامصلحة فيها فكذلك رأينا باجمعنا اتفاقا ان الاقامة بالمتمة لامصلحة فيها ورفضناها بالكلية بل رأينا ان الاقامة بعد هذا ضررها عظيم ولهذا فبعد المشورة اتفقنا على القيام والتوجه الى بربر بحالة الخفة كما ومن قبل ذلك عازمين السفر اليها ... وقد عزمنا اكيدا حتى اخواننا الغايبون المذكورون اتفاقهم معنا فى هذا الاتفاق وفى يوم هذا اخذنا فى الاهبة والاستعداد سرا لانه لم يعلم بذلك احد مطلقا حتى ترد لنا الاشارة الكريمة من جنابكم ..)) (٢) ولكنهم فضلوا ان يوضحوا الحالة التى آل اليها الجيش قبل ان يتحركوا لعل الخليفة يرأف بهم بعض الشئ ويلفت نظره اليهم واقترحوا ان يسمح لهم بالتحرك بجهة الشرق لان جهة الغرب صارت قاحلة للغاية ((..وقد ال امرهم الان الى حالة ليس بعدها شئ من الضيق حيث صارت النقط الموضوعة بالشرق والغرب لضبط الطرق تخابرنا بما ليس فى الطاقة الصبر عليه ....

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/١٥٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٨ رجب سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١/١٦٦/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٣١٥ .

هذا بخلاف الحالة المشاهدة فيهم بالديم من شدة المضايقة التى لا تطيق القوى البشرية الصبر عليها ... وايضا فانا نرى بحسب رأينا القاصر ان طريق الشرق اولى لنا واحسن وذلك من باب الشفقة على الجيش لاغير لانه وان لم يكن به شئ من الغلال كما تحقق عندنا لكن لاتنعدم بعض الاعشاب التى تنفع الخيول والبهايم وبعض الناس ايضا فان سكة الحديد التى هى اعتماد الكفرة فانها بالشرق .))(١)

وقبل ان يتحرك الجيش جميعه بطريق الشرق شرع محمود فى جمع اطرافه وحتى الفرق التى كانت بالشرق صار جميعها الى الغرب اولا ((حتى .. صارت المرضات فى هذه الايام قريبا من حالة الجيش الاولى)) (٢) ثم بعد ذلك شرع فى العبور بالجيش كله مرة اخرى الى الشرق " نبدى سيدى ان امركم الكريم العزيز له ٢٦ شعبان المتضمن الاذن لدامكم ومن معه القطوع للجهة الشرقية والتوجه الى بربر على طول لضرب الاعداء ..تشرفنا بوروده .. وفهمناه والحال سيدى اما من جهة القطوع للشرق فقد صار الشروع فيه وتكاملت ثلاثة ارباع وهى ربع المكرم البشارى بيدة وربع المكرم محمد فضل الله وربع المكرم الفضلى ادم وعلى اثرها سيكون قطوع ثلاثة ارباع اخرى ان شاء الله تعالى وطاذاك الا لقلة المراكب ومع ذلك فاننا فى المراقبة لوابورات الكفرة فى كل ساعة لانها لو وصلت قطوع الاصحاب فلا تحصل منها راحة واما المكرم عبدالقادر دليل فقد رأينا ان الاولى اقامته فى محله حتى يتكامل الجيش ثم هو يحضر

---

(١) مهدية ١/٨/٢/١٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/٢/١٧٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٩ شعبان سنة ١٣١٥ .

بمن معه خفانى ويطمع فى الاخر ٠))(١) وفى هذا الاثناء وصلت اليه الفرق التى مع عثمان دقنه ونزلت بجهة شندى لتنضم الى الفرق التى مع محمود بصفة مؤقته كما وضع الخليفة لمحمود من قبل ويشير محمود الى وصول عثمان دقنه ومن معه فى خطابه الى الخليفه فى ١٧ رمضان "٠٠ ثم ان المذكور وصل امس تاريخه بحلة شندى ونزل بها وليلة البارحة ارسل لنا مكاتبة بخصوص تفهيد وصوله وتتضمن فحوى الاشارة الكريمة التى صدرت اليه ووقته كتبنا له بشكر صنيعه والاستبشار بقدومه وعرفناه عن سرعة حضورنا للشرق قريبا ورغبنا منه ان يقيم بشندى لغاية المقابله معه ٠))(٢) واستمر محمود ومن معه فى عبور النيل الى الشرق ولم يكتمل عبور الجيش واستعداده للسفر حتى ١٦ شوال حين كتب محمود للخليفه ردا على خطاب الاخير بتاريخ ١٣ منه والخاص بارسال الخليفة لبعض الهجانه ليأتوه بخبر الجيش اذ يقول محمود :- ((٠٠ والحال سيدى أن رافعنه وجدونا على حركة القيام ويومنا هذا سافرنا على بركة الله تعالى بكافة الانصار ونرجوا الله حسن العاقبة وان لايبلغ مسامعكم الا مايسر الخاطر الكريم ٠))(٣)

وبعد تكامل جيشه بالشرق وبالرغم من اتفاق الجميع على ذلك الطريق الا ان الجيش لم يكن عنده طريق مرسوم يسير عليه فقد تحيّر محمود

---

(١) مهدية ١/٨/٢/١٩٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣١٥ ٠

(٢) مهدية ١/٨/٢/١٩٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣١٥ ٠

(٣) مهدية ١/٨/٢/٢١٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٦ شوال سنة ١٣١٥ ٠

بين السير بالقرب من النيل لتوفر المياه به وبين البعد منه خوفا من اذى الوابورات التى تسير فيه ، كذلك لم يكن الرأى قد استقر على كيفية التحرك بالجيش هل يكون ذلك بتقديم بعض الفرق ثم الحاقها بفرق اخرى بعدها ام يتحرك بالجيش كله دفعة واحدة ، وعليه فقد قرر محمود ان يجتهد فى انجاز امر العبور للشرق اولا ثم يخابر الخليفه فيما يجريه بعد ذلك ((.. وايضا بعد تكاملنا بالشرق فنستفيد سيادتكم بصفة القيام وما نعزم عليه نحو الكفرة .)) (١) وقبل ان يكتمل عبور الجيش للشرق ارسل محمود الخيول امامه الى جبل ام على للاستكشاف ((نبدى سيدى انه بالنظر لوجوب الاحتراز من مكايد الاعداء فى سائر الاحوال قد رأينا بعد اغلاق شورة الاخوان ان الخيول الموجودة بالشرق جميعها تتوجه والحالة هذه الى جبيل ام على وان تكون تحت قيادة المكرم حماد ادريس وان يستكشفوا من هناك خبر الاعداء .)) (٢)

وبعد أن اكتمل الجيش بالشرق جمع محمود من معه وشاورهم فى امر كيفية التحرك بالجيش . والطريق الذى يسلكه فاتفق رايهم على متابعة النيل على مراحل مختلفة تحمل فى كل مرحلة الطوابى مقدما قبل ان يصل اليها الجيش الى ان يصلوا الى نهر عطبره ثم بعد ذلك يفكروا فيما يحدث بعد ان يصلوا هناك

---

(١) مهدية ١٩٣/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١٩٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ رمضان سنة ١٣١٥ .

" نهدى سيدى انه بمشورة الاخوان جميعهم فى الطريق الذى يسلكه الجيش فى حال قيامه وذلك بحضور المكرم عثمان ابى بكر دقنه قد اتفقوا على انهم يسلكوا طريق البحر اذ لا توجد المياه فى غيره وحيث كان كذلك وان الكفرة جل اعتمادهم على وابوراتهم ومغترين بها فربما بعد تمام الجيش تتعرض له فى محلات الموارد او فى حالة نزوله ولذا فقد اتفقوا الاخوان بعد المشورة على ان تعمل الطوابى اللازمه بجهة كبوشية مقدما وترسل اليها المدافع ثم الجيش يتكامل بها ومنها مرحلة مرحلة بهذه الصفة حتى تصل السن الاتمبراوى ومن هناك تجرى التدابير الموافقه بحسب الاحوال الحاضرة وحيث ان المدافع لايمكن ارسالها مقدما الا بالجيش الكفاية فقد اتفق رأى الاخوان ايضا بتعيين اربعه ارباع تكون مقدمة الجيش ٠)) (١)

ولما وصل محمود الى جبل ام على فى يوم ٢١ شوال اتضح له ان هذه الطريقة لاتجدى اذ ان النيل مكشوف بعد ذلك وسيكون جيشه عرضه لهجوم الوابورات ولذلك فكر هو ومن معه فى طريقة اخرى وهنا اختلف رأيهم فمنهم من رأى الاستمرار فى السفر بمحاذاة النيل حتى الدامر ومنهم من رأى ترك ذلك الطريق والتوجه شرقا حتى يصلوا الى نهر عطبره ((نهدى سيدى انه بيوم أمس تاريخه قد تم وصول داعيكم ومن معه بجبل ام على وبعد النزول فيه والاستفهام عن المحلات التى امامنا قد اتضح بواسطة اهل الخبرة من الاصحاب كمثل ناس المكرم حماد ادريس وغيره ان البحر من حد جبل ام على هذا ولغاية الدامر كشف وقد صارت

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٠٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ رمضان سنة ١٣١٥ ٠

جـزايـــره وخـــيرانـــه المنقطـــعه كلها بجهة الغـــرب ليس بالشـــرق منه شـــئ الا وادى المكابراب ولهذا يصعب مـرور الجيش عـلى البحـر مادام بهذه الصـفه سـيمـــا وابـورات الكفـــرة وجدناهـا راسية بقصـاد الجبل المذكور منتظـــرة مــرور الجيش عـليها وماذاك الا لعلمهم بان البحـــر يمكنهم غـاية التمكن فى الضــرب لانكشـــاف ســواحله واســتواء اراضيها ومع هذا فبعض الاصحاب اشــار بان الســـــفر بالبحـــر اولى لغاية الوصـــول الى الـدامر وذكر بان الـــوابورات وان بسلغت فـلا تمنع البحر كـله ولا تقدر ايضـا ان تمنعه ليلا وبعض الاصحاب اشـار بان الاولى ان تستعد من جهل ام على هذا بعد جمع الجيش الـذى امامنا من مرض خيولهم وتـاخذ الكفـاية من المـياه وتقـوم من هنا بطريق الخلا لغـــاية اتـبرة وحيث انه لم يحصل التعويل على العمل باحد الوجهين المـذكورين لزم هذا للمعلوميه بوصـولنا للجهة المـــذكـــورة وما يتفـق عـليه الرأى بعد هذا سنجرى العمل به.)) (١)

وتـــورد كتب التاريخ هنا بأنه قـد حدث خلاف بين محمود وعثمان دقـنه حول الطـريق الذى يجب ان يسلكه الجيش فبينمـا كان محمود يرى ان يتابع الجيش الطريق المحاذى للنيل كان عثمان دقـنه يرى ان يتركوا محاذاة النيل ويضربـوا فى الصحـراء فى اتجاه نهر عطبره ويتولوا على الجيش الغازى

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٢٥ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٢ شـــوال سنة ١٣١٥ .

من الخـــلاف فى جهات بربر او بعدها وقــد رفعوا هـــذا
الخلاف الى الخليـفه الذى انتصـر لرأى عـثمان دقـــنه (١) ولـم
نجد فى الوثـــائق التى معنا تفاصيل هذا الخلاف بيـــــن
محمـود وعثمان دقـنه ولا دليل عـلى أن الخليفه قـد انتصر
لرأى عثـمان دقـنه عـلى رأى محمود ولكن يتضح من خطــاب
محمود الســـالف الذكر الى الخليفه (٢) بتاريخ ٢٢ شـــوال
انه كانت هناك وجهتا نظـر مختـلفتان حول الطريق الــذى
يســـلكه الجيش فى مســـيرته ونرجح ان تكون فكـرة البعـد
من النهـل والضـرب فى الصحراء حتى الوصول الى نهر عطبره
هى فكرة عثمان دقـنه لانها تتـفق مع طـريقـته فى الحـرب
التى اتبعهــا فى حروبه فى شـرق الســـودان وكذلك فـــان
الطريق المقـترح فى اتجاه المنطقة التى عـرفها عثمان دقـنه

---

(1) Shibeika: British Policy in the Sudan Op.Cit., P. 383 & P.M. Holt: The Mahadist state in the Sudan P. 219.
كذلك شبيكه :ـ السودان عبر القرون بيروت ١٩٦٧ ص ٢٤٥ ـ ٤٦
يقول : وســار محمود وجيشــه محاذيا النيل يستقى به حتـــى
العالياب ومنها غـيروا اتجاهم للالتفـاف حول جناح الجيـــش
بعد أن عقــدوا مجلســـا حربيـا وتناقشـوا وكان ان تم الاتفاق
عـلى فكرة الالتفـاف وقـد نادى بها عثمان دقنـه هو بطل الحرب
الصحـراويه ومن انصـار الهجوم الفـاجى غير المنتظـر والخطة
تقضى ان يـوغلوا فى الصحراء عندما يكونون قبالة عطبرة وكـور
ثم يهبطـون على النيل فـى بربر ويحولون بذلك بين الجيـــش
وخط رجعته ويقطـعون مـواصـلاته ٠
واغـلب الظـن ان يكون كل هؤلاء قـد اعتمـدوا على ماورد فى
Egypt. Int. Rep.No.49,13th. Feb to 23rd. May 1898 . See. Appendix C I.
(٢) مهديه ١/٨/٢/٢٥٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شـوال سنة ١٣١٥٠

من قبل والتي يشعر فيها هو وجماعته بالطمأنينة والراحة النفسية لانهم كانوا قد طرقوها من قبل عند حضورهم من ادرامـا نحو شندى للانضمام لجيش محمود ولكن مع توجهنا لحدوث الخلاف بهذه الصورة فاء يستبعد ان يكون قد احيل الى الخليفه فايد رأى عثمان دقنه بل الارجح ان يكون الامر قد طرح للتشاور بين رؤساء الارباع الذين حسموه فى مكانهم بتفضيل الرأى القائل بالبعد من محاذاة النيل والضرب فى الصحراء ويتضح هذا من مقارنة التواريخ بين حدوث هذا الخلاف وبين تحرك الجيش الفعلى بالطريق المقترح فقد وصل محمود الى جبل أم على فى يوم ٢١ شوال وكتب للخليفه بذلك فى يوم ٢٢ شوال ليخبره بحدوث الخلاف فى وجهتى النظر حول طريقة سير الجيش بخطابه "رقم ٢٢٥ السالف الذكر " (١) ثم قام الجيش فعلا وتحرك من جهة العاليـاب بالطريق المقترح بعيدا عن النيل فى يوم ٢٤ شوال (٢) اى بفارق يوم او يومين على الاكثر ولهذا نستبعد ان يكون امر الخلاف قد رفع الى الخليفه ووصله واتخذ فيه رأيا بمساندة عثمان دقنه وكتب به الى محمود وارسله له ليصله ويتخذ فيه قرارا وكل ذلك يتم فى ظرف يوم واحد او يومين مع بعد المسافه وصعوبة المواصلات فى ذلك الزمن (٣) وعليه فان الارجح هو ان يكون قد حدث خلاف حول الطريق الذى

---

(١) مهديه ١/٨/٢/٢٢٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/٢/٢٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ القعدة سنة ١٣١٥ .

(٣) ما تورده المخابرات المصرية فى هذا الصدد هو انها تؤكد وقوع الخلاف بين عثمان دقنه ومحمود احمد حول الطريق الذى سيسلكه الجيش ولكنها لا تؤكد ان الامر قد رفع الى الخليفه بل فقط ترجح ان يكون ذلك حدث وانه انتصر لرأى عثمان ـ وتورد ان كل ماعرفه الذين امدوها بالاخبار انه فى يوم ١٨ مارس بردت خطابات من امدرمان قام بعدها الجيش مباشرة نحو ام ضبيح .

يسلكه الجيش بعد جبل امعلى ، وان تكون فكرة البعد من محاذاة النيل هى فكرة عثمان دقنة ، وانه قد تم التشاور بين رؤساء الارباع فيما بينهم واتفقت مشورتهم على اتباع رأي عثمان دقنه فاتبعو وكتبوا للخليفه لاعلامه بذلك فقط ((نبدي سيدى انه بعد قيامنا من جبل ام على قد توجهنا الى جهة العالياب ومن هنالك اتفقت المشورة على التوجه الى بحر اتبره وعلى النزول فيه لمصلحتين جبرتا على ذلك احديهما ان البحر من العالياب والى بربر مكشوف وليس به شئ من المراصد واذا سار الجيش عليه يحصل لوابورات الكفرة قايمة التمكن والثانية ان الجيش لم تكن معه زواده يوم واحد وبحر اتبره المذكور فيه الدوم مع ماقى نزوله من سهولة التمكن بالبلد وبالاعداء ... وعلى ذلك فقد توجهنا من العالياب فى يوم الجمعه الموافق ٢٤ شوال ونزلنا فى بحر اتبره يوم السبت الموافق ٢٥ منه وكان نزولنا قريبا من جهة ام ضبيع والمسافة منها والى جهة الداخله نصف يوم.)) (١)

ثم رجع محمود من ام ضبيع قليلا على نهر عطبره حتى وصل النخيله وبوصول محمود الى هناك صارت تلك اخر نقطة يصل اليها ذلك الجيش حتى قابل جيش كتشنر فى الواقعة المعروفة بواقعة "النخيلة" او موقعة عطبره " وقد بقى جيش محمود بتلك الجهة بدون حراك الى أن بدأت المعركة فيما عدا تحركات بعض الفرق البسيطة وبعض المناوشات الخفيفه فقد ارسل محمود بعض جماعة عثمان دقنة لاسترجاع نقطة ادراما (٢)

---

(١) مهديه ١/٨/٢/٢٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ القعده سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/٢/٢٣١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعدة سنة ١٣١٥ .

وكذلك الفرقة المكونه من الاربعمائة حصان التى ارسلها محمود تحت قيادة البخيت النمورى للاستكشاف والتى التحمت مع دوريه مشابهه من جيش كتشنر فى يوم ٢٧ شوال سنة ١٣١٥ (١) • وفيما عدا هذه التحركات البسيطة والمناوشات فان جيش محمود قد بقى فى مكانه بجهة النخيله الى ان حضر له جيش كتشنر " •• وقد كنا نرى ان الاولى بل الواجب عدم التاخير فى مناجزتهم الحرب الا انه بالفحص فى احوال الكفرة وما علم من تربصاتهم فقد اقتضت المشورة من عموم الاصحاب ان ننتظرهم فى محلنا هذا حتى يحضروا الينا بغرورهم وجموعهم العارية من المعونة الالهية وقد جبرتنا على ذلك ثلاثة اوجه اولها ان الكفرة لم يتحيزوا خارج جهة الداخلة الا لاجل مادبروه فى اتخاذ المراصد التى تقدم ذكرها وغاية امنيتهم ان ناتيهم بالجيش بها فيتمكنوا من الضرب •• وثانيها ان الجيش اذا اقدم عليهم فاذا لم يخرجوا له فى يومهم فانه لايقدر على الصبر ليلة واحده لانعدام الزاد منهم كلية اسيرهم ومامورهم وايضا لم يكن بتلك الجهة شئ من شجر الدوم يتقوتوا به الاصحاب وهذه اهم الامور واصعبها وفيها من الفشل مالا خفاء فيه • وثالثا ان الذى علم من خبر الجهادى الذى توفى امره انهم سيصبروا مسافة اربعة خمسة ايام فاذا لم نقوم اليهم فسيأتونا فى عددهم وعديدهم ••• ومع ذلك فالمحل الذى نحن به الان مراصده جميله لحرب الخيول ولحرب الاسلحة وايضا اشجار الدوم به كثيرة ولذلك فقد اقتضت المشورة مع مراعاة المصلحة الدينية العمومية ان ننتظرهم فى محلنا كونا مستعدين وقد كان والحالة هذه

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ التعده سنة ١٣١٥ •

مستعدون لحربهم بعنا فى جهدنا ولازالت طلايعنا واردة ومترددة عليهم ليلا ونهارا ... استقر سيدى ان المحل الذى به الكثرة يسمى اليهودى وابو هدار على طرف الابتراوى والمحل الذى به نحن يسمى ولد حسب الله ومابيننا الا جهة ام ضبيع))(١)

وهكذا وصل محمود ومن معه الى نهاية مطافهم بعد ان ارهقتهم التحركات الكثيرة بغير هدف ،والتخبط على غير هدى ،والسير على غير خطة ،ولم يكن وصولهم لام ضبيع تنفيذا لمخطط سابق يضمن لهم حسن اختيار المكان المناسب ولا بتدبير يحقق لهم اى مواقع استراتيجيه ، وانما ساقتهم اليه الظروف واضطرتهم اليه مجريات الاحداث وقد ادى ذلك الى زعزعة شديدة واضطراب كثير فى وسط ذلك الجيش ،وتردد فى اتخاذ اى خطوة من جانب محمود عند مقابلته لجيش كتشنر بين الالتحام مع ذلك الجيش وبين الاحجام . ولذلك فقد بقى محمود فى ام ضبيع لمدة طويلة بالرغم من ان حالة جيشه كانت لاتسمح بمثل ذلك الانتظار فقد كان جيشه جائعا يفتقر الى الغلال والمون والذخائر ولا امل له فى وصول اى امدادات من امدرمان ، وكل تاخير يزيد فى سوء حاله .

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ • القعدة سنة ١٣١٥ .

ومن ناحية اخرى فان تحركات جيش محمود المضطربة وسيره على غير خطة مدروسة قد ربكت كتشنر ايضا ، ولم يتمكن من معرفة ماكان ينطوى عليه محمود ، وبالتالى لم يتمكن من تحديد طريق سيره والمكان الذى يجب ان يقابله فيه ، ولذلك فان كتشنر قد تردد كثيرا مثل محمود قبل ان يتخذ قراره النهائى بمهاجمة محمود والزحف عليه ، ولم يتخذ قراره ذلك الا بعد أن تشاور مع من معه من القواد وبعد أن راسل اللورد كرومر فى هذا الامر . (١) ... واخيرا وبعد طول انتظار وتردد اتخذ كتشنر قراره بالزحف على زريبة جيش محمود وكانت موقعة " النخيلة " التى أسر فيها محمود وشتت شمل جيشه .

---

(١) التفاصيل اوفى راجع :-

Cromer : Modern Egypt. Op. Cit Vol . II. Pages 98 - 100 .

الفصـــل الـــرابع

عناصـــر الضـــعف

يتهم كثير من المؤرخين الخليفه عبدالله باهمالـــه المتعمـد لجيش الامير عبدالرحمن ود النجومى فى حملته الـــى الشـمال حتى هدّه الجوع واضعفه نقصان المؤن وصار الى حالة يرثى لها قبل ان يلتقى بالجيش الانجليزى المصـــرى فى " توشـكى " ، وذلك لان النجومـى من "اولاد البـــلد " الذين تخلص الخليفه منهم جميعا لتشككه فى ولائهم .

يـقول هولت :ـ

" امـتلأ فكر الخليفه عبدالله بتشكك متزايـد نحو ولاء الاشـــراف واولاد البـلد الذين سـيقفون معهم فى اى مواجهة ضـده . وبالرغم من اخلاص النجومى وخدمـاته الجليلة للمهـديـة فان الخليفه قـد تشـكك فيه لانه كان من الجعليين ومن احسن العسكريين من بين اولاد البـلد . " (١)

ويقـول هولت ان مخاوف الخليفه من جهة ود النجومى بدأت منذ أغسـطس سنة ١٨٨٥ ، فقـد اسـتدعاه الخليفه من الشمـــال وارسـله ليساعد فى فتح سنار التى كانت لاتزال فيها حامية تركـية ولكنه سرعـان ماامره بالعوده لامدرمان مـرة اخرى هو ومحمد عبدالكريم بعد ان تم الاستيلاء عليها . ثم ظهرت هذه المخاوف مرة اخرى عنـدما تولى عبدالرحمن النجومى قيـادة الجيوش التى فى الشمال، فقد ارسـل الخليفه فى يـوليو ١٨٨٦ احد اقاربه البقـاره ، مـــن قبـائل الهبانيه يسمى مساعد قيـدوم ، ليعمل كوكيل للنجومى وقـد كانت مهمته فى الحقيقة هى مراقبة ودالنجومـــى (٢) .

---

(1) P.M. Holt The Mahadist State in the Sudan P. 156 See Appendix D 1.

(2) Ibid.

ويتهم تريفيل (١) الخليفه بتدبير هذه الحمله للتخلص من النجومى فيقول فى خطابه الذى ارسله الى النجومى قبل موقعة توشكى ((ياولد النجومى ارسل هذا المكتوب لاعلمك بحضورى لكى اتفقد حالة البلاد الراهنة ولانظر بعينى ماسمعته من قائد عساكرى الشجاع سعادة وودهاوس باشا انا قد حضرت وعلى اثرى الوف من عساكر انجليزية ومصرية قد قاربتها ٠

وقد جال فى فكرى مسحك ومحو اثرك انت ومن تتبعك من على وجه (الارض) نظرا لما جنته يداك من الافعال البربرية كاخذك من لا سلاح له تاركا (نساءهم) واولادهم بدون مدافع ولا نصير وقد خربت بلادهم بعد ان كانت خصبة مزدانة بالمزروعات التى وهبهم اياها الله سبحانه وتعالى عز شأنه ٠

فلهذا هاجت فىَّ عواطف الغضب وقصدت اخذ ثار هؤلاء المساكين واهلاك انت ومن معك ولكن عند وصولى نظرت الى ضعفك وانخذالك ووجدت بانك تصوت جوعا ظمانا ٠

وانى اعلم حق العلم بسوء حالتك لان مدعى الخلافه (عبدالله) هاجت فيه شمائل الحسد منك فلم يجد له طريقا لاعدامك سوى ارسالك الينا والعربان الذين يخاف شر عاقبتهم لانه عارف ومتيقن بسرعة هلاكم ولذلك وضع مكانك ابن اخيه يونس تخلصا منك ومن اصحابك وانت مع ذلك غارق فى بحر جهالتك كخروف منقاد الى الذبح اطعت طاعة عمياء غير ناظر لشر العواقب الواقفة لك بالمرصاد ٠ " (٢)

---

(١) الجنرال سير فرانسيس قرينفيل سردار الجيش المصرى ٠
(٢) مهدية ١/١/٢/١٠٥ من قرينفيل الى النجومى سنة ١٣٠٢ ٠

ويقول هولت ان هذه الاتهامات ضد الخليفه لابد ان يكون فيها شئ من الحقيقه ، وهي متداولة بين السودانيين حتى يومنا هذا " الاتهام الذي في خطاب ترتفيل أن الخليفه قد ارسل النجومي في حملة ميئوس منها خصيصا ليتخلص منه وليكسر شوكة اولاد البلد مازال يتردد الى يومنا هذا في السودان وهو السبب الاساسي في تمتع الخليفه بسمعة غير حميده بين مواطنيه . ولابد ان في هذا الاتهام شئ من الحقيقه . ومما لاشك فيه ان النجومي لم يحظ بثقة عبدالله مثل اقرانه امثال ابي عنجه وعثمان ادم او حتى عثمان دقنه ؟(١)

قاسى الجيش الذي تبع النجومي الى الشمال كل الصعاب من عدم توفر الاكل والشرب والمؤن حتى قبل بداية تحركه من مقره في العرضي لملاقاة اعدائه ، ولاقى القائد مصاعب شتى في المحافظة على نظام الجيش وشكى مر الشكوى الى الخليفه من عدم توفر المؤن والاغذية مما جعل الانصار يهجرون راياتهم ويتعدون على حقوق الناس حتى انفرط عقد النظام ويقول هولت " ويظهر ان انعدام المؤن هو السبب الاساسي الذي اضطر النجومي للتحرك اخيرا نحو مصر :-

" ويبدو أن فقدان المؤن كان هو السبب الاساسي في التقدم نحو مصر . ولما علم النجومي في توخبر بان محمد الخير(٢) وعلى سعد (٣) قد انتدبوا لتنفير قبائل اهل البحر للجهاد اقترح بان تتحرك القوات المرابطة في العرضي قبل وصول اي قوات اضافيه لها وذلك بسبب الجوع ." (٤)

---

(1) P.M. Holt, The Mehadist state in the Sudan P.163 See Appendix D 2

(٢) محمد الخير هو الشيخ محمد "الدخيري" عبدالله خوجلي تتلمذ عليه المهدي في بربر وبعد نجاح المهديه غير المهدي أسمه الى محمد الخير وصار اميرا على بربر

(٣) على سعد هو زعيم الجعليين والذي خلفه فيما بعد اخوه عبدالله ود سعد لتفاصيل اوفى من سيرته ممكن الرجوع الى ابراهيم فوزي باشا " السودان بين يدي قردون وكتشنر " ص ٤٢ ، ٢١

(4) P.M.Holt : The Mehadist stat in the Sudan P.159 See Appendix D 3.

اذ انه لم يتيسر لها ماتحتاجه الجيوش النظامية عادة من مؤن وامدادات وطرق اتصال مع قاعدتها امدرمان ، ونظم للمحافظة على افراد الجيش الى اخر هذه الاشياء .
فجيوش المهدية لم تكن قد طورت هذه النواحي في تنظيماتها العسكرية ، يعقوب اخو الخليفه الذى كان مسئولا عن الامدادات حاول تطويرها الا انه لم يصل الى المستوى الذى يمكن المحافظة معه على جيش كبير يبعد عن أمدرمان ، ولذلك فقد ظلت مشكلة امداد اى جيش كبير يترك امدرمان هي مشكلة كبرى وتصعب السيطرة عليه ، وبعد أن يبتعد عن امدرمان يصير امره تحت رحمة الاقدار ويترك امر " رزق المجاهد في سيفه "

ومما زاد الامور صعوبة بالنسبة للجيوش التى اتجهت شمالا مع النجومى ومحمود ان هذه الجيوش ضايقت الناس في ارزاقهم ومعايشهم اذ ان المنطقة نفسها قاحلة بطبيعتها والرقعة التى تصلح للزراعة فيها ضيقة جدا على ضفاف النيل ولا تكفى لسد حاجة جيوش كبيره اعتمدت اساسا على تسخير أهل المنطقة لخدمتها وقد أدى ذلك الى عدم تعاون أهل المنطقة مع الجيش بل عدّوه مثل جيش الاحتلال وعملوا ضده للخلاص منه ."
كذلك فأن عدم اتخاذ القرارات السريعة سواء كان من القيادة المحلية للحملة او من القيادة المركزية في امدرمان ، وعدم وجود خطة محددة تسير عليها الحملة قد أدى الى التلكؤ والتاخير بالحملة في مكان واحد مما زاد من مضايقة أهل المنطقة حتى نفذ ماعندهم من قوت

وقد اضطر النجومى ، مثلما اضطر محمود من بعده ، لترك قاعدته بعد أن نفدت مؤنهم وعندما قابل جيوش الاعداء كان جيش المهدية جيشا جائعا مضطرب النظام يسير على غير هدى ، وسنتعرض لتفاصيل ذلك فى الحملة التى قادها محمود ، هذا بالاضافة الى عناصر الضعف الاخرى التى تكمن فى طبيعة تكوين الجيش الذى قاده الى الشمال .

فى سنة ١٣١٤ هـ طلب الخليفه من محمود أحمد الرجوع الى الغرب لاحضار الجيوش التى كانت هناك واستنفار قبائل الغرب للجهاد والحضور بالجميع بسرعة الى امدرمان حتى يتمكن من صد العدو الذى كان يزحف عليه من الشمال . وذهب محمود الى الغرب وعاد فى اواخر سنة ١٣١٤ هـ ومعه جيش كبير جدا من الناحية العددية ، ولكنه كان يفتقر الى كثير من مقومات الجيش الحديث ، فهو مكون من قبائل اضطرها محمود اضطرارا للحضور للجهاد ولم تحضر رغبة فيه بل حضرت بعد أن ضرب محمود ديارها وشتت عوايلها ، فتركت جهات الغرب وهى دائمة الحنين اليه راغبة فى العودة لتعمير ديارها ولضم شمل عوايلها . والقبائل التى جمع محمود جيشه منها تعرضت للضرب والتشتيت والقتل على يدى محمود منذ ان وصل الى الغرب اول مرة فى سنة ١٣٠٨ هـ ، فنجد محمودا يكتب الى الخليفه بأنه مجتهد كل الاجتهاد " فى ادخال الناس فى المهدية دون مشقة ولكن بعضهم لايليق فيه الرفق

من ذلك عربان الزيقات والعيدوب لم يتم انقيادهم الا رغما عن انوفهم "فالزيقات ضايقهم فضل النهسى اصيل فى البحر " بحر العرب " فأطاع اغلبهم بجهة دمك وهم اولاد حسن ،اولاد قايد ،اولاد حنانه ،اولاد محمد ،اولاد سريره والمعاصيد وكثير من بيوت الزيقات ((ثم ارسل سرية بقيادة بشير كثير للحصول على الباقين فوجدهم بجهة حجيجه فضربهم ثم لحقهم مرة أخرى بجهة ام بسوروا بدار جانقى فضربهم وكذلك وجد ابوالنور الزيداوى اشد الزيقات امراضا فقتله ودخل الرعب فى قلوب الزيقات واستكملت طاعتهم على الاطلاق، وكذلك خاف اهالى ديار جانقى وكذلك حجر ولد ضحية "(١)
أما العيدوب فقد انتهى امرهم بعد سرية البشارى ريده ثم بعده ذهب اليهم الختيم موسى فى يوم الاثنين ٩ شعبان سنة ١٣٠٨ هـ وقد هرب العيدوب قبل ان يصلهم جيش الانصار فاستحوذ الانصار على مناهلهم الثلاثة ولذلك اضطر العيدوب الى الرجوع مرغمين واذعنوا وأطاعوا .
وحتى بعد أن أطاع الزيقات لم يتركهم محمود وشأنهم اذ انهم طلبوا من الخليفه ان يسمح لهم بالحضور للهجرة بالطريقة التى يسهدونها فقبل الخليفه ذلك منهم وسمح لموسى مادبو بقيادتهم ولكننا نجد محمودا يكتب الى الخليفه

---

(١) مهدية ٦٠/١٤/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ .

ذاكرا " ان الوارد اليه من فضل النبى اصيل يذكر بان موسى مادبو وصل بحر العرب فى شعبان وابرز له اوامركم الكريمه لدعاية الرزيقات للهجره وانهم يسافروا بالطريق الذى يختاروه فى اول الرشاش وقد قبل فضل النبى ذلك ولكنه يذكر بانه قد وجه اغلب الرزيقات الى ديارهم القديمة جهة البرصة والان بحضور مادبو رجعوا للبحر ثانيا مما يدل على عدم رغبتهم فى الهجرة لان الطريق لها كانت مستعدلة من ديارهم القديمة .. ولهذا صار فضل النبى يأخذ خيلهم وكل من حضر له راجعا اخذ حصانه وذلك لعدم "أمنية " الرزيقات اذا كانت معهم خيولهم وقد وافقه محمود على تلك الخطوات على ان يسعى فى حث الرزيقات على الهجرة مع مادبو بالطريق الذى يريدونه فى اول الرشاش " (١)

ولم يقتصر بطش محمود على الرزيقات والمعدوب وحدهم بل شعل كثيرا من قبائل الغرب ، وفى خطابه الى الخليفه بخراب دار التعايشه يكتب بقوله :ـ ((ان امركم الكريم الوارد فى ٤ شعبان بالالتفات لخراب دار التعايشه وان لا نترك احدا يسكن بها وتنبيه كافة القبائل بذلك قد علم والحال انها لا وجود لاحد بها ماعدا جهة طوال التى بها بقى هلية جماعة رحمة الله الوالى وقد حررنا لمحمد جوده بالمرور عليها للتاكد من ذلك فتاكد لنا صحته .)) (٢)

---

(١) مهديه ١/١٤/١/٦٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ .

(٢) مهديه ١/٨/١/٧٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣١٥ .

وبين سنة ١٣٠٨ وسنة ١٣١٤ (١) زمزعت جيوش محمود كل قبائل الغرب فى كردفان ودارفور من حمر وحوازمه وبديرية ومسيرية وبنى هلبه وتعايشه ورزيقات وفور ومساليت وبرتى وغيرهم من القبائل (٢)

---

(١) خطابات محمود الى الخليفه " مهديه ١/١٠/١/٣ بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣١١ ضرب جبل كاتقا بمهديه ١/١٠/١/١٢ بتاريخ ٣ ربيع اول سنة ١٣١١ احضار روساء فور ومعهم على دينار ز مهديه ١/١٠/١/١٦ بتاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣١١ ضرب جبل الدلنج بمهديه ١/١٠/١/٧٥ بتاريخ ٩ القعده سنة ١٣١١ الشتات الكلى للمسيريه بضرب دارقمر فى سنة ١٣١٢ بمهدية ١/١٠/٣/١٧٥ بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٣ ضرب دار تامه ، مهديه ١/١٥/٣/٢٠١ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٣١٣ ضرب الزغاوه ، مهدية ١/١٠/٣/٢٣٦ بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٣١٣ أمر الخليفه بتاريخ ١١ جماد اول بضرب المسيرية وقد تم تجريدهم فى ٢٣ شوال سنة ١٣١٣ انظر مهدية ١/١٥/٣/٢٤٦ ،مهدية ١/١٥/ ٣/٢٤٠ بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٣ ضرب المساليت ... الخ .

(٢) بالرغم من ان جيوش محمود احمد قد زمزعت كل قبائل الغرب بكردفان ودارفور تقريبا الا اننا نجد ان الاستاذ موسى المبارك يذكر فى رسالته للماجستير " تاريخ دارفور السياسى ص١٢٧ " أن فترة حكم محمود كانت سهلة على اهالى الغرب وكانت فترة سلام بالنسبة لهم بالمقارنة للفترة التى حكمهم فيها عثمان ود ادم " جانو " قبل حكم محمود حتى انهم كانوا يقولون " محمود عسل وعثمان بصل) (واشرق بقدوم محمود الى الفاشر فجر عهد جديد نعمت فى ظله اكثرية اهل دارفور بالسلام فبدأ الفرق بينه وبين عهد عثمان واضحا ما جعل الفور يصفون محمودا " بمحمود عسل " دلالة على تلطفه بهم بينما نعتوا عثمان " بعثمان بصل " اشارة الى شدته فى معاملتهم حتى كان حكمه لهم فى مرارة مذاق البصل "

وفـى سـنة ١٣١٤ دعـى محمود نفس هذه القبـائل للهجره ، وقـد حاول بشـتى الوسـائل ادخـالها فى الجـيش فهو يكتب للخليفه :- " نهـدى سـيدى ان عبدكم منذ حضوره بهذه الجهات فى هذه المـرة لم يزل ملتفتا ليـله ونهـاره فـى ظـعنه وقـراره الى مـابه اتسـاع امـر الدين وادخـال العبـاد فـيه بمهمـا امكن من الاوجه الموصـله الى تمام المراد ومن ضمن ذلك فـانـنـا فى هذين اليومين ارسـلنا وكاتبنا كـافة القبـائل التى هى حريـة بالقيام للهجرة كمثل الحمر الـذين بريفنا والحمـر الذين بجهة كيـلك وغيرهما من جهاتهما وكمثل المسـيرية الذين بجهة الخـلا وكمثل باقى الرزيقـات المتاخرين بجهات البحـر وجهات شـكا وكمـثل الهبانية الذين بالكلكـه والـذين بـداره وغـيرهما وكلا منهم حـررنا له من الدعـاية بالتـرغـيب والاعتنـاء بامـره مـاهو كـفيل بقـيامه وقطع علاقته ان شـاء الله تعالى فى هذه الايـام وفى عـزم عبدكم انـه يسـتمر الاجتهاد فـى امـر الهجرة حتى لايترك شـىء من هذه القبـائل التى هـى مظـنة الرغـبة فى الدين .)) (١)

وبالرغم من كل المجهودات التى بذلها محمود وبالرغم من ان الخليفه حاول ارسال زعماء هذه القبائل لاحضارهـا الا انها لم تكن لها الرغـبة فى ذلك ويكتب محمود مشـيرا الى خطاب الخليفه له بتاريخ ٢١ صـفر سنة ١٣١٤ بقيـام المسيرية وانه ارسل بعض زعمـائهم لاخذهم للهجره يقول : " وبالمناوضة معهم علم صريحا من قـولهم وتحقق من شاهد احوالهم انهم الجميع لارغـبة لهم فى الهجرة وماذاك الا لما جبلوا عليه من حب الوطن الذى هو طبيعة الانسـان ثم سـيدى ان مسـالة المسـيرية هذه قـد اخافتنـا وخشـينا منها لداعى انهم مع كثرة الدعاية لهم

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٦٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ .

من جنابكم للهجرة والترغيب وتكرار المعاهدة منهم بالحضور اليها لم يحصل منهم شيء ولا نظر فى العاقبة ولهذا تعلم سيدى انه مازال ولم يزل عبدكم يبذل جهده فى قيامهم للهجرة على اى حالة كانت ولا يتركوا بهذه الجهات ان شاء الله تعالى مادام عبدكم فيهما •)) (١)

* ولكن رغم اجتهاد محمود فقد حاول المسيرية التهرب من الهجرة وحتى الذين كانوا معه من ضمن الجيش هربوا فهو يكتب للخليفه بانه ((سبق العرض منا لجنابكم بان المسيرية بعد وصولهم عندنا ظهرت منهم عدم الرغبة للهجرة لاخر ماذكرناه والان قد انكشفت حقيقتهم انكشافا تاما وذلك اننا بعد قيامنا من الشهود نحو الغرب بثلاثة مراحل لحقنا مخصوص مرسول من طرف الاخ الدليل ابراهيم الذى اشير له من جنابكم بالحضور معهم يذكر أن رؤساء المسيرية كلهم تخيسوا عنه ولم يكن معه منهم احد حتى بخيت بريمة تخيب فسوقته كشفنا عليهم فيمن معنا فما وجدنا الا اربعة انفار وغيرهم لم نجد احد من المسيرية لامن اعيانهم ولا من سايرهم •))(٢)

كذلك كان الحال مع كثير من زعماء القبائل الاخرى فقد ارسل الخليفه ابراهيم محمد المليح ليحضر اهاليه من جهات الغاسر ولكنه تأخر ولم يحضر (٣) كذلك رؤساء البديرية والجوامعه الشامى هبانى وعبيد احمد اللذان حضرا لكردفان باشارة لقيام اهاليهما (٤)

---

(١) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ ربيع اول سنة ١٣١٤ •

(٢) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٣ ربيع اخر سنة ١٣١٤ •

(٣) مهديه ١/١٥/٤/٢٦٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ •

(٤) مهدية ١/١٥/٤/٢٧٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ •

وقد اضطر محمود لاخذ من وجده من هذه القبائل على حالة السجن " ولما علم لنا امرهم فالباقين منهم استحصلنا عليهم جميعهم ووضعناهم بالسجن ولم نترك واحدا منهم وكذلك حررنا لكافة الاخوان عمال الارباع بقبض من معهم واستلام الخيول منهم والمحافظة عليهم حتى الذين معنا خاصة سجناهم والذين بكردفان اجرينا ضبطهم بواسطة التحرير للمكرم عيسى الزين وكمل من وقع منهم في القبضة فلا يفلت ان شاء الله تعالى .))(١)

أما قبائل دارفور فقد حاول استعمال الحيله معهما فلم تنفع الحيلة اذ طلب منهم ان يجتمعوا اليه ويستعدوا لانه يريد أن يغزو بهم جبال الصعيد ثم يتشرفوا بالزيارة الى امدرمان وبعدها يعودوا الى اوطانهم ولكنهم فطنوا الى الحيلة ورجعوا الى اوطانهم .

" ثم بعد وصولنا بالفاشر له ٢ جماد اول سنة ١٣١٤ بذلنا جهدنا في ضم الاطراف وحزم امر الجهة كما ومن قبل وصولنا حررنا للانصار بالاستعداد سرا وحررنا بحضور الرجال امنى اهل الوطن من كل جهة لاجل قيامنا بهم بحالة العجلة ولدى وصولنا وجدناهم جميعهم بالمركز وشكرناهم وذاكرناهم بما زادهم انشراحا وافهمناهم في ضمن ذلك اننا متوجهون غزوة " الجبال الصعيد ومنها للزيارة والتشتور بالمذاكرة والعودة لهنا قريبا كما اشير لنا فمع ذلك لم يحصل منهم ثبات على السفر وصاروا يرتجعون لاوطانهم شئ فشئ حتى لم يبق منهم الا القليل " (٢) ولذلك فقد استعمل معهم محمود اساليب اخرى " ولم نرى في اوجه الحزم ابلغ من قيامهم بعايلاتهم وتسليم كل طايفة منهم الى احد الارباع لغاية وصولهما ." (٣)

---

(١) مهدية ١/١٥/٤/٢٧١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤
(٢) مهديه ١/١٥/٤/١/٢٧٠ من محمود الى الخليفة بتاريخ ٢٠ جماد اخر سنة ١٣١٤ .
(٣) نفس المصدر السابق .

وذلك حتى لا يرجعوا الى أوطانهم اذا رغبوا فى ذلك وقد احضر معه من دارفور بعض القبائل ليس لانها ترغب فى الهجرة بل لانه كان يخاف ان يتركها وراءه فى الدار فانه ((عملا بالحزم كافة القبائل التى بدارفور هى مظنة خفة الراس والميل الى مايضرها فى دينها مثل برقو وبرتى وفور وغيرهم احضرتنا رجالهم معنا ولم نترك احدا من اعيانهم الا احضرناه مع الجيش وباقى الناس من العواجز والضعفا تركناهم مع وكلا العمال ·)) وقد استعمل محمود كل الطرق لضمان وصول القبائل التى استطاع اجبارها على الهجرة الى امدرمان سواء كانت هذه القبائل من كردفان او دارفور فانه جمع عوايلهم معه حتى لايرجعوا عنها " القبائل التى اجرينا تنفيرها بقيامها للجهاد احضرناها بعايلاتها لئلا يرتجعوا هاربين " كذلك " كافة من احضرناهم فاننا فى غاية الشفقة عليهم بالملاحظة لهم تارة نتقدم على بعضهم وتارة نسير معهم وتارة نتأخر منهم وتارة نميل بالطريق الشمالى وتارة نسلك طريق الصعيد كل ذلك بحسب المصالح الوقتية ومايقتضيه الحزم فى ضم الجيش ووصوله لصوبكم ·))(١)

وصرف محمود كل همه فى جمع القبائل وفى المحافظة عليها حتى تصل الى امدرمان ثم الى الشمال حتى يوفى عهده للخليفه باحضار عدد كبير ((تمتلى به اعين الحاسدين))، ولكنه لم يبذل جهدا كبيرا فى تنظيم هذه الاعداد وتدريبها التدريب اللازم لجعلها جيشا نظاميا وقد اعتادت هذه القبائل

---

(١) مهدية ١/١٠٥/٢٧٤/٤/٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ ·

فى حروبها بجهات الغرب على الغارات القبلية التى لاتعتمد كثيرا على التنظيم والبقاء تحت السلاح لمدة طويلة ، بل كانت كل حروبها تقريبا عبارة عن سرايا واغارات سريعة يهجمون فيها على قبيلة من القبائل او جهة من الجهات ويسلبونها ثم يرجعون سريعا الى مركزهم ليتفرقوا من اجل المعايش ثم يعودوا فى العام المقبل لغزوة اخرى . ومما ورد فى خطاب الزبير الفحل الى محمود احمد فى ١٨ شعبان سنة ١٣١١ يوضح هذا فهو يتحدث عن الفرقة التى كانت معه والمكلفة بالعمل بجهات فروقى وشرتيت فيقول : " واما عن الانصار جماعتنا كانوا عددهم ربعمايه وخمسون ٤٥٠ نفر والان تفرقوا جميعهم بالجهات من اجل معايشهم الضرورية كمثل ام بل والنهود والاضيه والفاشر ايضا ومابقى الحالة هذه معانا الا مايه نفر فقط لاغيرهم فمن بعد صرف الاسلحة والجبخانة والاهبة اللازمة من سيادتكم وبلغهم ذلك يحضروا جميعهم فى برهة ايام قلايل "(1) واذا تابعنا تحركات جيوش محمود بين سنة ١٣٠٨ وسنة ١٣١٤ نجد انه يتبع نفس الاسلوب تقريبا اذ يغير جيشه على احدى الجهات ثم يعود الى الفاشر أو الابيض قبل حلول موسم الخريف فيتفرق الجيش على الجهات المختلفة من أجل المعايش والعيشاه وبعد نهاية الخريف

---

(1) مهديه ١/١٥/١/٢٠ خطابات محمود للخليفه من الزبير الفحل الى محمود بتاريخ ١٨ شعبان سنة ١٣١١ .

يعاود محمود الكرة مرة اخرى ، ولذلك لم يهتم محمود اهتماما كبيرا بمسألة خطوط الامدادات بين الجيش والقاعدة ، ولا بمسألة المؤن والذخائر ، ولا بتدريب الجيش على البقاء تحت السلاح لمدة طويلة فقد كانوا يتركون راياتهم متى ماشاءوا ويعودون لها متى ماارادوا ذلك ، وكثيرا ماكانت تسرد شكاوى الى محمود ومنه الى الخليفه عبدالله عن بعض عمال الرايات فى مسالة تحول الانصار من رايته هذا الى راية ذلك ومن ذلك ماورد فى خطاب البشارى بهده الى محمود فى ٥ رمضان سنة ١٣١١ " يتضرر فيها من جار النبى ولد عوض بأنه يريد اخذ الثلاثين نفر الذين كانوا تابعين اليه من ابتداء رفع الرايات وذلك فى سنة ١٣٠٢ . " (١) وماورد من على ولد يسين يشكو فيه الى محمود من أن يحى وعبدالله ولد التوم يريدان اخذ جماعته من السعداب منه (٢) وقد كان من اثر ذلك ان رؤساء الارباع وعمال الرايات لم يستطيعوا السيطرة على الانصار الذين معهم خوفا من فرارهم عنهم .

" وكانت الغنيمة جزءا هاما فى الغارات التى يقوم بها جيش المهدية فقد كان محمود دائما يختم وصفه لاى حملة من الحملات التى يقوم بها الجيش بقوله " وعادت سالمة غانمة " ليس هذا فحسب بل ان الجيش كان فى بعض الاحيان يختلق الاسباب للاغارة حتى يستفيد من الغنيمة من ذلك ماكتبه محمود الى الخليفه فى ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ (٣) يخبره فيه بأن الجيش الذى مع عيسى زكريا

---

(١) مهديه ١/١٠/١/٥١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ رمضان سنة ١٣١١ .

(٢) مهدية ١/١٠/١/٧١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ شوال سنة ١٣١١ .

(٣) مهدية ١/١٤/١/١٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ .

عدده وافر وانه قد حصلت له المضايقة فى المعايش وانه لو اقام بهم فى المركز لاتحصل لهم الراحة ويتفرقوا بالجهات وخشية من شتاتهم فانه يرجو الاذن لهم بضرب جبل الدلنج للتنفيس عليهم .)) كذلك نجده فى خطاب اخر بنفس التاريخ (١) يصف حال بعض اعيان الجيش من اولاد التعايشه بانهم يحبون الراحات وانهم عندما وجدوا ان هذه الجهة بها كثيرا من المتاعب تركوها بعد أن اخذوا كثيرا من حقوق العباد قهرا وانضموا بعد ذلك الى عبدالباقى عبدالوكيل بالبقعه . وقد استمر حال الجيش هكذا بالنسبة للتناول من حقوق الناس رغم تحذيرات الخليفه لهم وذلك لان الغنيمة صارت جزءا من حركات الحرب عندهم وحتى ٦/الحجه /سنة ١٣١٤ يرد مايدل على استمرارهم على هذه الحال : " نهدى سيدى انه لقد تشرف الداعى بورود امركم العزيز له ٢ الحجه سنة ١٣١٤ المتضمن اننا ننبه على جميع الجيش بعدم مد اليد على الاهالى شرقا وغربا لانهم مستعدين لنصرة الدين وانه لايحصل لهم اقل تضرر ولا تشكى ولا يتناولوا من جهتهم الا ماء البحر فقط لاخر مابه فهمناه ..الخ "(٢)

" اما التدريبات الحربية والنظم العسكرية فقد كان الجيش كله قديمه وجديده يفتقر اليها فنجد محمود مثلا يكتب الى الخليفه فى هذا الصدد فى ٨ شوال سنة ١٣١١ فيقول

---

(١) مهديه ١/١٤/١/٧٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٩٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ الحجه سنة ١٣١٤ .

" نهدى سيدى ان الجهادية الذين بالسرية هذه الاغلب منهم لايعرفون حركات التعليم وحيث تعلمها حسن بهم والاستيذان فى مثل ذلك من الواجبات حررنا هذا للمعلومية واملا اذا وافق تعليمهم يوذن لنا بذلك والا فالامر لماتروه مفوض واياديكم دامت مقبله سيدى والسلام " (١) ولكن الجيش لم يتقن حركات التعليم والنظم العسكرية ونجد محمودا فى حيرة شديده من امره عندما يطلب منه الخليفه فى ٤ الحجه سنة ١٣١٤ بان يدخل الى امدرمان بالجيش على ترتيب بديع اذ يكتب الى الخليفه فى ٦ الحجه سنة ١٣١٤ فيقول " انه لقد تشرف الداعى لماورد اليه يوم تاريخه العزيز له ٤ الجارى الذى هو رد ماكان عرض من داعيكم بعد وصوله جهة الهلبا وشارا به على داعيكم اننا لدى وصولنا بالجيش ندخل على ترتيب جميل يسر المومنين ويغيظ الاعداء سيما ورسل الجيش حضروا والحاله هذه موجودين ... وهذا وان امر ترتيب الجيش قد اهم عدكم للغاية وحارت افكاره فيه فنرجوا ارشادنا فى امره بما تروه سيدى فانه على اى حال لا ضياء لنا فى الصد لمهمات ولاخروج لنا من المشكلات الا بشارتكم الكريمة فنرجوا اسعافنا بما يقتضيه نظركم الكريم))(٢) ثم فى خطاب اخر بنفس التاريخ يقول ((ان هذا الامر قد اهمنى واقلقنى ومازلت مستعملا لفكرى فى كل ساعة فلم اعثر على شىء تطمين به نفس ويرتاح له فكرى .))(٣) ثم يقول فى امر الهيئة العامه للجيش "كذا اشارتكم الكريمة بان الجيش جميعه يكون

---

(١) مهدية ١/١٥/١/٦٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣١١ . كذلك راجع [illegible] بتاريخ ٢٨ رمضان سنة ١٣٠٨ من محمود الى الخليفه .

(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٩١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ الحجه سنة ١٣١٤ .

(٣) مهدية ١/١٥/٤/٢٩٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ الحجه سنة ١٣١٤ .

وكذلك فى الملازميه حضرات واوامر غيبية واشير بان لفظة الملازميه يصير استبدالها بلفظة الاسدادية وان كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله استعمالها فى البورى فيه امر دقيق ..)) (١)

كان جيش محمود مكونا اساسا من قبائل الغرب (٢) التى كانت بينها خلافات قديمة طغت عليها ايام المهدية ولكنها ظهرت مرة اخرى عندما وصل جيش محمود الى الشمال فكانت مصدرا من مصادر القلق والفركشة فى وسط الجيش(٣) ثم ان قبائل الغرب كان بينها وبين " قبائل البحر " ضغائن موروثة من عهد حروب الزبير باشا وهذه ايضا ظهرت عندما حضر محمود بجيشه للشمال وساعدت هذه الضغائن على نشر الفوضى فى المنطقة وطغت روح الانتقام . كذلك كانت هناك ضغائن بين اولاد العرب من جهة والجهادية من جهة اخرى حتى انعدمت الثقة بينهما وقد ثار الجهادية على محمود وعلى اولاد العرب كما يذكر محمود فى خطابه للخليفة فى ١٤ الحجه سنة ١٣٠٨ بان الجهادية " قد تواطؤا جميعهم من راس مايه ومقدم ونفر من جميع الارباع على ان يضربوا اولاد التعايشه ومن معهم "(٤) وقد شمل التمرد كل الجهادية حتى الملازميه حرس محمود الخاص ولكن محمودا قضى على هذه الحركة بسرعة وصلب رؤساء التمرد وشتت شملهم ومنذ ذلك الحين لم يعد اولاد العرب يطمئنون الى الجهادية وبالرغم من انهم

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٠٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ رمضان سنة ١٣١٥ .

(٢) فيما عدا بعض الارباع القليله مثل ربع العطا اصول من الشايقيه .

(٣) مهدية ١/٨/٢/١٦١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٣١٥ الخلاف بين الختيم موسى وعبدالقادر دليل . كذلك [illegible] /٢٣٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ رجب سنة ١٣١٣ الهباتيه والزيقات الخ وخلافاتها .

(٤) مهدية ١/١٤/١/١/٨٣/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ الحجه سنة ١٣٠٨ .

كانوا اهل الاسلحة النارية الا ان امر ثباتهم فى الارباع لم يكن مضمونا ٠

والجيش بهذا التكوين كان يحمل معه كثيرا من المشاكل لمحمود حتى تعب منها وشكا الى الخليفه من كثرتها وزهد فى الرئاسة بعداً منها " نهدى سيدى ان عبدكم منذ تعيينه لهذا الجيش له سنة ١٣٠٨ فهو يقاسى من احواله امور تشيب لهما النواصى وتذيب الرواس تارة من عدم الرضا بالحكم وتارة من عدم الهمة فى نجاز الامر وتارة بعدم سماع النواهى وارتكاب مالا يرضاه الله ورسوله حتى ان الاغلب منهم يرتكب مايعود ضرر فعله عليه فى نفسه مع الضرر فى امر الدين الذى لاترضى بادنى خدشة فيه كما يعلم رب العالمين ومع كل هذه الاحوال فاننا ساكتين وللصبر ملازمين ولمرارة عدم المساعدة والموافقة متجرعين اذ كل هذه المدة لم نرفع بان فلانا خالفنى ولافلانا ارتكب المحظور الفلانى الى ان ادى ذلك الى نسبة التقصير منى فى عدم رفع الاحوال واسمعتنى سيادتكم غيرة مرة فى المذكرات امام بعض الاخوان مالا تطيقه القوى البشرية ٠)) (١) فقد انحل امر الجيش وصار افراده يغيرون على الجهات ينهبون وانصرف همهم نحو الغنائم والسلب حتى انفرط عقد نظامهم ولم يستطع محمود رغم اجتهاده الشديد فى السيطرة عليهم فبعد واقعة العتمة كان الواجب على محمود ان يؤمن الاهالى ويحفظ لهم حقوقهم ويمنع الانصار من التعدى عليهم وقد كتب له الخليفه فى هذا المعنى كما يتضح فى خطاب محمود " نهدى سيدى ان امركم الكريم المؤرخ ١٤٢٧ الجارى (صفر)

---

(١) مهدية ١/٨/١/٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ليلة ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ ٠

المتضمن ان الاخذ بالحزم مطلوب وان هذا اوان الجهاد
وان الاشتغال بالغنايم معوق عن الجهاد وان المنافق عبدالله
سعد مادام هلك وانقضى امره فنلتفت لتطمين الاهالي وثباتهم
في محلاتهم برفع التعديات عنهم وان لايكن لنا انتباه غير امر
الجهاد .)) (١) ولكن محمودا لم يتشدد في هذا الامر في
البداية فهو يقول في نفس الخطاب ((ولذا لم يحصل من داعيكم
التفات لجمع الغنايم ولا عينا لها احد والذى وقع بايدى
الاصحاب منها فهو عند وطأة الجيش للمتمة فالخيول فسارت
تابعة اثار بعض المنهزمين حتى وصلت جهة الكتياب آخر
حدود قسم السنيداب وكلما وجدوه من الرقيق والمواشي
امامهم اخذوه وماحصل وان كانوا مستحقين له لداعي قيام اكثرهم
مع الهالك عبدالله سعد وانضمام بعضهم عليه وحصول الرضا
والفرح من الباقين لكننا لم نامر بما وقع عليهم ولاكان
قصدنا .)) (٢) ولكن عندما كثر تعدى الانصار على اهالي
الجهة حاول محمود ان يحزم امرهم بمنعهم من التعديات فلم
يفلح في ذلك حتى تم خراب الجهة وقضى على زرعها وترمزمت
القبائل التي كانت تسكن بها . ويكتب محمود الى الخليفه بانه
حاول ان يطمئن اهالي الجهة فكتب لهم بالامان حتى رجع بعضهم
الى جهاتهم لتعميرها " فما كان من الاصحاب الا خروجهم شلة
بعد شلة مشاة وركبانا غربا وشرقا اتوا عليها وجعلوها حصيدا
كان لم تكن بالامس حيث اخذوا البهايم وقتلوا وجرحوا كثير من الرجال

---

(١) مهدية ١/٨/١/٢٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

واستولوا على النساء بصفات منكرة ينفر عنها الطبع ويحرمها الشرع نحو اخذها لتحمل الماء على رأسها لسقاية الحصان ـ ولا هناك داعى لهذا الامر سوى محض الخلاف للا وامر ..))(١) وقد صار بعضهم يثير ضغائن قديمة حتى كتب الخليفه لمحمود " فنعلمك ان هذا الامر لايخفاك انه الدين وان القصد فيه وجه الله سبحانه وقد بلغنا ان بعض من معكم من خسلو رأسهم يقولوا لاهل الجهة ان ناس الزبير والبحارة فعلوا بدارنا كذلك ونحن الان نفعل بجهتهم وهذا امر لايصدر من عاقل اذ أن هذا الامر هو الذى اتى عليه المهدى المنتظر وهو الدين الذى لاهواد فيه فانتكر لذلك وأنْهِ اصحاب خفة الراس من التفوه الذى لايليق بالعقلاء وذكرهم بوجه الدين والسلام. " (٢)

اما الغنائم التى اخذوها من المتمة فلم يظهروها ابدا بالرغم من تشديد محمود فى طلبها وبالرغم من نصائح الخليفة لهم فى شأنها وفى ضررها فى الدين فقد تكتموا عليها وكلما وجدوا فرصة ارسلوها الى امدرمان او كردفان وقد هرب كثير منهم ورجع الى البقعة أو الى الغرب بالرغم من محافظة محمود عليهم وعمل النقط لضبطهم وارجاعهم ولكنهم لم يعدموا الحيلة فى ذلك .

---

(١) مهدية ١/٨/١ /٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/٤٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٤ صفر سنة ١٣١٥.

كان هذا هو حال الجيش الذى حضر مع محمود من الغرب اما الجيوش التى انضمت اليه فيما بعد فلم يكن حالها باحسن من ذلك " نبدى سيدى ان رجال الجيش هنا بحمدالله كلهم معروفون لدى جنابكم ولاغناء لنا ولا لهم عن افتكار سيادتكم بالمذاكرات والتحريض على الجهاد والموافقة والاتحاد وبالاخص الجيوش التى انضمت على داعيكم بعد حضورنا لهذه الجهة كمثل الجيش الذى كان ببربر وارباع ناس المكرم فضل الحسنة وعبدالله حامد فهولاء وان كانوا ممتثلين لكنا لانقدر على التاكيد معهم فى شئ من الامور ولو تكون مهمة)) (١) فقد انضمت اليه بعض الارباع المحضرة من القضارف تحت قيادة فضل الحسنة وعبدالله حامد وقد كتب اليه الخليفه قبيل وصولهم اليه يخبره بان يرسل اليهم من يمنعهم من التعديات على اهالى الجهات الشرقية " فنعلمك حيث ان المكرمين فضل الحسنة وعبدالله حامد توجهوا اليك بمن معهم من الاصحاب فينبغى ان تحرر لهم بالقول الحسن وترسل لهم من يقابلهم بمحررك على الطريق وحثهم على منع من معهم من التعدى على العباد لان تلك البلاد ضيقة ومد اليد عليها يخربها ·)) (٢) وبالرغم من الاحتياطات التى اتخذت فان جماعة فضل الحسنة وعبدالله حامد قد تعدوا على العباد واخذوا حقوقهم وقد شكاهم محمود الى الخليفة فى ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ بقوله " نبدى سيدى ان الجيش

---

(١) مهدية ٢٠٨/٤/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٣١٥ ·

(٢) مهدية ٢٢/٤/٢٨/١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١١ صفر سنة ١٣١٥ ·

الذى بالشرق تحت قيادة المكرم فضل الحسنة فمنذ حضوره بل من قبل وصوله تراكمت الشكوى من اهالى الجهة فى تعديه عليهم واخذ اموالهم وتعلقاتهم وضرب البعض بالرصاص حتى صارت كالجهة الغربية فى الخراب .))(١) ولم يكن فضل الحسنة متشددا فى امر ضبط الانصار الذين كانوا معه فعندما كان فى الغرب مع الامير عثمان ادم انحل عقد الربع الذى كان تحت قيادته هو واحمد فضيل وقد غضب عليهما الامير عثمان ادم وشكاهما للخليفه حتى رفعهما عن الربع ولم يعودا اليه حتى مات عثمان ادم .(٢)

اما الجيش الذى انضم اليه من بربر فقد كان ايضا متفككا وفيه كثير من المشاكل ،وقد كان عبئا على محمود بدلا من ان يكون مساعدا له فى امر الجهاد فهو يقول عنه فى ٢٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ ((نراهم فى غاية الانحلال حتى وان قطوعهم لم يكن الا بشق الانفس فضلا من كثرة العلائق ولذا فتوجهو الارشاد فى شأنهم ان كان باجمال امرهم الى المكرم على خرفار . بل نرجوا اذا وافق يتحرر لهم الذكرى بالتشمير وترك الدنيا والاقبال على الجهاد الى ذلك ما يحرك الهمم ويبعثها الى الجهاد كذا يتاكد عليهم بترك الاراجيف والرضا بالموت فى الله ويتاكد عليهم ايضا بالموافقة وعدم المناقلة للكلام .))(٣)

وكان جيش بربر عبارة عن عدة فرق تحت قيادة على خرفار والبخيت المنصورى وادم يحى ابن الخليل ومحمد الزين حسن وبعد أن وصل محمود الى المتمة طلب منه الخليفه تعيين شخص

---

(١) مهدية ١/٨/١/٤٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥
(٢) راجع رسالة الاستاذ موسى المبارك " تاريخ دارفور السياسي ص ٢٦١ لتفاصيل انحلال ربع أحمد فضل وفضل الحسنة وعزلهما "وزاد فى كرها عثمان ادم على قادة العصيان أن جاءه حين بلغ الاضية وفد من الطويشة يشكو مافعله فضل الحسنة باهلها اذ سلبهم ممتلكاتهم واسر ٢٣٥٠ من حرائر نسائهن وعبر عثمان عن سخطه بتوجيه على تنزالى تجريد فضل الحسنه من املاكه وتكبيله بالحديد بعد اعتقاله جزاء اعماله فى الفساد
(٣) مهديه ١/٨/١/٩١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

ليقوم بامر بربر وتشاور محمود مع من معه واستقر رأيهم على ارسال البشارى ريده بربعه اليها ، وقد ارسل محمود الى الخليفه بهذا المعنى فى ١٩ صفر سنة ١٣١٥ ((نهدى سيدى انه بخصوص ورود كريم اوامركم السابقة واللاحقة بخصوص مسألة بربر وان تعين لها احد الاصحاب للقيام بمصلحة الدين فيهما قد حصل الاهتمام منا فى ذلك وصرنا متفكرين متدبرين فى امرها وبعد طول التفكر ثم بعد مشاورة الاخوان ورؤساء الارباع جميعهم ومعهم المكرم محمد بشارة اتفقت المشورة من محمد بشارة والعطا اصول وعبدالقادر دليل بتعيين المكرم البشارى ريده بربعه لها وباقى الاخوان تتابعوا عليهم بموافقة ذلك ·))(١) وقد استعد البشارى بمن معه للرحيل لبربر ولكن فجأة وصل من الخليفة مايفيد بانه قد تم تعيين محمد الزاكى عثمان لهذه المهمة (٢) ولاشك أن فى تعيين محمد الزاكى عثمان تكديرا لخواطر من سبقوه من القواد فى بربر · ان المكرم على فرفار ومن معه مادام لهم الاسبقية بالجهة وانتصر الدين على يدهم فالانسان الذى يتعين لمركز بربر توصه بالا يطلب منهم اسلحة ولا جبخانة والداعى لذلك كله الخشيه من تكدير قلوب الاصحاب لان تكديرهما يؤدى الى تعطيل نصرة الدين والقصد ان تكن الكلمة مجتمعة والقلوب متحدة على الدين)) (٣) ولهذا السبب

---

(١) مهديه ١/٨/١/٢٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١/٨/١/٣٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥

(٣) ١/٨/١/٢٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ صفر سنة ١٣١٥
وكذلك مهدية ١/٨/١/٣٦ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ صفر سنة ١٣١٥ ·

تحددت سلطات الشخص الذي ارسل الى بربر ، فبالرغم من انه كانت له الرئاسة على من معه الا ان الامور الحربية كانت لغيره • وقد ارسل الخليفه الى محمود في يوم ٢٩ صفر بهذا المعنى اذ يكتب ((نبدى سيدى ان امركم الكريم العزيز له ٢٩ صفر سنة تاريخه المتضمن ان المكرم محمد الزاكى عثمان قد صارت مذاكرة وانه لابد يساعد في ترويج الجهة وفى امر راحة الجيش واما امر الجهاد ونكاية العدو واستكشاف اخبار الاعداء فلا نعول فيها على المذكور وان نجعل المكرم على فرفار ربع بالاصحاب الذين ببربر•))(١) وعلى هذا تعددت الاختصاصات وتضاربت المسئوليات في جيش بربر وقد ادى ذلك الى الخلاف والانحلال فيما بعد •

كذلك لم يحدد موقف الفرق التابعة للزين حسن وادم يحى " سيدى ان الاشارة الكريمة لم يتصرح بها ضم الجيش الذى مع المكرمين محمد الزين حسن وادم يحى ابى الخليل على المكرم على فرفار ام يقفوا لوحدهم فلذا نرجو الارشاد في امرهم مادام صرنا متوجهين نحوهم والامر مفوض سيدى والسلام "(٢) وقد ظل امر هذه الفرق على ماهى عليه من عدم الضبط الى ان رحلت

---

(١) مهديه ٣٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ •

(٢) نفس المصدر السابق كذلك مهديه ٤٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ ومهدية ٤٦/١/٨/١ من الخليفه لمحمود بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ بأن " المكرم محمد الزاكى عثمان اذا اقتضت المصلحة ان توجهه لبربر فالمكرم على فرفار اليكن بمن معه ربعا وكما سبق لهم كذلك المكرم ادم يحى ابوالخليل يكن ربعا بمن معه وكذلك المكرم محمد الزين يكون ربعا بمن معه والمكرم محمد الزاكى اليكن عليه الادارة فقط "

محمد الزين حسن نفسه " سيدى انه بيوم تاريخه وردت لنا اجوبة من المكرم محمد الزاكى عثمان بتاريخ ١٠ الجارى تتضمن ان الكفرة خذلهم الله تعالى وصلوا بابى حمد وحاربوا المكرم محمد الزين حسن وانه فاز بالشهادة وورد معها جواب من المكرم ادم يحى ابى الخليل يفيد صحة هذا الخبر ويعزى غناصيه)) (١)

وفى ٢ ربيع أخر سنة ١٣١٥ ورد من محمود الى الخليفه مايفيد انحلال كل جيش بربر وتركه لمعركزه رغم كل الجهود التى بذلت لابقائه به " والان ورد لنا جواب من المكرم محمد الزاكى عثمان يفيد قيامه ومن معه من مركز بربر وانحيازه الى الغرب من المقرن بالاسلحة والجبة خانه وذلك بأسباب عدم ثبات الانصار وخروجهم من يده وحرقهم للديم والاشاعة بان وابور الكفرة حضر وانهم قاموا وتركوا لاخر ماذكره هذا وقد ذكروا لنا الهجانة الذين حضروا بهذا الجواب ان اغلب الانصار الذين كانوا ببربر طلعوا الى الجهات الفوقانيه البعض قاصدين القضارف والاغلب قاصدين البقعة المنورة وذكروا ان الواحد منهم يرسل له المكرم الزاكى ليخاطبه او يسأله فلم يقبل وذكروا ان كل واحد منهم اشتغل بحقوقه وعيالاته وتركوا الجهاد .))(٢)

وحتى بعد وصولهم الى المتمة وانضمامهم الى جيش محمود لم يعد الى السريه ضبطها وحزم امرها اذ ان السرية

---

(١) مهديه ١/٨/١/٤٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/٧٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥.

مازالت تتبعها كثير من العوايل التى تعوق سيرها وتضايقها فى معاشها وتشغل اربابها عن الجهاد " اما عن عايلات الانصار جماعة بربر فهى شىء كثير ووجودها معهم فيه لهم غاية الشغله والتعطيل عن مصلحة الدين بملازمة التشير بالعرضات .)) (١) وحتى اميرهم الزاكى عثمان كان معه عدد كبير من العوايل التى تعوقه عن الجهاد "اما عايلات المكرم محمد الزاكى عثمان فهى زيادة عن خادم واحده وسوألسه عنها ذكر ان حريماته من سرية الى حمره الان خمسة عشر بخلاف الخديم الخدامات .))(٢) وذلك بالرغم من انه كان قد اذن له الخليفه فى خادم واحدة فقط .

وهناك امور اخرى فعلها محمد الزاكى عثمان لم يرضى عنها محمود فكتب بها الى الخليفه " تبدى سيدى ان المكرم محمد الزاكى عثمان وان كان سيادتكم تعرف جميع احواله لايحتاج امره الى ايضاح منا الا انه قد عرض من الامور ما وجب كشف الحقيقة فيه لاجل علم جنابكم فقط لا لشىء اخر وذلك انه بالمعروض منه بعد وصوله لهنا اوضح لسيادتكم انه بعد وصوله لبربر ارسل لنا كشف الجيش الذى كان بها ايضا انه قام من بربر على حسب المكاتبة الصادرة له منا بانحيازه الينا وكلا الوجهين بخلاف الواقع .))(٣)

كذلك فان فرق بربر لم يبت فى امر توحيد الرئاسة فيها وحسم مسألة تضارب الاختصاصات ففى ٧ جماد اول

---

(١) مهديه ١٠٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) مهدية ١٠٨/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ .

سنة ١٣١٥ مازال محمود يكتب الى الخليفه فيقول " نهدى سيدى ان امركم الكريم المؤرخ له ٢٧ ربيع آخر سنة ١٣١٥ المتضمن ارشاد داعيكم فيما يجريه نحو الانصار الذين حضروا من بربر بأن يكون فى راسهم المكرم على فرفار وان كان رأيناهم قابلين المكرم محمد الزاكى عثمان يكون الرئيس عليهم الجميع وعلى فرفار يكون عنده الربع اشبه بوكيل وان كان رأيناهم نافرين منه فالربع يكون عند على فرفار واننا نفيد سيادتكم بما يستقر عليه الرأى تشرفنا بوروده والحال سيدى اما من خصوص المكرمين محمد الزاكى عثمان وعلى فرفار الاثنين فمان خليفة المهدى عليه السلام ادرى باحوالهما فى كل شئ وان ماتراه سيادتكم فى تقديم احدهما وانفراده بامر الانصار أو اشتراكهما بالصفة المذكورة فكل هذا داعيكم لايعرف منه شيئا وليس له فى امرهما الان الا الحيرة ·)) (١) ثم يشكو محمود من ضرر تضارب الاختصاصات هذا ويرجو حسمه " سيدى منذ وصول الجيش الذى ببربر لهنا مضت عدة ايام وهى كافية لتحرير الكشف قبل ان تصدر اشارتكم الكريمة بطلبة ولكن كلما طلبنا الكشف من المكرم محمد الزاكى عثمان يحيل الامر على المكرم على فرفار واذا طلبناه من على فرفار يحيل الامر عليه وهكذا سائر الامور متأكلة واذا تخصص احدهما بالقيام بامر الجيش او ماتراه سيادتكم فهو موافق ولتصدر به اشارتكم الكريمة سيدى والسلام ".(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/١/١٠٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥ ·

(٢) نفس المصدر السابق ·

وقد كان من نتائج عدم حسم هذه المسألة ان جيش بربر ظل على ماهو عليه من الانحلال وعدم اطاعة الاوامر وسرت بينهم القطيعة والنميمة ولم تفلح كل مجهودات محمود فى اصلاح امرهم فكتب الى الخليفه يقول انه اجتهد في امر الجيش الذى كان معه قديما وانه دائم " على الذكرى بالمعانساة والمصافاة وبحمدالله قد اجتمعت الكلمة على احسن مايكون وصاروا الاصحاب جميعهم على قلب رجل واحد ليس بينهم ادنى شئ يشغل الافكار حتى ومن يتذكر كلاما قديما يقوله بلسان قاله وحاله هذا قد فات وهذا زمن الجهاد فلا ينبغى فيه الكلام ولا المشغولية بشئ من حظوظ النفس وهذا سمعناه غير مرة الى ان حضرت السرية التى كانت ببربر واجتمعت علينا ونزلت معنا فاكرمنا نزلها والتفتنا اشد الالتفات لاصلاح ذات بينهما كما الاشارة الكريمة الصادرة من جنابكم واهتممنا غاية الاهتمام بانضمامها وحزمها وتركنا ماغيرهما وقابلنا روساءها وكلا منهم قابلناه بما يليق له وجبر خاطره فمع هذه الحالة لم نرى منهم الا تشعب الاقاويل والتعصب على المخالفة وعدم اجتماع الكلمة وذلك جميعه فى جماعة الحمر والزيقات والهبانية والباشرين للكلام منهم ادم يحى ابوالخليل وابو الشفيع وحماد ولد دبيس وقد اخذنا معهم عدة مجالس بمنزل المكرم محمد الزاكى عثمان ثم مقدنا بالهجره بحضور الاخوان ثم اخذنا معهم مجلس لوحدنا كل ذلك فى المراجعة لهم بان يوافقوا المكرم محمد الزاكى عثمان ويشمروا لامر الجهاد ويتركوا الضغائن القديمة فما كان منهم الا التوقف

واخر قولهم انهم قالوا لايتبعوا محمد الزاكى عثمان ولا على فرفار وانما رغبتهم ان يكون كل واحد منهم رئيس على من معه ويقابلونا وقد عجزنا منهم واعتنا فيهم الحيله هذا مع عدم ملازمتهم للاقامة بالهجرة حتى واننا كثيرا ماانطلبهم فلم نجدهم وايضا فالكثير من جماعتهم توجهوا للبقعة المنورة بدون اذن ·)) (١)

وحتى بعد أن امضوا مع محمود مدة ثمانية اشهر لم يستقر حالهم وظلوا على ماهم عليه " ان الجيش الذى كان ببربر واجتمع على اعميكم فانه منذ اجتماعه علينا بالاشارة الكريمة ولغاية تاريخه مضت نحو الثمانية شهور وفى كل هذه المدة نمارسهم ونلاطفهم حرصا على اتحاد الكلمة والوقوف على الاشارة باطنا وظاهرا ومع ذلك لم نرى منهم الا المباغضة فيما بينهم والصدود عن بعضهم وخصوصا مع المكرم محمد الزاكى عثمان فلم يوافقه احد منهم حتى وان على فرفار نفسه لم يكن موافقا له فى شئ وحصلت بينهما المشاجرة بالفعل وايضا لم يكن بين اثنين منهم اتفاق وكل واحد منهم رأيه لوحده ماهو ابو الشفيع لوحده وحماد ادريس لوحده ومحمد ابراهيم ابى فاطمه لوحده والبخيت النعورى لوحده وعثمان عفين لوحده والختيم لوحده وكان ايضا ابوالخليل لوحده وقد اعيتنا فيهم الحيله ·))(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/١/١٢٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ جماد اخر سنة ١٣١٥ ·

(٢) مهدية ١/٨/٢/٢٢٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ ·

* أما الجيش الذى انضم الى محمود من الشرق تحت قيادة الامير عثمان دقنه فقد كان له وضع خاص، ولم تعط قيادته كاملة لمحمود ، وقد ظل حاله مع جيش محمود كانهما جيشان يسيران معا ،حتى أن الخليفه نفسه كان يعاملهما على هذا الاساس فيخاطب محموداً وبقية الجيش بخطاب ويكتب لعثمان دقنه على حدة وكأنه ليس معهم ، وكذلك الحال عندما يكتب الامراء للخليفه فمثلا الخطاب بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٣١٥ (١) كان مذيلا باختام محمود وجميع الامراء الذين كانوا معه الا عثمان دقنه ،وقد كان انضمام عثمان دقنه وجيشه الى محمود بامر من الخليفه على اساس انه انضمام مؤقت لاجل مهمة محددة : ((فنعلمك ان المكرم عثمان ابى بكر دقنه قد حررنا اليه بالتوجه اليكم والاجتماع بكم بجهة شندى والمذكور انضمامه عليكم ليس اسوة الارباع التى معكم بل هو والجيش الذى معه اجتماعه عليكم مؤقتا لاجل مصلحة التحزب لجهاد الاعداء لاغير فليكن اكرام المكرم عثمان المذكور واحترامه وحفظ مقامه هو والجيش الذى معه لاجله الى ان ينتصر الدين ومادام المذكور لم يسبق لهم هو وجماعته اجتماع على انسان بالتبعية وقد اقتضت المصلحة اجتماعهم عليكم فعاملوهم ايها المكرم بالاكرام هو وجماعته الى ان ينتصر الدين والسلام.))(٢)

ولم يكن عثمان دقنه راضيا عن هذا الانضمام ولكنه اطاع امر الخليفه فى ذلك ،ولم يكن ليرضى بامارة محمود الذى

---

(١) مهديه ١/٨/٢/٢٠٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١/٨/٢/١٧٧ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٣١٥

(٣) مهدية ١/٨/٢/١٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣١٥

يصغره سنا ، ويقل عنه تجربة خصوصا فى الحرب ضد الانجليز والمصريين ملو لا ان امره بذلك الخليفه عبدالله ؛ فقد كان محمود قد كتب له من قبل بعد رجوع جيوش بربر يطلب منه القيام من مكانه بمن معه واللحاق بجيش محمود ولكن عثمان دقنه تجاهل ذلك الطلب ولم يعمل به الى ان وصله الأوامر من الخليفة رأسا " واما المكرم عثمان ابى بكر دقنه فلداعى ماتراه من اهمية عدم تاخيره هناك ولو لم يكن مذكور بالامر فقد حررنا له بالحضور بكافة من معه عملا بالاشارة السابقة » (١) ولكن عثمان دقنه رفض الانصياع لهذا الامر " نبدى سيدى انه فى عصر يوم السبت الذى هو يوم تاريخه وردت لنا اجوبة اثنين من المكرم محمد الزاكى عثمان يذكر بها وصوله لجهة الجبل ووعد بالحضور الى شندى بيوم الاحد او يوم الاثنين ... وعدم تحريك عثمان ابى بكر دقنه "(٢)

اما الجماعة الذين كانوا مع عثمان دقنه فقد كان اغلبهم من اهالى الشرق الذين لايتحدثون اللغة العربية ،ولذلك فقد كان وضعهم فيه شئ من الحساسية بالنسبة لبقية افراد الجيش . وقد كانت علاقة محمود نفسه مع عثمان دقنه فيها شئ من التحفظ والحساسية وليست علاقة قائد الجيش بمن معه من الامراء ." اما جلالة مقام المكرم عثمان دقنه

---

(١) مهديه ٨٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ٨٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٣ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

فـانـنـا لا نجهلها ولا نرى شـيئا يـفى بمقـامـه فـى الاكـرام بل كلما يخطـر ببالنـا فى ان نقابله به ونعمـله معـه نـراه فى غـاية القصـور ومع ذلك فاننـا لا نترك مـن جهدنا شـيئا فى اكرامـه واجلاله وتوقـيره واحترامـه واحتـرام كـافـة مـن معـه ٠٠" (١) وقـد بلغت الحسـاسية بمحمـود حدا جعله يحجم عن طـلب عثمان دقـنه الحضـور من شندى لمقابلته كما فعل الزاكى عثمان وعلى فـرنـسار وفضل الحسن وعبدالله حامـد من قـبله بل طـلب منـه الاقـامـة بمحـله الى أن يقطع هـو ومن معـه النيـل ليقـابـلوه " وليـلة البـارحـة أرسـل لنـا مكاتبـة بخصـوص تفيـد وصـوله وتتضمن فحوى الاشـارة الكريمـة التى صـدرت اليه وسـوقـه كتبنـا له بشـكر صنعيـه والاستبشار بقدومـه وعـرفنـاه عـن سـرعـة حضـورنا للشـرق قريبا ورغبنـا منـه ان يقيم بشـندى لغـاية المقـابلة معـه ٠))(٢) ٠

وقـد زاد الامـر تعقـيدا أن الخليفه بالرغـم من أنـه كان يـرى ان عثمان دقـنه هـو الاقـدر فى النواحى الحربيـة ، والاكـبر سنـا ، وذو الخبرة المتمـرس فى مقـابلة " الترك "، الا انـه اعطـى قيـادة الجيش لمحمود وجعل عـثمان دقـنه تابعا معـه ، ولكن كان يطـلب منـه ابـداء الرأى لمحمود : " وكذلك انت ايـها المكرم عثمان دقـنه فحيث انك ممارس لامـر الحـروب والجهـادات ولك المعرفـة باحوال الاعـداء المـذكوريـن لتكـرر

---

(١) مهديه ١/٨/٢/١٦٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٧ رمضـان سـنة ١٣١٥ ٠

(٢) نـفس المصـدر السـابق ٠

المحاربات بينك وبينهم فلتكن المفاوضة بينك وبين المكرم محمود فى كل مايؤدى لنكاية الاعداء وخذلانهم .))(١)

كان الجيش الذى تبع محمود كبيرا جدا من الناحية العددية (٢) الا أنه كان يفتقر الى كثير من مقومات الجيش، فقد كان عبارة عن مجموعات متنافرة، وفرق متفككة انعدم فيها الربط والتنظيم وفوق كل ذلك لم تنل قسطا من التدريب على الحركات الحربية يجعلها اهلا لمقابلة جيش نظامى مثل ذلك الذى ارسلت لمقابلته . وقد كتب الخليفه الى محمود وجميع الامراء الذين معه ((فنعلمكم ايها الاعوان ان الحزم فى امور الجهاد من اهم المهمات لما فيه من السداد وانكم قد صرتم على حركة الجهاد ومعكم من الاصحاب جيش وافر يحتاج فى تدبيره وتدريبه لدى مصادمة الاعداء الى الافتكار التام لضبطه وتوجيهه . والجيش الذى معكم وان كان متحزبا ومنصما لكن لم تسبق له محاربه لامثال هؤلاء الاعداء الخداعين ولربما انه يكون فى ساحة الحرب على عادته السابقة من الوقوف فى حالة المصادمة على غير انتظام او تنفلت الخيول منكم لاجل المناورات والكسب والاعداء يكمنون لهم الكمائن ويدخلون عليهم الضرر وهم لايشعرون .)) (٣)

---

(١) مهديه ١/٢٨/٤/١/١٧٥/١/١ من الخليفه الى محمود ومن معه بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣١٥ وكذلك مهديه ١/٨/٢/٢٠٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٩ رمضان سنة ١٣١٥ .

(٢) يقدر عدده بحوالى ٣٠ الفا او اكثر بما فى ذلك الفرق التى انضمت اليه من بربر والشرق .

(٣) مهديه ١/٢٨/٤/١/١٧٥/١/١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٤ رمضان سنة ١٣١٥ .

ويشكو محمود الى الخليفه من عدم معرفة الحركات الحربية كالتتابع فى السير ومعرفة النداءات المختلفة وماشابه ذلك فيقول " ان الارباع التى كانت معنا فيما سبق متتابعة فى سيرها وفى مشيها فى حال العرضه وغير ذلك من لوازمها التى تقتضى التتابع اما الان فبانضمام الجيش الذى ببربر وبعض الجيش الذى كان بالقضارف حصل الارتباك فى ضرب البورى عند المناداة بالجمع سواء كان ليلا او نهارا .))(١) ومن الحركات الحربية التى حاول الخليفة توضيحها لهم ليتعلموها ماكتبه لهم فى الرابع من شوال سنة ١٣١٥ هـ وقد رد عليها محمود ومن معه فى خطابهم الذى ارسلوه له فى الثانى عشر منه يشكرونه على ارشاداته لهم فى امر الحرب ((بالاتحاد والتحزب والمحبة والانقياد لعاملنا المكرم محمود أحمد والتمييز فى ساعات الحرب وتجهيه الخيول وأن لا تحصل غفلة فى وقت من الاوقات وان لا نقتحم قياقر الكفرة اذا تحصنوا فيها وان نفتكر لمكايدهم التى اعتادوا عملها سابقا من القاء الامتعة والانكشاف عنها فى ساعة الحرب وغيرها وان لايحصل اشتغال بكسب الغنائم.)) (٢)

ولم تكن لهذا الجيش خطة مدروسة ومحددة بل امر محمود بان يذهب ليقابل العدو الزاحف من الشمال ، وقد تركت كيفية مكافحة ذلك العدو للظروف والاقدار . وقد كان محمود ومن معه من جهة والخليفه ومن معه من جهة اخرى يتخبطون من فكرة الى اخرى ومن رأى الى اخر ، فقد

---

(١) مهدية ١/٨/٢/١٨٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شعبان سنة ١٣١٥

(٢) مهدية ١/٨/٢/٢١١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥.

تحرك محمود من امدرمان الى المتمة وكان يتوقع مقابلة جيش كتشنر هناك خارجا اليه من الصحراء ولذلك وطد عزمه واجرى استعداده على هذا الاساس ، فاحضر معه اعدادا كبيره من الخيول ، كما ارسل اليه الخليفه اعدادا اخرى كثيرة فيما بعد (١) على اساس انه كان يتوقع ان تكون الحرب فى ارض سهلة منبسطة يكون فيها مجال للخيل للكر والفر (٢) . ولكن جيش كتشنر لم يمرق اليه من الصحراء كما كان يتوقع ، فبقى محمود فى المتمة دون أن يحدد ماذا يفعل بعد ذلك ، وبدأ بعد ذلك يحاول أن يتحسس الجهات التى ربما يحضر بها الجيش فكتب الى ادم يحى ابى الخليل ومحمد الزين حسن ، بجهة الرباطاب وابى حمد ، ليرسلوا له اخبار جيش كتشنر ، كما تم تعيين محمد الزاكى عثمان لجهة بربر ، ويلاحظ فى تعيين محمد الزاكى عثمان الاهتمام بالناحية الادارية واهمال الناحية العسكرية فيه مما يدل على عدم توقع حضور جيش كتشنر بتلك الجهة ، ولكن فى ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ غير محمود هذا المفهوم اذ وردت اليه اجوبة من محمد الزاكى تفيد تقدم الكفرة الى ابى حمد ومحاربتهم محمد الزين حسن وفوز الاخير بالشهاده وعليه (فبعد المشورة ورؤية المصلحة ما رأينا ان نأخذ معنا ناس العكرم فضل الحسنة وعبدالله حامد بمن معهما وانهم من أمس

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/١-٤-٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٨ و٢٩ محرم سنة ١٣١٥ . ومهدية ١/٨/٣١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٥ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/٨٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

شارعين في القطوع علينا .. ولغاية اخر نهارنا هذا منتظر استكمالهم علينا وبكره او بعد بكره نقوم بالجيش جميعه نحو بربر ..)) (١) ولكن لم تصلهم الموافقة النهائية من الخليفة بالتحرك نحو بربر . وعليه عندما ارسل محمد الزاكي عثمان الى محمود يستفسر عن وضعه ووضع الجيش الذي معه ببربر : هل ينتظر بها ام يتراجع بعد ماحصل لجيش محمد الزين حسن (٢) لم يستطيع محمود أن يكتب له بامر قاطع بل ترك له الامر مبهما اذ قال له :" نرى ان تحزموا امركم وماترو موافقا من اوجه التدابير تعملو اذ بحمدالله لايفوت عليكم شيء فان رأيتم الانحياز الى الغرب بمن معكم وانتظارنا هناك فهو موافق وان رأيتم تثبيت الاصحاب والاستعداد والتحزب لغاية قدومنا كذلك موافق وعلى الجملة فاذا حصل شيء قبل وصولنا فيلزمكم وجوبا اعمال التدابير الموافقة لان الحاضر يرى مالا يراه الغايب .))(٣)

وقد حضرت بعد ذلك احدى وابورات كتشنر فجعلت الزاكي يترك بربر وينحاز الى محمود بالمتمة . بعدها ظن محمود بأن جيش كتشنر سيواصل سيره ويأخذ بربر ثم يزحف نحو امدرمان ، ولذلك جعل يلملم اطرافه في انتظار وصولهم اليه ، وطلب من عثمان دقنه القيام من مكانه بالشرق لينضم عليهم كما فعل الزاكي عثمان . وتغيرت تبعا لذلك الخطة من جديد فقد رأى الخليفه ان الجيش لابد له من الرجوع الى السباوقه

---

(١) مهديه ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٤٦/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ليلة ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٣) نفس المصدر السابق .

لان بها " المكيدة فى السفن " . وهنا لابد من ذكر الفرق بين الخطة التى كانت فى ذهن محمود وتلك التى كانت فى ذهن الخليفه فقد كان الخليفه يرى أن يركز على مكافحة الوابورات فى البحر بينما كان محمود يرى ": ان البحر لاحرب فيه غير الوابورات ويبعد بها معلوم فى حال الكفرة ان يرسلوا وابوراتهم الى السبلوقة بدون جيش واذا كان المدار كله على جيشهم الذى بالبحر وان المتواتر فيه من الاخبار انه .. سيحضر ويحارب بالصحراء بدون أن يتستر بشئ وعلى هذا فجهة المتمة أولى فى الحرب واوسع لمجال الخيل ولاتخاذ الكماين ولسرعة التحام الجيش بالجيش كما هو مزم داميك .)) (١)

وقد ادى هذا الاختلاف فى التفكير وعدم وجود خطة مدروسة محددة الى التردد الذى وقع فيه محمود وعدم تحركه من المتمة فبينما كان الخليفه يرى انه لابد للجيش من التحرك للاستيلاء على بربر لاستلام المضايق وعمل الطوابى فيها لمنع الوابورات من التقدم ، وبعد ضياع فرصة استلام بربر كان يرى انه لابد من رجوع الجيش الى السبلوقة لنفس الغرض فان محمودا كان يرى ان المتمة هى المكان الاهم ، وعليه لايمكنه تركها وراءه مهما كان الامر ، ولذلك فانه بعد أن اتاه الامر من الخليفه بالتحرك الى بربر ظل يتلكأ ولم ينفذه مباشرة بل ظل يشاور من معه ، ويطلب مزيداً من الاسلحة النارية ،

---

(١) مهدية ١/٨/١/٨٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

ويعتذر عن هذا التلكؤ بقوله ((ولو لا الاشارة الكريمة بأننا نخابر سيادتكم بعد اتفاق المشورة ثم نقوم لكنا قمنا بالفعل ولم نتأخر ولو يوما واحدا وبالمفاوضة اتفق الرأى على القيام بالجيش جميعه الى بربر ومنها الى محلات المضايق والشلالات غير انهم ذكروا اتفاقا أمنى الاخوان بأن خلة المتمة هذه هى من اكبر البغازات وبعد تواتر نزول الامطار بالخلا لايبعد أن تسول للاعداء نفوسهم النزول عليها طلبا للنكاية ولزيادة المشغولية بالاصحاب ورغبوا ان يتعين جيش للاقامة هنا ويقوم من البقعة المنورة حيث انهم يقوموا من هنا نحو بربر وذلك لئلا يجد العدو فرصة للدخول بهذه الجهة ولو مجرد طلايع وماذكروه داعيكم يراه عين الحزم "(١)

وحتى بعد أن تحرك محمد الزاكى عثمان من بربر ، وتأكد لمحمود أن جيش كتشنر سيحضر اليه عن طريق البحر وان ذلك الجيش باستيلائه على جهة بربر يكون قد استولى على جهة استراتيجية هامة ، الا ان محمودا ظل يماطل فى التحرك من المتمة : " نهدى سيدى حيث ان داعيكم ومن معه فى مقابلة امر الحرب مع الكفرة خذلهم الله تعالى وهؤلاء الاعداء من قبل وصولهم بربر وهم مغترون ومتكثرون باهالى البلد وغيرهم ولاسيما فيدخلوهم الى بربر يزداد غرورهم وشعروا الأكثر القتال بل قد صاروا بدخولهم فى هذه الجهة

---

(١) مهدية ٣٥/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ . كذلك مهدية ٢٧/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ ربيع آخر سنة ١٣١٥ .

كالعدو الذى بين الثوب والجسد ولا ينبغى التهاون فيه ولا الغض عنها فيه ادنى نكاية بهم وهدما لما بنوه من الخيالات الفاسدة ولهذا فان داعيكم يرى انه من الواجب المحتم عليه دون غيره ان لايكتم عن سيادتكم شيئا فيه المصلحة وعلى ذلك فان تأخيرى بالجيش بالمتمة وان كنت اعلم ان الاعداء يتكلمون فيه ويتسع لديهم مجال الطعن لكن لم اتأخر لشىء فيه حظ لنفسى ولا لراحتها وانما تأخرت بحسب المصلحة الدينية » (١)

ثم اتضح لمحمود ان جيش كتشنر لم يكن قد استولى على بربر وانه قد اضاع وقتا مهما بالمتمة مترددا لا يتقدم الى بربر ولا يتراجع الى السبلوقه واتضح له ان هذا التردد والتأخير عن بربر قد اضر بجيشه ضررا بليغا ((نبدى سيدى انه لايخفى جنابكم احوال الكفرة خذلهم الله تعالى فى ان غاية اعتمادهم على التحيلات والتدبيرات التى لاتأثير لها فى شىء من امر الله تعالى ومن ذلك تأخيرهم الان عن الحرب فانهم وان كانوا متأخرين جبنا وخوفا لكنهم يظهروا انه من باب التدبير وقد اتضح انهم لم يحضروا الى بربر لغاية الان وانما ارسلوا وابوراتهم وهى اربعة وارسلوا العبابدة المخذولين كما توضح فى غير هذا واذا كان كذلك فان تأخير الكفرة عن الحرب الحالة هذه اذا صح امره لايكن اضر منه

---

(١) مهديه ١/٨/١/٨٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

للجيش هنا بل اذا صح فلا ينبغى التأخير بالمتمة ويجب المبادرة الى بربر لاسترجاعها منهم بقوة الله تعالى "(١) وبذلك ترك محمود المتمة الى بربر وهو مضطر الى ذلك ، وجيشه فى حالة ضعف شديد كما ذكر للخليفه (٢) ، وحتى بعد تحركه نحو بربر لم تكن عنده خطة محددة ولم يرسم لنفسه طريق سير محدد بل اعتمد على ماتتطلبه الظروف الوقتيه وعلى ماتشير به مشورة من معه اذ انه بعد أن وصل بالجيش الى العالياب اختلف الرأى بينهم فى هل يتيمموا طريق " البحر " ام يتركو ويتجهوا شرقا نحو نهر عطبره .

ولعدم وجود خطة مدروسة ومحددة لدى محمود فانه ظل يتخبط ويشاور ، ثم يقرر شيئا ثم يتركه ليتخذ موقفا اخرا ويستقر على فكرة اخرى ، وقد ادى ذلك الى ارهاق الجيش الذى كان معه بكثرة التحركات من جهة الى اخرى ،وبالعبور من الشرق الى الغرب، فالجيش الذى حضر من القضارف مع فضل الحسنه وعبدالله حامد لم يترك بالشرق بل طلب منه ان يعبر النهر الى الغرب (٣) لانه كانت هناك فكرة بابقائهم فى المتمة ليتمكن محمود من التحرك بجيشه الى بربر ثم جاء جيش محمد الزاكى عثمان فطلب منه العبور ايضا .(٤) ثم تارة كان محمود يقرر التحرك بجميع من معه الى بربر ، ويامر بعض الارباع بالتحرك امامه ، ويكسر معسكره فى المتمة ، ولكن بعد كل ذلك وبعد ان تتحرك بعض الارباع

---

(١) مهدية ١/٨/١/١٠٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سنة ١٣١٥
(٢) مهدية ١/٨/٢/٢٢٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ .
(٣) مهديه ١/٨/١/٤٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .
(٤) مهديه ١/٨/١/٩١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٠ ربيع اخر سنة ١٣١٥ يذكر بان قطوع طابى محمد الزاكى كان فى غاية الانحلال .

يقرر محمود الغاء فكرة التقدم وتوجيه الارباع التي تقدمت مرة اخري (١) " نهدي سيدي اننا كنا رفعنا لسيادتكم غير مرة قيامنا من المتمة وانه لاتاخير لنا سوى انتظار اجتماع ناس المكرم فضل الحسنة بمن معه علينا وقد كان واجتمعوا علينا امس تاريخه لداعي تخويق تاساتهم بالشرق وعلى حسب مارفعناه من السفر بالجيش كان خرجنا من المتمة بغاية الاستعداد الذى هو فى طاقتنا وصرنا على وشبة القيام بل كل يوم فنحن فى حركة السفر نحو بربر الا ان الاحوال لم تساعد بالقيام مرة واحدة ولما لم يتاتى ذلك تراه لداعيكم بعد المشورة قيامه على طوائف ويوم امس هذا وجهنا المكرم عبدالقادر دليل بربعه وعازمين على توجيه المكرمين فضل الحسنه وعبدالله حامد يومنا هذا باثره ونقوم بعدهما بباقي الارباع جميعها بدون تاخير "(٢) ثم تصل وابورات كتشنر لمناوشة محمود وزعزعته ويتضح له ان الوابورات كانت تميل دائما الى جهة الشرق لعدم وجود جيش بها فيطلب الاذن فى السماح له بارسال بعض الجيش مرة اخرى الى الشرق للاقامة بشندي وعمل الطوابي فيهما ((سيدي ان وابورات الكفرة عند محاربتها فهى ماسكة البر الشرقي وذلك لعدم الانصار به وذات ولد الشرتاويه والاخ الذى معه شاهدوها باعينهم)) (٣) وقال فى خطاب

---

(١) مهديه ٥٠/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٥٩/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ ربيع اول سنة ١٣١٥هـ .

(٣) مهدية ١١٣/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٨ جماد اول سنة ١٣١٥ .

اخـر ان الـوابورات عنـدما حضـرت حاربها الانصـار الذيـن بالغرب وعطلوا واحدا منها ولو كان هناك جيش بالشـرق لكان له اثـر كبيـر فى محاربتها " نهـدى سيدى ان وابورات الكفرة الثلاثة بعدما رجعت امس نحو شـندى لعدم الانصار بهـا ومكثت الى قـريب المغرب ثم توجهت نحو الجزيرة سـردية ولـو كان بالشـرق جيش لما تمكنـوا من الانـعطاف علـى شــندى ولا تصليح وابورهم المضـروب مـع انهم توجهوا بـه ٠٠ من هنا مقطـور ٠)) (١) ولكن عنـدما تكرر الضـرب من هذه الـوابورات وزدات حركتها نجد محمود يغيير رأيه مـرة اخرى ويقـرر ارجـاع جماعـه الذين بالشـرق الى الغرب مـرة اخرى فيكتب فــى شـعبان الى الخليـفه "انـه منـذ سـبعة ايـام قـد صارت وابورات الكفـرة تغيب يـوما واحدا عن جزيرة سـردية التى هـى بمـرأى العين من ديـم المتمـة وصـارت تغب يوما وتضارب يوما ومع هذا فانها مـترددة بحيث كل يـوم يحضـر وابور اخر ويتوجـه الـذى قـبله ٠٠٠ اسـتقر سيدى ان الاخوان الذين بالشـرق لابـد من جمعهم عـلينا ولكن المراكب متعذرة)) (٢)

ثم اخيرا قـرر محمود ان يترك المتمـة ويتحرك نحـو بربر بجمـيع من معه من الجيش وبالتالى قـرر ان يـعبر بجميع الانصـار الى الشـرق مـرة اخرى ٠ وفى كل المرات المتكررة التـى حدث فيها العبور من الشـرق الى الغرب او من الغرب الى الشرق

---

(١) مهدية ١/٨/١/١/١١٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ جماد اول سنة ١٣١٥ ٠

(٢) مهدية ١/٨/٢/١٧٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ شـعبان سـنـة ١٣١٥ ٠



كانت هناك صعاب كثيرة تقابل الانصار وقد مات منهم عدد كبير بالغرق كما ان الوابورات اخذت كثيرا منهم فى الأسر وفى احدى هذه المرات يوضح محمود بعض الصعاب فيقول ((نهدى سيدى انه على مقتضى الاشارة الكريمة بالقطوع للشرق مازلنا باذلين الجهد فى قطوع الانصار شئ فشئ لان المراكب قليله وهى كلها ثلاثة معديات وكل واحدة لاتزيد من خمسة ستة انفار وايضا فلا تقطع فى النهار زيادة عن مرتين .. خوفا عليها من وابورات الكفرة ... ولايخلو الحال من غرق بعض المعديات بالانصار وفوزهم بشهادة البحر)) (١)

وبعد أن وصل محمود بجيشه الى العالياب واستقر رأيه على الذهاب الى نهر العطبره نجد انه سار بالجيش كله فى يوم واحد فقط من العالياب الى ام ضبيع وفى هذا ارهاق شديد للجيش ((فقد توجهنا من العالياب فى ظهر يوم الجمعه الموافق ٢٩ شوال ونزلنا فى بحر اتبره بيوم السبت الموافق ٢٥ منه وكان نزولنا قريبا من جهة ام ضبيع وقد وجدنا فى الجهة المذكورة من السدوم ما اوفى بكفاية الجيش الا انه مضر لهم غاية الضرر .)) (٢) وزيادة على هذا الارهاق بكثرة التحركات فان جيش محمود قد هدده الجوع وانعدام الغلال والمؤن والذخائر.

كانت مسألة تموين هذا الجيش من اكبر الصعاب التى قابلت محمود وكان دائم الشكوى من انعدام الغلال

---

(١) مهدية ١/٨/٢/١٩٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ رمضان سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/٢/٢٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ القعده سنة ١٣١٥ .

والاسلحة النارية والذخيرة . وقد كان محمود فى ايامه التى قضاها فى الغرب يفرق جيشه بالجهات ليحل مشكلة الغلال وتتسع لهم المجال ويجتمعوا مرة اخرى عند الحاجة اليهم ، اما فى هذه الجهة فانه لم يتمكن من عمل ذلك كما انه وجد ان الجهة نفسها قاحلة ليس بها الكثير ((سيدى ان الجيش الذى مع دامحكم شئ وافر بحمدالله تعالى وهذه الجهة لاتفى ببعض المؤن اللازمة له فضلا عن وفايها بها كلها وخصوصا ماقيل بان القشوش اللازمه للخيول والبهايم غيرها مالم تتعمر السواقى وتدور لايتاتى الحصول على شئ منها على ان كافة ابقار الجهة صارت بيد الاصحاب واذا ارسلنا الابقار تصير الجهة خالية عنها وعن ساقية واحده ويحصل التلف للخيول فيمابعد .)) (١)

وبالاضافة الى أن الجهة كانت بطبيعتها ضيقة ولا تسع هذا الجيش فان الانصار قد خربوها خرابا شديدا اذ انهم "اغاروا عليها ثلة بعد ثلة مشاة وركبانا غربا وشرقا حتى اتوا عليها وجعلوها حصيدا كان لم تكن بالامس حيث اخذوا البهايم وقتلوا وجرحوا كثيرا من الرجال)) (٢) وكانوا يرسلون البهايم التى كان الاعتماد عليها فى تعمير السواقى الى امدرمان وقد حذر الخليفه محمودا من ذلك فكتب اليه فى ٥ ربيع اخر

---

(١) مهديه ١/٨/١/١/١١/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/٣٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ليسلة ٢٤ صفر سنة ١٣١٥ .



يحذره من ضرر ارسال جماعته لهذه الاشياء " الى اولادهم طوايف طوايف اشبه بحال الكمانيات السابقة))(١) ولم يكن من السهل ارسال الغلال من امدرمان لكثرة وجود الجيوش التى بها ولذلك كتب الخليفه الى محمود " فنعلمك انه نظراً للاهتمام بالمعاش وثبات الجيش الذى معك قد تحرر لك مرارا بالاعتناء بالغلال وهذا تاكيد لما سبق ينبغى ان تزد تيقظا فى ذلك بحيث لا يحصل اقل تبذير فاذا رأيت البقعة وتراكم الاصحاب بها فانه غير ممكن توجه غلال منها يكفى الجيش الذى معك وحيث ان الله قد جعل لكم مخرجا فى امر الغلال فلا تضيعوه وكذلك البهايم لايتلفوها الاصحاب إلا بالذبح وليكن منك الالتفات لكل ذلك والسلام .)) (٢) وحتى لو وجدت الغلال فان طريقة ارسالها لم تكن سهلة ، ولم يعمل محمود ولا الخليفة على تنظيم طرق جيدة للامدادات ، ولذلك لم يكن باستطاعة الجيش استلام اى شئ يرسل اليه من امدرمان ، وقد كانت اول تجربة فى هذا الصدد هى ان يعقوب بن محمد اخا الخليفة كان قد ارسل بعض المراكب بالغلال الى الجيش ولما اتضح له عصيان عبدالله ودسعد ارسل اليها مخاصيص ليلحقوا بها ويعيدوها ولكن بدل الرجوع بها اخذوها ودخلوا بها المتمة " نبدى سيدى ان المراكب التى ارسلت بالغلال

---

(١) مهدية ١/٨/١/٧٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ ربيع اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/٢٨ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٠ صفر سنة ١٣١٥ .

لاجل صرف الجيش كان لحقوها مخاصيص من طرف سيدى المكرم يعقوب بن محمد لاجل حجزها فما كان منهم الا ان سلوا سيوفهم وعرضوا واخذوا المراكب ودخلوا بها المتمة)) (١)

ولم يستطع محمود السيطرة على النيل ليتمكن من استعماله لهذا الغرض بل العكس اذ ان وابورات كتشنر منعته منعا باتا من محاولة استعماله فيما بعد . ولم يكن طريق البر احسن من ذلك فبعد أن صرف الخليفة من محمود بأن وابورات الكفرة صارت تتردد كثيرا على جهات المتمة ومابعدها قرر ارسال العيوش الى وادى بشاره بالمراكب لينقل منه بعد ذلك بالبر . " فتعلمك ايها المكرم انه بالنظر لشفقتنا على الاصحاب الذين معكم واهتمامنا بامركم الجميع وان كان امر العيوش هنا متعسر نظرا لتراكم الجيوش هنا من كل الجهات فها قد شحنت لكم المراكب بالعيوش وتوجه لطرف المكرم عبدالباقى عبدالوكيل لكى يضعها لكم فى المحل الموافق تحت امانته فبوصول هذا اليكم فانظروا باتفاقكم الجميع وانتدبوا حالا من تختاره من الرجال الامنه لاستلامها من المكرم عبدالباقى واعملوا الطريقة المؤدية لنقلها اليكم بطريق البر بغاية الصيانة والحفظ ويكون التعجيل بارسال ماتختاروه لذلك ليواجه العيوش بطرف المكرم عبدالباقى عبدالوكيل ويجرى ترحيلها اليكم .))(٢)

ولكن محمودا لم يستطع ترحيل العيوش بعد ان وصلت بالمراكب الى عبدالباقى عبدالوكيل بوادى بشاره ، وقد كتب

---

(١) مهدية ١/٨/١/٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١٥٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢٥ رجب سنة ١٣١٥ .

الى الخليفة بذلك فرد عليه الخليفه بأنه بعد أن فشلت هذه المحاولة فان الحل الوحيد هو رجوع الجيش كله الى السبلوقة لعدم التمكن من السيطرة عن طرق الامدادات " نحب أن يكون امر الجيش الذى معك منتظما ومسددا ومن وقتست مامأمنا دخول الضرر عليه امسط ذلك صرفنا فكرنا نحو الافتكار لاوجه راحته فى امر معائشه ومع ضيق الحال هنا ارسلنا ماسبق اعلامك به من العيش لرفع ضرره ولما علمنا من اجوبتك السابقة واللاحقة تردد وابورات الاعداء خذلهم الله عليكم وعدم تمكنكم من نقل العيوش اليكم اول وصولها بوادى بشاره وتضرركم من الاقامة بالمتمة لرؤيتكم عدم حصول مصلحة فى ذلك ورغبتكم للقطوع للجهة الشرقية لمناجزة الاعداء اتفقت المشورة لدينا على اصوبية حضوركم بالسبلوقة ورأينا ان فى ذلك المصلحة من عدة وجوه الوجه الاول تمكنكم من العيوش التى ارسلت لكم لازالة ضرر الجيش منها الثانى امكان وصول العيوش اليكم من هذا الطرف من كل الطرق برا وبحرا حتى بصفة البيع والشراء وفى تواجد العيوش راحة للجيش وتجمعه .)) (١)

ولصعوبة طريق البر لم يستطع محمود نقل العيوش التى ارسلت اليه دفعة واحدة فصار ينقلها على دفعات وقد اتضح له فيما بعد أن هذه الطريقة غير مجدية ولا نفع منها : ((والغلال الذى سبق ارساله من البقسمة المنصورة

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/١٦٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٤ شعبان سنة ١٣١٥ .

باشـــارة جنابكم احســـانا عليهم لم يرد لهم دفـعة واحـدة حتى يكتفـــوا بـه ويكون لهم زادا يبـلغهم المحل وانما ورد دفـعة بعد اخرى حالة كونها متفاوتة فى المـقدار واقتض الحال بعد ذلك صرفه للارباع بالتعاقب الى أن طالت الايام واخيرا انقطـع عنهم)) (١) ضـاق الحال بمحمود ومن معه مـــن انعدام الغلال فكتبوا للخـليفه ((ان كافة الانصار الذيـــن معنـا من اولاد العرب والجهاديـة كلهم شـكوا لنا بلســـــان الحال والمقـال فـى امـر عـدم الغلال وظهر عليهم من الضـــرر مـالا طـاقة لهم بالتصبر عـليه بعد هذا وبالاخص يومنا هذا تـقـدناهم بميـدان العـرضة فاذا المـوجود من الجيش نصفـه او اقل وكلهم توجهوا للشـــرق لجلب الغلال ولا يخفى مـــا فى حالة الفـــزع للغلال من التـفرق وعـدم الحزم وكونهم عرضه للضياع بحصـول ادنى هجوم مـن العدو)) (٢)

كثر خروج الانصـار من الارباع لعدم وجود الغلال وصار بعضـــهم يتـوجه الى البقـعة والبعض الاخر يقطع الى الشـرق طـلبا للعيـــوش ((انـه قـد كثـر فى هذه الايـام تطـلـب الاصـحاب لنـا فـى الاذن بانهم يرسـلوا للبقـعه ليشـــــتروا لهم غـــلال ولا نعلم هل يـوافق ذلك ام لا)) (٣) وبعض الذيـــن توجهوا للشـــرق كانوا يتزاحمـون عـلى المراكب حتى غـرق بعضهم ، وبعضهم كـان يتـوجـه الى الشـــرق بغـــرض الهـــروب

---

(١) مهديه ١/٨/٢/٢١٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٨/١/١٤٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٦ جمـاد اخر سنة ١٣١٥ .

(٣) مهدية ١/٨/٢/١٦٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣١٥ .



من ضيق الحال " ..... انه قد كثر فى هذه الايام خروج الانصار للشرق وتعديتهم طوايف طوايف من أجل مسألة الغلال التى سبق رفعها حتى ولكثرة خروجهم من اولاد العرب والجهادية صارت الارباع فى غاية الخفه وحتى لتراكمهم على المعديات فرقوا كثيرا منهم باسلحتهم)) (١)

وقد كان الخليفه يكتب اليهم دائما ويأمرهم بالصبر والثبات والتوكل على الله فى مثل هذه الامور ويذكرهم بأن " المجاهد رزقه فى سيفه " ((وليكن الان الاجتهاد منكم بالهمم العالية فى تذكير الجيش فى الثبات باماكنه والوثوق بالله الرازق والاعتماد عليه وسيجعل الله بعد عسر يسرا فان له المخازن والخزاين الواسعة وهو ذو الفضل العظيم ومادام انكم بصدد جهاد الاعداء فان شاء الله قريبا يحصل مافيه الفرج ونفى الحرج فثقوا بالله ايها الاصوان وذكروا بذلك جميع من معكم من الاصحاب وقفوا للعدو بكل مرصد .)) (٢)

وقد يئس محمود ومن معه من امكانية حل مشكلة الغلال بعد ان اكثروا من الكتابة الى الخليفه دون جدوى وقد ظهرت روح اليأس هذه فى خطاب محمود الى الخليفه : " وقد كنا فى الايام السالفه اكثرنا المعروضات بخصوص طلب العيش الى أن اسانا الادب وتجاوزنا الحد وظهر لنا خطانا واتضح اننا ارتكبنا مالايليق فعله بنا ثم رجعنا على نفسنا باللايمة والان وقد عرض من حال الجيش فى العيش ماوجب رفعه وتفصيله لصويكم الكريم لاننا لانخشى اذا سكتنا عليه

---

(١) مهديه ١/٨/٢/١٦١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٣ رجب سنة ١٣١٥

(٢) مهديه ١/٢٨/٤/١٣٦ و١٠٢ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٥/ و١٨ رجب سنة ١٣١٥ .

ان يحصل بسببه الفشل فتعود الملامة علينا
وتسأل عن ذلك في الدنيا والاخرة مع ماينسب الينا
من اضاعة الحزم واذا كان كذلك والجيش الذي مع عدكم
الان بحمدالله كثير وفيه الكفاءة لمكافحة الاعداء بل كل
من فيه من الرجال فهم اهل عزم في الحرب والكثير
منهم شاهدوا المهدي عليه السلام واخذوا منه
واقتبسوا من انواره العظيمة وايضا الكثير منهم
تربى تحت سيادتكم وارشد في كل اموره حتى صاروا
جميعهم من الذين تدربوا على الحرب وتهذبت اخلاقهم
الصابرين في البأساء والضراء حين البأس ولو لا ذلك لما
صابروا هذه المدة حالة كونهم جائعين عارين منقطعين
بين الجهات جزاهم الله خيرا ولوجود هذه الصفات المتقدمة
فيهم وزيادة عنها لم تسمح نفس داعيكم ان يرميهم
الى الضياع حالة كونه شاهدا بالعين وليس شأننا الخوف
عليهم من القتال ٠٠٠ وانما الخوف من الجوع ويحق لنا
ان نخاف لان الجيش الان لايملك عشاء ليلة واحدة ٠ فان
الجوع قد تمكن بالجيش ولم تذكر هذا ونحن نريد التأخير
بهم ولا راغبين بانفسنا عن التعب في الله وانما خاشيين
على جيش الاسلام وعلى الاشاعات التي تنسب الينا في
اضاعة الحزم لان الجهات التي امامنا من هنا والى بربر
ليس فيها غلال وفي بربر غير محقق وجوده وهذه الحالة
لايكن اصعب منها علي ان الفرج من الله منتظر ٠ ومادام
اننا عزمنا على القيام واتفقت عليه الاراء وتكررت به
الاشارات الكريمة فليس الا هو بذل الارواح بدون اكتراث
وقد اوضحنا هذا طلبا للسلامة من سؤال الاخرة ومن
الملامة في الدنيا ولم تكن راغبين به ارسال
الجيوش ولا انها اذا ارسلت بعد هذا تصل الينا لتعذر



وصولها ولوكنا قاصدين بذلك ارسالها لاوضحنا ذلك صريحا لجنابكم اذ العبد لا ملجأ له غير سيده وايضا لو كنا قاصدين بذلك ارسال العيون لاعرضنا لسيادتكم مع كافة الاخوان كما حصل سابقا وانتظرنا الافادة وانما ايضاحنا هذا ايضاح من يخشى الملامة فى الدنيا والسؤال فى الاخرة لاقدر الله ذلك واننا الان على غاية الشفقة على الجيش فى امر العيش لانه على غاية الجوع كما تقدم ولاشك ان الجوع من اعظم مواد الابتلاء والاختبار والصبر عليه صعب سيما مع الحرب وعلى ذلك فاذا حصل شئ من الاصحاب الذين معنا فى ارتجاعهم عن الجهاد او فرارهم لجهة الاعداء او غيرها لاقدر الله تعالى ذلك فتكون سيدى غير مواخذين بما يحصل فى ذلك ومعفو عنا فيه ونسأل الله الستر والسداد آمين والسلام .))(١)

كذلك كان محمود كثير الشكوى من عدم الامدادات الحربية وقد تكررت منه المراسلات فى طلب الاسلحة النارية والذخيرة دون جدوى ومن قبل أن يتحرك من امدرمان طلب امداداه بالذخيرة التى تكفى الجيش : " ان اجوبة الاصحاب هذه وان كانت تفيد شدة الحزم منهم وعدم مبالاتهم بهذه الحركة لكن داعيكم فى غاية الشفقة لوجهين اولهما عدم الجبه خانه لان الذى ذكروه منها لايفى بالصرف لهم وجه وجه ... ونرى ان تاخيرنا بعد هذه

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢١٧ من محمود الى الخليفة بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

الحالة لايمكن ابداً ولحوقنا بالجيش ضرورى جداً ولكن وصولنا لهم بدون الجبه خانه لايجدى شيئاً ولذا حررنا هذا راجين الاسعاف .ولاجل معرفة ماعليه داعيكم من المشغولية والاهتمام باللحوق هذا والايادى دامت مقبلة والسلام "(١) وعندما أمره الخليفه بالتحرك الى بربر فى ربيع الاول ليتخذ المراصد ويعطل الطوابى طلب محمود بناء على اتفاق مشورة من معه بعض الاسلحة النارية والمدافع فرد عليه الخليفه بأن قتال هذه الامة بالدين وليس بالدنيا وانه خير له ان يقول توكلت على الله عوضاً عن الاف بندقية التى طلبها ((نهدى سيدى حيث ان الاشارة الكريمة اقتضت قيام الجيش نحو بربر -وتلك الحالة تحتاج الى المدافع الكفاية بالشرق والغرب والان ليس معنا من المدافع الا القليل فلذا قد استصوبوا جميع الاخوان التماس زيادة المدافع والطوبجية واستصوبوا ايضاً ان نلتمس لهم بارسال جانب من اسلحة الرمنتون ولو الف بندقية فقط لاجل تفريقها لاولاد العرب خاصة لان اسلحتهم قليلة وفى مثل هذه الايام اذا اخذت الاسلحة من الجهادية وسلمت لهم لاشك من تغير خواطرهم ولا ينبغى فى ايام الحرب تغيير الخواطر)) (٢) وفى ٨ ربيع اول وصل رد الخليفه " ولعلمنا ان النصرة هى من الله سبحانه وان الوثوق به سبحانه هو اقوى سبب فاطلبنا منك ان تكون واثقاً معتمداً عليه طالباً منه العون والنصرة وبفضل الله سبحانه ان الاسلحة التى معك بكثرة ومع ذلك كله فليكن القلب واثقاً بالله فانه سبحانه يقول وما النصر الا من عندالله وهذه الامة قتالها هو بالدين

---

(١) مهدية ٢/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٣ محرم سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ٢٤/١/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

ليس بالدنيئة لان الدنيا لاتغلب ديننا فافهم ذلك واعلم اننا نرى ان تقول عوضا عن الالف بندقية " توكلت على رب النية بخالص القلب وصفاء النية) فان الله يحب المتوكلين وقد قال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وماذكرنالك هذا الا لقصد الخير لك ولكن تميل الى الحصن المنيع الذى هو التوكل ومن معك من الاصحاب والاسلحة ابذل الهمة واشدد فى الله العزمة وفرغ قلبك له والزم النهج المرتضى واعلم ان حسن ثباتك وثقتك بالله معلوم لدينا وان هذا النفس الملخوم معلوم عندنا انه ليس نفسك وانما حملك عليه بعض الاصحاب فذكرهم بما ذكر اعلاه والسلام .))(١)

وقد ادخلت هذه الحالة محمود فى الحرج فالذين معه يلحون فى طلب الاسلحة النارية والمدافع والذخيره والخليفه يطلب منه ان يستعيض عن ذلك بالتوكل على الله ولذلك صار محمود شديد الحساسية عندما يكتب الى الخليفه فى موضوع الاسلحة " وبهذا فاذا كتبت لسيادتكم بطلب شئ فى غير محله أو حررت مايفيد خلاف القصد فلم اتعمد ذلك ولم افعله الا بعد المشورة واتفاق الاراء عليه على ان استعمال المشورة المذكورة فى مثل ذلك لولا تكرار اوامركم الكريمة بها لما فعلناها ولكنا نستفتى بالاشارة التى ترد لنا ونعمل بها على اى حال ومن هذا القبيل ماحررناه سابقا ملتمسين فيه ارسال الاسلحة النارية بناء على تطلب الاخوان وورود الرد بما يفيد التوكل على الله والاعتصام به))(٢)

ويوضح محمود بعد ذلك فى نفس الخطاب مقدار الجبخانه التى معهم وقلتها فيقول " انه الذى قيامنا بالجيش من المتمة

---

(١) مهديه ١/٨/١/٥٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٨ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/٤٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٥ ربيع اول سنة ١٣١٥ .

اتفق رأى الاخوان بعد المشورة بصرف الجبه خانه الموجوده جميعها وعلى حسب اتفاقهم اجرينا صرفها وقد خص البندقية الواحدة من الرمنتون دستتين فقط ومن البيادة وابى روحين اربع دستات وهذا القدر قد استقلو جميعهم كما وانه فى الحقيقة قليل وحصول واقعة واحدة يفرغ منهم ويصير وجود الاسلحة كعدمها حتى ومن يحصل منه شئ يحصل ذلك على عدم المحافظة .))(١)

وحتى بعد أن ارسل الخليفه بعض الامدادات الى محمود لم يتحسن موقف الجيش من الذخائر وعندما تقابل مع جيش كتشنر لم تكن الذخاير التى عند الانصار تكفيهم لصد الهجوم الذى يقابلهم : " ثم ان الجبه خانه الموجوده جميعها قد صار صرفها للجيش باكملها حتى لم تترك منها شئ وقد خص البندقية فى الرمنتون ثلاثة دستات ومن سابق عندها دستتين فصارت البندقية بها خمسه دستات والبيادة ستة دستات وابى روحين خمسه دستات .)) (٢)

وقد كان لهذه الحالة السيئة التى سافر الجيش عليها من عدم المؤن والاغذية والامدادات والذخائر، اثرة فى نفوس الانصار وفى روحهم المعنوية ، فكتبوا فى ٢٢ رجب سنة ١٣١٥ للخليفة يستجدونه بعد ان صارت حالهم صعبة للغاية ، ويقولون انهم قد استقر رأيهم على السفر نحو بربر ولابد أن الكفار سيسمعون بقدمهم " واذا علم لهم اننا

---

(١) نفس المصدر السابق

(٢) (٢) مهديه ٢١٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥ .

نحضـر بدون عـدد فى المؤونه فربمـا انهم يصابروننا فى الحرب لاجل تمكن الجوع ووهن القـوة لا قـدر الله تعالى على انـا نقـول ان الاصحاب الذين معنا فكلـهم بحمدالله تعالى واقـفون عـلى الاشـارة امـرا ونهيا وقـد آل امـرهم الان الى حالة ليس بعدها شـئ من الضيق حيث صـارت النقـط الموضوعـة بالشـرق والغرب لضبط الطـرق تخابرنا بما ليس فى الطـاقة الصـبر عليه من انها فى كل يوم تقبض عـددا وافـرا من اربـاب الاسـلحة والحراب والخيـالة هذا بخلاف الحالة المشـاهدة فيهم بالديم من شدة المضايقة التى لاتطـيق القـوى البشـرية الصـبر عليها واذا سافروا للجهاد بهذه الحالة فـالمترای عدم التيـام الجيش "(١)

ولم يكن الضيـق قـاصـرا عـلى المجاهدين وحدهم بل شمل كذلك عـائلاتهم التى كانت معهم وتلك التى تركوهـا وراءهم بالغـرب وقـد كان من عناصـر ضـعف جيش محمـود أنه كانت تتـبعه اعـداد كبيـره من النسـاء والاطـفال وقـد كانت هذه عـبئا ثـقيـلا عـليه وقـد زادت مشـكلة تموينه تعـقيـدا كما جعلت تحركاته صـعبة جدا (٢) .

اما العوايل التى تركت فى الغرب فقد كانت الاخبار التى تصل عنها لا تبعث على الطمـأنينـة . عنـدما اراد محمود أن يجمع القـبائل للهجره من الغرب فى سنة ١٣١٤ كان يأخذ معـها العوايل حتى لاترجع الى اوطـانها مـرة اخرى هربا من الجهاد .

---

(١) مهديه ١/٨/٢/١٦٦ من محمود ومن معه الى الخليفه بتاريخ ٢٢ رجب سنة ١٣١٥ .

(٢) مهديه ١/٨/١/١٠٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٧ جماد اول سـنة ١٣١٥ .

وبذلك فانه جمع معه كثيرا من عوايل قبائل دارفور واحضرها معه ، ولكنه عندما وصل الى كردفان وجد أن معه الكثير مما يعوق تقدمه ويجعل حركته ثقيلة جدا فارسل الى الخليفه يسترشده فى هذا الامر : "
((نسيدى سيدى ان الجيش الذى مع عبدكم صارت عايلاته جميعها بكردفان حيث التى بدارفور انجمعت عليها ومنها مالها بكردفان المذكورة نحو الاثنى عشر سنة ومنها مالها اكثر وايضا كافة التى نفرناها للجهاد حضرت بعايلاتها وحيث كان كذلك وانه لابد من الوصول لعوكم بالجيش فى ايام الشتوية هذه انشاء الله تعالى كما الاشارة الكريمة والعايلات هذه ثقيله والاسترشاد فيهما من المصلحة الضرورية فى الدين فلذا نرجو الارشاد نحوها))(١)
واستقر الرأى اخير على ترك العوايل فى كردفان وقد ترك معها عيسى الزين " واما عايلات الجيش فالاغلب منها صار بمركز باره واخرنا معكم المكرم عيسى الزين ومعه من لزم للملاحظة عليها وصيانتها حسب الاشاره وكذا جهة ام دم بها كثير من العايلات وكذ جهات الريح وعلى الجملة فكل جهة من جهات كردفان لاتخلوا من عايلات بعض الاصحاب ماعدا جهة الصعيد ليس به شى " وقد تركوها وليس معها الا القليل الذين لايكن اقل منه من الاصحاب ونرجوا الله ببركة جنابكم ان يحفظها ولوجوب رفع امرها لزم هذا والايادى دامت مقبلة سيدى والسلام)) (٢)

وعندما ترك محمود الغرب كانت به بعض القلاقل

(١) مهديه ١/١٥/٤/٢٧٣ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ رجب سنة ١٣١٤ .
(٢) مهدية ١/١٥/٤/٢٨٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٧ القعده سنة ١٣١٤ .

وخصوصا فى دارفور فان الاحوال فيها لم تكن مستقرة للغاية ، اما كردفانّ فلم تكن هى الاخرى على مايرام ، وخصوصا بعد اجبار كثير من القبائل التى بها للهجرة ، وهروب بعضها كالحمر فرارا من الهجرة للجهاد • ولما كانت الاحوال كذلك وان كردفان صار بها معظم مواثل الجيش كان محمودا ومن معه كانت افكارهم دائما مشغولة بالغرب : ((انه وان كان فكر داهيكم كله مصروفا نحو هذه الجهات البحرية ومابه نصرة الدين واتحاد كلمة الاصحاب فى كل وقت ونحن لكن مع ذلك نحب ان لايكون فى اى جهة كانت ادنى شئ يشغل الافكار والحمدالله لم يحصل شئ الا انه يومين تاريخه وردت لنا اجوبة من دارفور وتلك الاجوبة تتضمن احوال دارفور وماعليه المخذول ابى ريشه وماعليه القمراوى •))(١) ومن كردفان وردت اخبار تفيد بعدم استقرار الجهة ((فنعلمك ان الجواب طيه ورد من المكرم الختيم موسى يفيد ماحصل بجهة النهود فباطلاعك عليه تفهم مافيه وترجو الله سبحانه ان يحسن العواقب ويؤيد الدين والسلام)) (٢) اما فى جهة دار الريح فقد كانت هناك حركة اخرى ورد الخبر عنها من عيسى الزين والختيم موسى (٣) ((فنعلمك ان امر كردفان مهم وانه قبل الان ورد من المكرم الختيم فى أمر النهود ماتحرر لك به ثم ورد من المكرم عيسى الزين للمكرم يعقوب اجوبة مضمونها تحريك بعض اهالى الريح وحصول مناسد منهم ونظرا لاهمية العوايل حررنا للمكرم عيسى الزين وللمكرم الختيم بان يتحدوا ويكونوا حالة واحدة ثم ورد الجواب الواصل لكم طيه من المكرم الختيم فباطلاعكم عليه تفهموا المضمون •)) (٤) وقد اقترح الختيم موسى

---

(١) مهديه ١/٨/١/١٠ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٩ صفر سنة ١٣١٥
(٢) مهديه ١/٢٨/٤/١٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٦ صفر سنة ١٣١٥
(٣) الختيم موسى هو الذى تركه محمود واليا على كردفان كلها بعده
(٤) مهديه ١/٢٨/٤/٢٠ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٧ [illegible] سنة ١٣١٥

ترحيل العوايل من بارة الى مركز الابيض لتفادى التعديات والاغارات التى حدثت عليها من الحمر جماعة يوسف سالم ولكن محمودا يخالف هذا الرأى ويقول " ان ماورد من الحكم الختم موس فى التماس نقل العايله من بارة الى الابيض فهو غير موافق اذ بوجودنا هناك ووجود ارباب العايلات تعذر وتصعب نقلها من الابيض الى باره فكيف الحال مع غيابهم فضلا عن ذلك فيه من الارجافات والفشل مالا يخفى واذا كان كذلك فالاولى ترك العايلات فى محلها الا ان يجبر عليها الحال اما امر كردفان فلا يخفى العلم الشريف ان هذه الجهة هى محل عايلات الجيش جميعها بل بها اولادهم الذين هم افلاذ الاكباد ومجمع الشفقة والمشغولية لكل احد من العباد وقد تركوها واغلبها اطفال وكثير منها ايتام وفيها المريض وفيها من ليس له زامله واذا بلغ الاصحاب هنا ان احدا توجه لها تزداد مشغوليتهم ولايحصل ثبات على انه فى هذه الحاله لازالوا متذكرين لكردفان وفى غاية الحنين الى الاوطان ولقد شاهد خليفة المهدى تفصانهم منذ كنا بالبقعة حال ازماع السرية للقيام كل ذلك باسباب العوايل ومحبة الوطن لاغير "(١)

---

(١) مهدية ١/٨/١/٥٤ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٦ ربيع اول سنة ١٣١٥ ٠

والحالة التي آلت اليها كردفان اقلقت محمودا غاية القلق ورغم انه مجتهد كل الاجتهاد في امر الجهة التي هو فيها ((ولاينبغي التفرغ لشئ غير ذلك بل لا ينبغي التكلم فيه الا انه بالنسبة لوجود عايلات الجهش بكردفان وتلك الجهة نحن ومن معنا تربيو عهد بالخروج منها ومعرفة احوالها واذا ابدينا شيئا مما يخصها فكانه من مصلحتنا المنوطين بها ٠)) (١) وقد حاول محمود كتم هذه الاخبار الواصلة من كردفان من الانصار الذين معه ((سيدى ان الاجوبة الواردة من العكوم عيسى الزين قد كتمناها عن الاخوان خوفا من ان يبلغ امرها الى الجهش فيشوشوا او يحصل لهم من الاسف ومشغولية الفكر مالا كفاء له وربما لا يستقيموا ٠)) (٢) ولكن كانت الاخبار تصلهم وتقلقهم وتؤثر في نفوسهم ((والحالة هذه قد كثرت الشكوى منهم في شأنها (العوايل) حيث صاروا بعض الاصحاب المتأخرين بكردفان يحضروا لهنا وأتوهم بالاجوبة منها وتلك الاجوبة تتضمن مالا يمكن الصبر عليه من انواع الشكوى البعض من تعدى الانصار جماعة العكرم الختيم موسى هناك والبعض بعدم الغلال بطرفهم ولهذا شغلوا وتكرر كلامهم معنا ٠)) (٣)

ومع كل هذه الشكاوى وكل هذه الاضرار للعوايل مما لاتتحمله النفس البشرية يكتب الخليفه لمحمود بأن يحث

---

(١) مهدية ١/٨/١/١/٥٦/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٩ ربيع اول سنة ١٣١٥ ٠

(٢) مهدية ١/٨/١/١/١٩٥/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ رمضان سنة ١٣١٥ ٠

(٣) مهدية ١/٨/١/١٢٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١١ جماد اخر سنة ١٣١٥ ٠

الانصار الذين معه على نسيان امر العوايل وان يجتهدوا فى امر الجهاد وان عوايلهم سيكون الالتفات لامرها من عندنا " فنعلمك ان جوابك الذاكر فيه حصول التشكى لك من الاصحاب فى خصوص عدم راحة عوائلهم التى بجهة الغرب لحصول التعدى عليهم من ناس الختيم وانهم قد شغلوكم واكثروا التضرر لكم وترغبوا الارشاد من ماتجرو فى ذلك الى اخر مابه وصل وفهم والحال ايها المكرم حيث انكم بصدد الجهاد فحثوا الاصحاب الذين معكم على التحزب وعدم التعلق بامر العوايل ومايلزم فى امر راحة عوائلهم المذكورة فحرروا فيه من طرفكم للمكرم يعقوب ليجرى فيه راحتكم من هذا القبيل بارك الله فيك والسلام .)) (١)

بل ان الخليفه امرهم بالاستعاضة عن ذكر العوائل بذكر الله والتفانى فى ذلك فهو خير لهم من امر العوايل " فنعلمك ان جوابك المؤرخ ٢٥ الماضى مع العرض من روساء الارباع فى كيفية العوايل التى بكردفان وصل هو والعرض وفهم مابالجميع وتحرر الجواب طيه لاهل الارباع فاتلاه عليهم ليجرى العمل به وليكن التفرغ للجهاد واخراج الهموم من القلوب وقولوا اللهم انت الصاحب فى السفر والخليفه فى الاهل والمال والولد فان الله هو الكافى والسلام ".(٢)

---

(١) مهدية ١/٢٨/٤/١٢٨ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٢١ جماد اخر سنة ١٣١٥ .

(٢) مهدية ١/٢٨/٤/١٢٥ من الخليفه الى محمود بتاريخ ٥ رجب سنة ١٣١٥ .

وفوق ماكان عليه جيش محمود من الارهاق والجوع وعدم المؤن والهموم والحنين الى الاهل والاوطان زادتهم هجمات وابورات كتشنر المتكرر زعزعة وتعبا ، ولم تتركهم ليستقروا على حال ، كما ان اهالى الجهة لم يتعاونوا معهم ، وعليه لم يكن محمود مطمئنا الى مؤخرته فهو دائم الخوف من نزول " العربان " على المتمة بعد أن يتحرك منها ليقطعوا عليه خطوط الرجعة وخطوط مواصلاته مع امدرمان ، كما ان الخليفه قد حذره من اهالى بربر : ((فنعلمك ايها المكرم ان عمال البرابره واصلون اليك على اثر هذا وقد ذاكرناهم بما فيه الكفاية وحيث لايخفاك ان الحزم فى امر الجهاد مطلوب والبرابرة جميعهم غير مامونة ساحتهم الان ولا تعول عليهم فى امر الجهاد بمفردهم فعند مقابلتهم بمطالهم المذكورين لك قابلهم بالبشاشه ولايراوك شيئا فى الظاهر ولكن الباطن افتكر لهم غاية الافتكار واحذرهم غاية الحذر وتفقد احوالهم ولا تأتمن ساحتهم حتى ينتصر الدين ٠)) (١) فلم يعد محمود ومن معه يطمئنون لاهالى الجهة وفقدت الثقة بينه وبينهم وكان لذلك كله اثره فى روح الجيش المعنوية حتى انهم صاروا يترددون عن الاقدام للجهاد ((ان الجيش الذى معنا قاطبة اعيانه وافراده شاورتهم وقلبت آراءهم فما احد منهم اشار بالقيام مطلقا بل كلهم رغبو التأخير وذكروا فيه من الوجوه مالو جبرناهم على القيام معه لما استقام حالهم (٢)

---

(١) مهدية ١/٨/١/٦٤ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٧ ربيع اول سنة ١٣١٥ ٠

(٢) مهدية ١/٨/١/٧٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ ربيع اخر سنة ١٣١٥ ٠

وبالرغم من انه قد اتضح لمحمود بأن الجيش الذى معه لم يكن على الحالة التى تمكنه من التقدم لمقابلة كتشنر ، الا انه تحرك اخيرا الى الشمال يتبعه جيش يفتقر الى كل مقومات الجيوش ويحتوى على كثير من عناصر الضعف ، فقد كان عبارة عن مجموعات من القبائل اضطرت اضطرارا " للهجرة " ولم يعط لها التدريب الكافى ولا الاسلحة الكافية ولا المؤن الكافية ولم تحدد لها خطة مدروسة تضمن لها خط سير محدد وخطوط امدادات متصله ، فانحلت عزيمته وهده الجوع وقضى عليه التعب والضيق قبل ان يقضى عليه جيش كتشنر ، وقد وصلت به الحال الى درجة جعلت محمودا نفسه فى حالة من اليأس تظهر فى خطابه الى الخليفه فى ١٤ شوال سنة ١٣١٥ يتحلل فيه مما قد ينتج من تقدم الجيش وهو على الحالة التى صار اليها ((وعلى هذا فاذا حصل شىء من الاصحاب الذين معنا فى ارتجاعهم عن الجهاد أو فرارهم لجهة الاعداء او غيرها لاقدرالله تعالى ذلك فنكون غير مؤاخذين بما حصل فى ذلك)) (١) وقد سمع لبعضهم فى اخر الامر بالرجوع عن الجهاد ((انه لايخفى علمكم الشريف ان اعداء الله الان مقيمون فى قياترهم وحالهم فى التربص والتمهلات معلومة والدنيا عندهم كثيرة وايضا حال الجيش معروفة لدى سيادتكم فى كونه متجمعا من جهات

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢١٧ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

متعددة وكونهم متفاوتون فى رسوخ القدم فى الصحبة وفى الصبر على الشدايد وان كان الظن بهم جميلا على العموم ولايبعد ان يستعملوا هولاء الكفرة بعد وصولنا اليهم مجرد الخداع بالدنيا وهذه الحالة اعنى المخادعات اخوف ماتخاف على الانصار هى ولم نرى وجها لتسديدها وراحة الفكر منها سوى أن نعلم الاصحاب بان قيامنا هو لله لا لشىء آخر ومن لم يطق التعب فانه ماذون بالرجوع الى خليفة المهدى عليه السلام فلا حرج عليه فى ذلك حتى ومن يكن فى نفسه شىء يرجع لصوكم الكريم ولا يتوجه للكفرة ويكون زيادة لهم وخذلا للجيش وايضا فان ضبط الجيش الذى بمثل هذه الحالة ليس فى الامكان ولا يتأتى ضبطه مع قربه من العدو والاشتغال بالحرب ومع ذلك فالرجاء فى الله ان يجعل المخاوف كلها امانا وان يسددنا ويرشدنا .)) (١)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢١٨ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٤ شوال سنة ١٣١٥ .

الفصـــل الخامس ـ الخاتمـــة

واقـعة النخـيـلة

واقـعة النخـيلة هى واحدة من تلك المـواقع التى تجاهلها كثير من المؤرخين وعـالجها البعض منهم فى غير اكتراث فلقيت كثيرا من الاهمال وحظيت تفاصيلها بكثير من النسـيان واندثرت معالمها ويعزى عدم الاهتمام بهذه الموقعة الى ان الذين تابعوا تاريخ حملة كتشـنر لفتح السـودان (١) كان اهتمامهم الاكبر بواقعة كررى وتفاصيلها ولم يعبئوا كثيرا بتفاصيل المواقع التى سبقتها اما الذين أرخـوا للدولة المهدية فى زوالها (٢) فقد كانت تنقصهم المصادر التى توضح تفاصيل هذه الموقعـة اذ ان محمودا ومن معه لم يكتبوا هذه التفاصيل . اما بالنسـبة لاهالى المنطقة التى حدثت فيها الواقعـة فانها لم تترك اثرا فى نفوسهم ولم تغير كثيرا فى حياتهم ولذلك فقد نسوها ولـم يعودوا يذكرون عنها الا القليل من الحوادث يتذكرها العجائز منهـم ويروونهـا فى غير ثقة وبكثير من الخلط والشك وقد تغيرت معالم الارض التى قامت فيها المعركة اذ انها صارت الان جزءا من مشروع زراعى يزرعه اهالى المنطقة بالبرسيم والخضروات ولم تبق من اثار المعركة الا بقايا المرتفع الطبيعى الذى كان محمود قد اقام عليه زريبته والمكان الذى تحصن به فى وسط هذا المرتفع وقليل من بقايا الخنادق والحفر والمتاريس ونصب تذكارى اقيم هناك لمن مات من جنود حملة كتشنر يعرفه اهالى المنطقة " بالصنم" لانه منصوب

(١) تذكر منهم على سبيل المثال

(a) W.S. Churchil , The River War
(b) Beunet Ewrleigh, Surdar and The Khalifa
(c) Steevens , With. Khitchener to Khartoum.
(d) نعوم شقير : جغرافيه وتاريخ السـودان

على هيئة الصليب فى مكان مرتفع ٠

واذا كان ثمة شىء يدعو الى نسيان تلك الموقعة فهو لانها كانت معركه لا لزوم لها بالنظر لحال جيش محمود ، ولم تزد هذه المعركة على كونها مجزرة بشرية تشفى فيها كتشنر وازهق ارواح الالاف الكثيرة من الانصار بالرغم من انهم كانوا فى حالة يرثى لها من الضعف والجوع وعدم المؤن وكان جيشهم فى حكم المنتهى قبل بداية المعركة (١) ، فلم يكن هناك سبب لاصرار كتشنر على المعركه ، ولم يكن هناك مايبرر اصرار محمود عليها بعد ان وصل جيشه الى الحالة التى وصل اليها من التعب والجوع ليس بعدها الا الهلاك ٠

ومعركة النخيله اذا ماقيست بما سبقها وماتبعها من المعارك من ناحية الفنون العسكرية نجد انها لا تفرض نفسها على الدارسين ، بل العكس ، اذ يجد الدارس نفسه مائلا عنها الى سواها ، راغبا فى دراسة غيرها من المواقع الاخرى ، مثل واقعة شيكان وواقعة كررى او واقعة توفريك ٠ وبالرغم من ان محمودا قد تبعه كثير من

---

(١) يسوق بعضهم المبررات لهذه المجزرة فيقول ان غرض كتشنر من تلك المعركة كان القضاء على جيش محمود وليس كسب موقع استراتيجى فقط كما حدث فى ابى حمد ، كما ان اصرار كتشنر على المعركة كان يبرره عدم رغبته فى ان يترك محمودا وراءه يهدد مؤخرته ، كما ان نشوة النصر كانت ضرورية لرفع روحه جيشه المعنوية ، وخصوصا وان الحالة التى كان عليها جيش محمود تعطيه الفرصه لنصر كبير ٠

راجع فى ذلك ٠

Berry : Lecture Notes on the Sudan Campaign P. 22.

كبار قواد جيوش المهدية واحسنهم دراية بامور الحروب ، الا انهم فى هذه المعركة لم يفعلوا شيئا اكثر من انتظار الهزيمة النكراء وتقبل الضربة القوية دون محاولة الاستعداد لردها ،فلم يهيئوا انفسهم ولم يستفيدوا من امكانياتهم بل انهم لم يتخيروا حتى المكان المناسب ليحاربوا فيه ، فقد تخيروا موضعا لايعطى مجالا للخيول التى كان عليها كل اعتمادهم فى مصادمة الاعداء وبالرغم من ان محمودا يذكر للخليفه بان المكان الذى اختاره ((مراصده جميلة لحرب الخيول ولحرب الاسلحة وايضا اشجار الدوم به كثيرة)) (١) فان واحدا من ضباط القوات السودانية المسلحة بعطبرة ، هو الرائد ابراهيم الامين محمد خير ، والذى كان قد زار مكان تلك الموقعة اخبرنى ان محمودا ماكان يمكنه ان يختار مكانا اسوأ مما اختاره وانه لايعرف الحكمة فى اصرار محمود عليه .

ولم يظهر كتشنر فى تلك المعركة مقدرة عسكرية فائقة تستدعى ان يكون لها معنى خاصا يلفت نظر الدارسين اليها، بل انه كانت هناك مآخذ كثيرة عليه فيها اذ قيل انه بما توفر لديه من امكانيات واسلحة كان يمكنه ان يكسب المعركه بعدد من القتلى والجرحى اقل بكثير مماحدث لوأنه اكثر من الضرب بالمدافع قبل ان يتحرك مشاته ولو ان توقيته كان احسن ولو انه دبر الهجوم على زريبة محمود من جهتين ولو انه كانت هناك اسعافات وخدمات طبيه احسن .(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٠ القعده سنة ١٣١٥٠

(٢) (2) Berry: Lecture notes on the Sudan Campaign P. 23 .

كما ان احد ضباط القوات المسلحة السودانية انتقد المعركة بقوله : ان ضرب المدفعية لمدة طويلة دون اهداف ـ وهو الاسلوب الذى اتبعه كتشنر فى تلك الموقعة ـ يعتبر تبذيرا للذخيرة ليس له مايبرره ، كما ان التداخل الذى حدث بين بعض الكتائب فى ساعة دخول الزريبة يعتبر ضعفا كبيرا فى التكتيك الحربى وفى تدريب الجيش. (١)

لم تدم المعركة فى حد ذاتها اكثر من ساعة وبضع دقائق ـ اذ بدا الضرب فى الساعة السادسة والربع صباحا وانتهى فى حوالى الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين ـ ولكن فى هذه الفترة الوجيزة مات من جيش الانصار مايزيد على العشرة الاف شخصا .(٢) وكان معظم الذين قتلوا فى هذه الحرب من المشاة والجهادية حاملى الاسلحة النارية اذ انهم كانوا فى المقدمه التى قابلها الهجوم ، اما راكبى الخيل ومن كانوا على ميمنة الجيش فانهم تمكنوا من الفرار الى القضارف وقليل منهم الى امدرمان . وهناك ملاحظة لابد من ابدائها فى هذا الصدد وهى ان عدد الاسرى نسبيا كان قليلا جدا (٣) اذا اخذنا فى الاعتبار الحالة الصعبة التى كان عليها الجيش قبل المعركة . وتعزى قلة عدد الاسرى وكثرة القتلى الى امرين :

---

(١) الضابط ((اركانحرب)) احمد عبدالحليم عبدالرحمن ، قائد سلاح المدرعات ، وله دراسات فى العلوم العسكرية فى بعض الكليات الاركانحرب ،

(٢) (2) Berry: Lecture Notes on the Sudan Campaign P. 22 .
(xx) يذكر ان عدد القتلى من الانصار هو ٣/٠٠٠ شخص ولكن هذا العدد مبالغ فى قلته ، انظر ص من هذا الفصل ومابعدها .

(٣) يكذر ((بيرى عاليه بان عددهم لم يتجاوز الاربعمائة فقط ..

اولهمـا ان كتشـنر لم يكن يرغـب فى الاثقـال على نفسـه بالاسـرى ولذلك فـان كثيرا من الجرحى ترك ليموت ، وثانيهما ان الكثيرين من الانصار اصـروا على البقاء فى اماكنهم حتى الموت رغم الرصـاص المنهمر عليهم والحمم والنيـران التى صلتها بهم المدافع وقد وصف سـتيفنز هذا بقـوله " ٠٠ ومع ذلك فـان الجهادية السـود وقفوا بصلابه فى داخل خنادقهم فى تـلك الدقـائق الحاسمة ولم يتزحزحوا حتى داهمهم اولئك الشـياطين البيض من الترك وابناء عمومتهم السـود وهم يصـرخون ويقتلون ضـربا بالنار وطعنا بالخناجر ٠ وبقى كثير منهم فى اماكنهم فى انتظـار الموت آملين فقط فى ان يتمكنوا من قتل واحد قبل ان يموتوا ٠ والذين هربـوا كانوا يجرون ببطـىء ويلتفتون فى عناد الى الـوراء ليطـلقوا النار ٠ اما الجرحى فانهم كالمعتاد لم يتخذوا لانفسـهم ساترا ليقيهم نكان لابـد من قتلهم قـبل ان يقـتلوا غـيرهم ٠٠" (1)

كذلك فان الطـريقة التى رتب بها محمود جيشـه فى سـاحة الحرب قـد ادت الى هذا العدد الكبير من القتـلى ، اذ ان الناس تجمعوا فى دائـرة صغيرة واحاطت بهم نيران المدافع من جهات كثيرة وهم داخل الخنادق ٠ وقـد كان محمود قـد رتب جيشـه فى زريـبة وفى داخل الخنادق على الطريقة التى كانت تحارب بها الجيوش التركية ضـد جيـوش المهدية ٠ والحرب من داخل الزريبـة كان يتطـلب استعدادا خاصا وتنظيما محكما وتدريبا ممتازا للجنود حتى تكون حركاتهم فى داخل الزريبـة منسقة فلا تحدث ربكـة ويختـلط الامر ، وقد كان جيش محمود يفتقـر كثير الى مثل هذا التنظيم وهذا التنسـيق ،والحرب فى داخل الخنادق خـلاف

---

(1) G.W. Steevens : With Kitchener to Khartoum P. 159.
See Appendix E1

الزريبــة كانت تفرض على المحارب قلة الحركه بل تحتم عليه التسمر فى مكان واحد وهذا على غير مألوف لمحارب الانصارى فهو قد تعود على الحركة المستمرة فى اثناء الحرب سوا* اكان ذلك فى حالة الهجوم او فى حالة الدفاع وقد افلح عثمان دقنه فى كثير من المعارك التى دخلها من قبل ان يقلب وضعه من حالة دفاع الى حالة هجوم ، فيذكر مثلا تفاصيل واقعة قباب " ثم بعد استقرارنا بمحلنا الذى هو اركويت شرع عدو الله المحافظ توفيق المتقدم ذكره فى طلبه امداده عساكر من سواكن ومصرى وشرعنا نحن فى جمع جيوشنا وتجهيزهم لعودهم الى اوكسساك لمحاصرتها فبعد ان وصلت اليه امداداته لم يلبث ان توجه الينا فى تسع ذى القعدة ونحن مرادنا التوجه اليهم اثنى عشر ذى القعده فلما بلغنا خبر توجههم الينا جهزنا الجيش لملاقاتهم واميرهم اذ ذاك بن اخينا محمد موسى دقنه فلما وصل الترك الى خور يسمى قباب بالقرب منا القى الله فى قلوبهم الرعب فنزلوا هناك وزربوا زريبة يبيتون فيها خشية من الهجوم عليهم فاتى الفقراء اليهم وباتوا بالقرب منهم واصبح الترك والفقراء محتاطون بهم من كل جانب فلما اتى نصف النهار ضاق الحال بهم واشتد الحصار عليهم والشمس اذ ذاك فى غاية الحر وليس لهم ظل يستظلون به ولا من الماكول مايمونهم اكثر من يوم وليلة وداخلهم الرعب غاية فعند ذلك اراد الترك الرجوع الى طوريتهم لما راوه مما لم يكونوا يظنونه من الفقراء وشرعوا يضربون بمدفعين كانا معهم موضوعين على باب الزريبة ." (١) وكان من

---

(١) دفتر وقائع عثمان دقنه : من غنائم موقعة افافيت ص(٣) من مطبوعات دار الوثائق المركزيه .

نتيجة هذا الهجوم بدلا من الانتظار ان الجيوش التركية اضطرت للتقهقر فى خوف شديد وتحت حماية المدافع بعد ان تركوا زريبتهم واسرعوا فى الرجوع الى ماموريتهم فى اوكاك وكذلك يذكر فى وصف " واقعة التينيسب الانكليزية " فيقول " وفى رابع عشرة خلون من جمادى الاولى حضرة بطرفنا جردة انكليزية نحو عشرون الفا على طيقال وفيهم خيالة نحو ستة الاف فلما وصلوا الينا باتوا بالقرب منا وزربوا زريبة منيعة خوف الهجوم عليهم فى الليل وبات الفقراء عندهم وحاصروهم تلك الليلة بالضرب بالبنادق الى ان اصبح الصبح حتى انهم قتلوا منهم البعض ولم يناموا تلك الليلة بل باتوا شر مبيت ولما اصبح الصبح شرعوا فى الضرب بالمدافع والبنادق فاول سماع الفقراء الضرب هجموا عليهم فاقتتلوا عامة يومهم ثم انفصلوا عن بعضهم ورجع الانكليز الى سواكن وهلك منهم ثمانية الاف واستشهد من الفقراء نحو الفين وجرح كذلك ·)) (١) وكانت الصفات التى يتميز بها المحارب الانصارى فى هذه الحالات هى الاقدام والمجازفة والفروسية الفردية ، وقليلا جداً ما كان يطلب منه التقيد بنظم تشمل حركته اثناء المعركة · والشجاعة الفردية كان لها المكان الاول ((ولما اراد الفقراء دخول الكارة على الترك فى اول الامر منعوهم من دخول الباب حيث انهم واقفون عليه واكثر القتل فى الفقراء فعند ذلك اقتحم عليهم الاخ الفقيه محمد دقنه بجنان ثابت فصار يحصد الترك بسيفه حتى

---

(١) دفتر وقائع عثمان دقنه ص٩

دخل ودخل الفقراء وراءه واذا اتقاه احد من الترك بالبندقية
ضربها بسيفه فجعلها نصفين وقتل صاحبها من وراء ذلك
وصار عندما دخل يضرب بالسيف عن يمينه ويطعن
بالسكين عن يساره ولم يزل حاله هكذا حتى استشهد
وقال لى ايضا حين اردنا التوجه الى الترك هلا اتقدم الفقراء
حتى اذا رأونى لعلهم ينشطون فى القدوم نقلت له اللهم
نعم فتوجه اول الناس فكان مقدمة الجيش فرحمه الله ٠)(١)
ويصف محمود اقدام واحد من امرائه كان الخليفه قد
اتهمه بالجبن فيقول " نهدى سيدى ان الهجانة المحضرين
من جنابكم بالبوسطة يومين تاريخه وهما ضو البيت دفع اللـه
وحامد عبدالله قد بلغونا الوصية التى تحملوها من جنابكم
فى خصوص صلاح ابوه وقد تلقيناها بغاية القبول الا ان
الشئ الذى بلغ سيادتكم عن المذكور هو بخلاف الواقع
وان يكن لهذا القول صحة فليس الحرج على صلاح ابوه وانما
الحرج على عبدكم حيث كتم من الاحوال ما لا ينبغى كتمه
وسكت عنما فيه الخلل فى الدين ومعاذ الله ان تخفى عن
جنابكم شيئا من الاحوال لاسيما مثل هذا فلانسكت عنه
ولو كان ذلك فى نفسنا او فى اخينا ابراهيم الخليل احمد
لكننا والله لم نعلم فى صلاح المذكور الا الاقدام والشجاعة
والثبات والصفا والوقوف على الاشارة وقد حضر
معنا وقايع عدة وقائع كل واحدة منها فى اختيار مثله

---

(١) دفتر وقائع عثمان دقنه ص(٣)

وافيه اما الوقايع التى حضرها فاولها واقعة الجهادية التى بالنهود فانه صبر فيها صبر الكرام وتعرض للشهادة حيث اتشاه بمحل مخصوص مقابل للجهادية فلم يتزحزح عنه وقد كانت جهته مقابلة لاحد الجهادية روساء الفتنة المدعوا ريحان ابوشوك فبادر اليه صلاح وقتله مباشرة كما يشهد بذلك العام والخاص من الاصحاب ٠٠٠٠ رابعها انه عند وصولنا بجبل الدلنق الان ففى يوم ضربنا له وجدناه منقسم على جبلين فعيناه لضرب احدهما كما عينا المكرم محمد بشساره لاحدهما وقد كان من اول البادرين فى طلوع الحجر ومكانحة النوبة فى رأسه بل فى حالة طلوعه ماشيا امام الرايات ولابسا له شالاية على رأسه وشالاية فى وسطه مع ان النوبة بمجرد رؤيتهم للشال لايضربون غير صاحبه وقد كان ضربوه مرارا الا ان الله صرفه عنه وقد اصاب رصاصهم اثنين من اولاده وفازوا بالشهادة فى محلهم ومع هذا لم يكترث ولم يحصل له احجام الى ان نتش احجار الجبل وكراكيره وهذا ماتعلمه عنه ووالله لوكنا نعلم انه ممن يخاف الحرب وحصل منه الشئ الذى بلغ سيادتكم لكنا خابرنا به جنابكم والتمسنا رفعه من الجيش وكيف سيدى نرضى بالخوف وهو عين الخلل فى الدين .))(١) اما جنوده فانه كان يتباهى باقدامهم وشجاعتهم فى مقابلة الموت وعدم اكتراثهم

---

(١) مهديه ١/١٥/١/٢٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ ربيع اخر سنة ١٣١١ .

فى المواقع ففى وصفه للموقعة التى خاضوها معه فى جبل الدلنج يقول ((... وقد صار طلوع الانصار برأياتهم وراءهم بدون اكتراث ولا مهلة حتى وانه لم تطلع شمس ذلك اليوم الا وقد انقضى امرهم وصاروا مابين قتيل واسير ولم ينفعهم تدبيرهم ولا احتماؤهم " (١)

وقد كان هناك مايدفع المحارب الى الاقدام وعدم الاكتراث فبالاضافة الى حسنة الجهاد فان هناك بعض الفوائد المادية اذ كان العرف السائد هو ((ان رزق المجاهد فى سيفه)) وكثير من المعارك التى خاضها محمود بجيشه فى الغرب كانت استمرارا للغارات القبلية تقريبا فبعدها تؤول خيرات الجهة الى جنود الجيش " وقد صار الاستحواذ على جبلهم بما فيه وعلى خيولهم وعلى ماوجد من عيالاتهم ومواشيهم واسلحتهم ، ثم نزلنا تحت جبلهم بالجيش الذى معنا وبعد النزول صار الاطلاع على احواله فوجدناه على عمارة شديدة حتى ان من ينظر اليه يتخيل له كأنه مركز من المراكز الكبيرة)).(٢)

والجيش الذى تبع محمود فى هذه الحملة كان فى كل تجاربه السابقة فى الغرب وفى واقعة المتمة يحارب بالطريقة التى أعتاد عليها ،والتى تسمح للجندى بالاغارة والحركة المستمرة ومقابلة غريمه وجها لوجه وابراز شجاعته وقدرته الفردية ، ولذلك لم يكن من الحكمة اجبارهم على طريقة فى الحرب لم يألفوها ، وحفظهم فى داخل خنادق خلف المتاريس والزريبة

---

(١) مهديه ١/١٠/١٩/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢ ربيع اخر سنة ١٣١١ .

(٢) نفس المصدر السابق .

خصوصا وانهم لم يجدوا الفرصة ليتدربوا حتى على هذه الاشياء كما يقرر محمود : ((نهدى سيدى ان الجهادية الذين بالسمرية هذه الاغلب منهم لايعرفون حركات التعسليم وحيث ان تعليمها حسن بهم والاستيذان فى مثل ذلك من الواجبات حررنا هذا للمعلومية واملا اذا وافق تعليمهم ان يسون لنا بذلك والا فالامر مفوض وايايديكم دامت مقبلة سيدى والسلام)) (١) واذا كان ذلك حال الجهادية فان حال اولاد العرب كان اسوأ وقد تحير محمود فى الهيئة التى يدخل بها بهم فى امدرمان عندما حضر اليها فى سنة ١٣١٤(٢) ٠

ولم يكن جيش محمود هو اول جيش لم تنجح معه تجربة الزريبة هذه ، فقد لجأ اليها الزاكى طمل من قبله اذ انه عندما خلف حمدان ابوعنجه فى قيادة جيش المهدية فى القلابات ، كان عليه ان يقابل جيشا عظيما اعده النقس يوحنا ملك الحبشه فتحصن الزاكى طمل فى داخل زريبة كبيرة جدا مكونه من استحكامات ثلاثة الواحد تلو الاخر ، ولكن بالرغم من كل تلك الاستحكامات فان جيوش النقس قد تمكنت من دخول الزريبة بالجهة التى كانت مواليه للامير احمد ود على ، وكادت ان تقضى على جيوش المهدية لو لا ان تدارك الزاكى

---

(١) مهدية ١/٠١/١/٦٩ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٨ شوال سنة ١٣١١ ٠

(٢) مهدية ١/٥/١/٤/٢٩١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٦ الحجه سنة ١٣١٤ ٠

الامــر وامر بالمهاجمة ، وتغيرت تبعا لذلك نتيجة المعركــة لصالحه ، فانهزمت جموش النقس وقتل يوحنا نفســه فى تلك الموقــعة (١)

شـل محمود حركة جنوده بادخالهم فى داخل زريبــة وفرض عليهم طريقه جـديدة فى القتال وادخلهم فى تجربة لم يألفوها من قبل فقلل بذلك من فعاليتهم • اما الخيـــل فانه كذلك لم ينسق عملها مع عمل بقية الجيش وقد كانت فى ساحة الحرب على ميمنة الجيش فوقفت موقف المتفرج ولم تشترك اشتراكا فعليا فى المعركة حتى ان " ستيفنز" اتهمها بالهروب من المعركة " ومما لاشك فيه ان الخيـــول قد هربت من ميدان القتال وان عثمان دقنه ، الــذى اعتاد الا ينتظر نهاية اى معركة ، قد هرب ايضا مع تلك الخيول • ان الفرســان لم يفعلوا شيئا فى تلك المعركــه وكان سلوكهم مشينا الشئ الـذى لا يليق بهم اذ ان الفرســان كانوا من البقارة ــ اولئك الاعراب من رعاة الابقار الذين ينتمى اليهم الخليفه والذين استجلبهم مــــن دارفور ومكنهم من الاراضى حول امدرمان • كانوا سادة السودان وهربوا من المعركة باسلوب مشـــين "(٢) ولايمكننا قبـــول قول ستيفنز هذا بهروب الخيل دون أن يكون لها اى عمـــل فى تلك المعركة فان الخيل على الاقل تمكنت من منع خيل كتشنر من مهاجمة ميمنة الزريبه وبالتالى مهدت لبعض من كانوا بتلك

---

(١) التفاصيل اكثر عن واقــعة القلابات يمكن الرجوع الى : نعوم شقير جغرافية وتاريخ السودان ص ١٠٧٩ ــ ١٠٨١

(2) Steevens : with Kitchener to Khartoum P.158.

See Appendix E2

الجبهة من الفرار ، ولكن الذي نريد اثباته هو أن هذه الخيل لم يكن عملها متسقا مع بقية فرق الجيش ، ولذلك فانها لم تؤثر تاثيرا كبيرا فى سير المعركة ، وبذلك عطل محمود سلاحا هاما كان يمكنه ان يستفيد منه غاية الفائدة ، وكانت الخيل قد اثبتت فعاليتها فى المناوشات التى سبقت المعركة الفاصلة "(١) وصف محمود احدى هذه المناوشات بقوله ((وذلك اننا بعد نزولنا ببحر اتبره بالجيش قد اتفقت مشورة الاصحاب على توجيه بعض الخيول لكشف جهة الداخلة وما يجاورها من الجهات وقد كان بيوم الاثنين الموافق ٢٧ شوال وجهنا نحو الاربعماية حصان من خيول الجيش تحت قيادة المكرم البخيت التمورى وساروا على ساحل بحر اتبره المذكور وغير بعيد قابلوهم الكفرة سايرون فى جموعهم مستعدين ولمكايدهم مدبرين فلم يكن من الخيول الا ان حملت على قطعاتهم ودخلتها وفكت لحاماتها وقلبتها وصكت اولهم على اخرهم حتى اضطربوا غاية الاضطراب ونادى بعضهم بالامان وبعضهم يقول انى مجبور وقد قتلت منهم من قتلته واستلمت ماوقع عندها من خيولهم لعدم اشتغالها بغير الحرب وانكت فيهم النكاية الطلوية ورجعت سالمة غانمة لم يفقد منها شئ ولا اصيب احد من الاصحاب بشئ

---

(١) كذلك راجع وصف نفس المناوشة كما يرويها " بيرى " فى وصفه لتحركات فرقة الاستكشاف التى قادها " برودود " فى ٢١ مارس سنة ١٨٩٨

Berry: Lecture Notes on the Sudan Campaign.
P. 19 Cavalry Action .

على ان الكفرة قد ضربوا كافة اسلحتهم من مدافع ومكنات ومتريوز وغيرها ولم يبقوا شيئا من جهدهم وقد زادت هذه الواقعة كافة الانصار نشاطا وانبساطا بل بعثت فيهم روح الطرب وقوى الرجاء منهم ببلوغ الارب ."(١)

وغاية الامر ان محمودا لم يترك لجيوشه ولا لخيوله الفرصة لتنطلق على الطريقة التى تعودتها بل فرض عليهم البقاء فى حالة دفاع حد من حركتهم ، وحتى بعد ان صار الجيش قريبا منهم وتحفزوا للحركة لمهاجمته منعهم من ذلك " .. ولما حضرت الخيول المكسوبة منهم للمديم والاتبهم واسلحتهم فى اخر النهار كان ارسلنا بعضها مع رافعين هذا فكافة الاصحاب استعدوا وقاموا مبادرين للحرب تحت راياتهم وغير كثير بلغنا انهم قادمون نحونا فرايضا ان الاولى اقامتنا فى محلنا لتعظم النكاية بهم ولم يحضروا لغاية غروب الشمس ولما اصبح الصباح وارسلنا الخيول لكشف خبرهم وجدتهم قد تحيزوا الى محل معلوم اتخذوه من قبل ذلك وتحصنوا فيه واحجموا عن الحضور زاعمين ان ذلك تدبيرا منهم ونحن لاتدبير لنا غير تدبير الله تعالى .. والحالة هذه نحن قريب منهم ليس بيننا وبينهم شىء من المسافة ومستعدين لحربهم .))(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٥ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعده سنة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصدر السابق

ويفسر محمود اصراره على هذا الصبر وعدم السماح لجيوشه وخيوله بالانطلاق فى خطابه الذى ارسله للخليفه فى يوم ٥ القعده سنة ١٣١٥ اذ يقول ((ومستعدين جزاهم الله خيرا وقد كنا نرى ان الاولى بل الواجب عدم التاخير فى مناجزتهم الحرب الا انه بالتفحص فى احوال الكفرة وما علم من تربصاتهم فقد اقتضت المشورة من عموم الاصحاب ان ننتظرهم فى محلنا هذا حتى يحضروا الينا بغرورهم وجموعهم العارية عن المعونة الالهية وقد جبرتنا على ذلك ثلاثة اوجه اولها ان الكفرة لم يتحيزوا خارج جهة الداخلة الا لاجل مادبروه فى اتخاذ المراصد التى تقدم ذكرها وغاية امنيتهم ان تاتيهم بالجيش فيتمكنوا من الضرب ولا ينبغى ان نفعل شيئا فيمكنهم فينا وتتم به مكيدتهم وثانيها ان الجيش اذا اقدم عليهم فاذا لم يخرجوا له فى بسومهم فانه لايقدر على الصبر ليلة واحدة لانعدام الزاد منهم كلية اميرهم ومامورهم وايضا لم يكن بتلك الجهة شىء من شجر الدوم يتقوتوا به الاصحاب وهذه اهم الامور واصميها وفيها من الفشل مالا خفاء فيه وثالثها ان الذى علم من خبر الجهادى الذى توضح امره (١) انهم سيصبرون مسافة اربعة خمسة ايام فاذا لم نقدم عليهم فسياتون فى عددهم وعديدهم مغترين بكثرتهم واستجادة اسلحتهم ٠)) (٢)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعده سنة ١٣١٥ يذكر فيه بان الخيول التى ارسلت للاستكشاف اسرت واحدا من جهادية كتشنر واحضرته لمحمود فبعد استجوابه تقرر قتله سرا وقد قتل ٠

(٢) نفس المصدر السابق ٠

ذكره رأينـــا تصديقه من جهة وتكذيبه من جهــة اما من جهة كونهم حضروا فهو حقيــقى كما رفعناه سابقـا واما من جهة كونهم كثيرون وانهم قاصدون البقعة المنــورة فهذا بعيد ولا يتصور وقوعه والذى يغلب على الظن انهـا طايفة حضرت كشافة فقط واقرب مايكون انها من الحسانية والجعليين ومنهم ابن عم الهالك عبدالله سعد المدعو ابراهيم الحاج محمد فرح لان الكفرة حالهم فى شدة الاحتزاز والخوف من الموت وعدم التهور معلوم لدى الكافة سيما وتفريق جيشهم مع قيامنا نحوهم لاينبغى لهم ولا يفعلوه وعلى هذا فــان كان يوافق تعيين دورية كفاية من البقعة المنورة وتمر علــى الجهة التى بالجهات التى ذكروا وجودهم فيها والى ماوراهــا لكشف الحقيقة ورفعها لجنابكم فهو اولى ٠)) (١)

وبعد ان عرف محمود موقف مؤخرته ارسل كشافته لمعرفة مكان عدوه فاتضح له ان كتشنر كان متحصنــا بالداخلة فى انتظار قدومه ولما علم بنزول محمود الى نهر عطبرة نزل باطراف النهر لملاقاته هناك " تمدى سيدى ان الذى انكشف لنا من احوال الكفرة وعلمناه بعد وصولنا لبحر اتبره انهم فى غاية الوجل من قدوم الجيش عليهم وان الذى دبروه اولا قبل وصولنا فانهم ظنوا اننا سننزل عليهم فى جهة الداخلة او قريبا منها بحيث تكون فى الجهات التى تصلح متذوفاتهم وعلى ذلك فقد جمعوا كيدهم

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٢٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٢٢ شوال سنة ١٣١٥ ٠

وحشـــدوا جيشـهم بالخارج من جهة الـداخله وجعـلوه عـلى اطـراف البحـر العطـمبراوى واتخـذوا لـه المـراصد المتينـة زاعمـين انهم يحاربوننـا فى سـاعة نزولنـا ولما لم يجـــدوا ذلك وقـد الهمنـا الله تعالى من فضله ان قصـدنا جهـــة ام ضـبيـبيع فقـد تجهـروا الكفـرة لبطـلان كيـدهم وليـلة البارحة قـد وجدوا الانصـار الـذى اخرجوا للدوريـة احد عسـاكر الكفـرة بهـيأته وسـلاحـه فـاحضـروه لنـا وسـواله والتأمل فى كلامـه علم انهم ارسـلوه لمخادعـه الـجهادية هنا ولهذا ولما علمنـاه من ان الكفـرة عـادتهم الخداع فقـد امـرنا مـراعـاة للمصلحـة بتطهير الارض منه سـرا حتى لايشـيع ماذكرنـاه وقـد كان ولـم يعلم بـه احد • ان الذى علم انـنا من خبر الجهادى الـذى توضح امـره انهم سـيصبروا مسافة اربعة خمسـة ايام فـاذا لم نقـدم عليهم فسـيأتونا فى عـددهم وعديدهم مغترين بكثرتهم واسـتجادة اسلحتهم وكافة جيـوشـهم قـد صـارت بالجهة المذكورة ومعها رؤسـاوهم كمثل سـردارهم وهنتـر ومـقدلون واشــباهـم ولم يـبق منهم ببربـر ولا جهة الـداخلة الا القـليل كما علـم من خبر الجهادى • استقر سـيدى ان المحل الذى بـه الكفـرة يسـمى الهودى وابى عـدار على طرف الاتبراوى والمحل الـذى بـه نحن يسـمى ولد حسب الله ومابينـنـا وبينهم الا جهة امضبيع ولقـرب مسـافتهم فـان الخيـول تتـردد عـليهم فى اليـــوم الواحد ثلاثة مرات ولهذا فلا تزيد المسـافة بينـنـا وبينهـم عن سـاعتين فقط •)) (١)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢٣٦ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعده سنة ١٣١٥ •

ثم شـــرع محمـود فى حزم الجيش وضـبطـه للمعركة فـاهتم اهتمـاما بالغـا بامـــر الهاربين منـه فجعل النقط لضبطهم وضـبط الاســلحة التى معهم لمنعهم من الهروب بها " ((سيدى انـه بالنظـر لحصـول المضايقـة للجيش فى عدم القـوت الضـرورى فـانـه قـد هربـوا من الجهادية جمـاعـة ربع المكرم فضل الحسـنة نحو المايتـان نفـر وتـوجهوا الى جهة القضـارف ومن ربع عبدالله حامـد نحو الثلثمائـة نفـر كذلك توجهوا للقضـارف واما الكفـرة فلم يتوجـه لهم احد عـدا اربعـة انفـار جهادية من ربع المكرم عبدالله حامـد وسـتة من ربع المكرم محمـد الزاكى عثمان جملتهم ١٠ نفر وبخـلافهم لم نعلم احدا توجـه اليهم ولما عـلم لنا هروبهم صرنا فى غـاية الاهتمام بالتحفظ عـليهم وفى التحفظ على اسلحتهم والتفقـد لروسـايهم)) (١) وطـلب محمود من الخليفه ارســـال الاوامـر لروءسـاء الارباع لحـزم امـرهم " تبـدت ســيدى ان الاخوان روسـاء الارباع وان كـانوا واقفـين عـلى الاشـارة ومـوازبين فـــى الدين بكامـل جهدهم لكن بعض الامـور يتهاونـوا فيـها .)) (٢) ولهذا فقـد طـلب محـمود من الخليـفه ان يرســل هذه الاوامر وقـد كتب الخليـفه اليهم بذلك ولكنـه طلب من محمـــود ان يلاحظ لجبر خواطرهم ولا " يشــوش عـليهم " فى هـــذا الـوقـت وبعد نهاية المعركـة يفكــر فى امر الحزم مـرة اخـرى

---

(١) مهديه ١/٨/٢/٢٣٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعـدة سنـة ١٣١٥ .

(٢) نفس المصـدر السـابق .

" نعلمك ان الاجوبه فى طيه المحررة برسم الاصحاب سلم كل واحد لصاحبه ليعمل به واعلم اننا حررنا لهم بالسلام فان الذى يجد له شئ منه يوضحه فى كشف لكم لانا رأينا ذلك اصوب الان واجبر لخواطرهم خشية من تشويشهم وبعد نصرة الدين سيحرر مافيه الكفاية ان شاء الله على حسب اقتضاء المصلحة وحزم الامور هذا والان حيث ان هذه البوسطة مستعجلة فها هى واصلة لكم هذه الاوامر وبعدها ان شاء الله سيحصل التحرير للروساء كطلبكم ويرسل لكم والسلام " (١) وصيغة الامر الذى ارسل الى وكلاء الارباع هى " نعلمك انك على بال منا والظن بك حسن والدعاء بالخير معك وحيث انك بمعيه المكرم محمود احمد فاجتهد فى بذل جهدك معه والقيام بمساعدته كما يجب والظن بك كل على خير ونرجو الله سبحانه ان يبلغنا منك كل خير والسلام.)) (٢) اما الروساء الارباع فقد كتب بالصيغة الاتيه " نعلمك انك على بال منا والرضا معك والدعاء بالخير صحبك وحيث لايخفاك ان المزايا على قدر البلايا وان مع العسر يسرا وان الثبات والصبر فى الباساء والضراء وحين الباس هو شيمة الاخيار وهو اثر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وقد قال الله سبحانه فيهم ورضوان الله عليهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا

---

(١) مهدية ١٨١/٤/٢٨/١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٢ القعده سنة ١٣١٥ .

(٢) ارسل الخليفه صورة من هذا الى كل من :ـ اسماعيل الامين ، التوم اودون ، احمد التوم الحازمى رقم ١٨٢ ، ١٨٣ ، ز ١٨٤ من الخليفه بتاريخ ١٢ القعده سنة ١٣١٥ .

وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم وحيث ان اصحاب المهدى عليه السلام هم اثر الصحابه رضوان الله عليهم فينبغى ان يكن منكم الوشوق بوعد الله والعزم بما يعس فى الله حيث ان العاقبة عند ربك للمتقين وان الفرج سيحصل ان شاءالله عاجلا وشوقا بوعد الله وحسن ظن به وحيث ان الله سبحانه جعلكم من الاصحاب واعدكم لنصرة الدين فامدوه على ذلك وتحابوا فيما بينكم وحسنوا المقاصد لله وليكن همكم القيام لله بما يرضيه وتشتيت شمل اعداء الله لاعلاء كلمة الله ووازروا عاملكم المكرم محمود احمد وامتثلوا امره وشدوا عضده واحذروا مكائد اعداء الله واحذروا وحذروا الاصحاب من الغنايم ومد الطرف اليها فالمقصد نصرة الدين وبعد النصرة فامر الدنيا هين هذا وجميع الاسلحة التى تجدوها فى المناوشات وغيرها من الاعداء اوضحوها بكشوفة للمكرم محمود احمد ومنه فليرفع لنا ايضاحها ولا يصير اخفا شئ منها والاسلحة التى بيد الاصحاب اوصوهم على حفظها وعدم الاهمال فيها حيث انكم بصدد الجهاد هذا والله نرجو ان ياخذ بيدكم ويسعنا كل خير والسلام "(١)

---

(١) ارسل الخليفه صورة من هذا الى كل من على السنوسى ، البشارى ريده ، صلاح ابوه ، محمد ولد على عبدالقادر دليل ، العطا اصول عيسى ذكريا ، فضل الحسنة ، محمد الزاكى عثمان ، على فرفار ، البخيت التمورى ، محمد ابراهيم ابوخاطمة ، ~~xxxxxx~~ محمد فضل الله عبدالله حامد بالفضلى ادم مهديه ١٨٥/٤/٢٨/١ ـ١٩٦ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٣ القعده سنة ١٣١٥ .

كذلك ارسل لهم الخليفة التعليمات التى يجب الاخذ بها فى ساعة الحرب والتى لخصها فى ((.. وشانهما الارشاد فى امر الحرب بالاتحاد والتحزب والمحبه والانقياد لعاملنا المكرم محمود احمد والتمييز فى ساعات الحرب وتجنبه التهول وان لا تحصل غفلة فى وقت من الاوقات وان نبذل الامان لكل من يأتينا منهبا من الجعليين والبرابره وغيرهما وان لاتقتحم تياقير السكرة اذا تحصنوا فيها وان نفتكر لمكايدهم التى اعتادوا عملها سابقا من القاء الامتعة والانكشاف عنها فى ساعة الحرب وغيرها وان لا يحصل اشتغال بكسب الغنايم .)) (١)

كذلك كتب الخليفه منشورات الى جميع الانصار فى الجيش لرفع الروح المعنوية قبل المعركة يشكرهم فيه على ماتحملوه من الصعاب يعدهم بالنصر الموعود وبهلاك اعدائهم ويطلب منهم عدم الاكتراث لكثرة الاعداء وجودة اسلحتهم ((.. وقد ورد لنا من عاملكم المكرم محمود احمد مايفيد مدحكم والثناء عليكم بما انتم عليه من الثبات والصبر على الشدايد فشكرناكم على ذلك وقد فعلتم ماهو اللائق بكم فان الدين بعون الله منصور والاعداء وان بلغوا مابلغوا فعاقبتهم الهلاك والدمار فلا يهولكم امرهم ولا ماهم عليه من العدد العمارية من المعونة الالهية فان الله تعالى

---

(١) مهديه ٢١١/٢/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥ .

قادر على هلاكهم وقد وعد عباده المؤمنين بالنصر وجعل العقبة مضمونه لهم فاصبروا صبر الكرام وتذكروا الوفاء بالعهد بارك الله فيكم"(١)

وقسم محمود الذخيرة على حملة الاسلحة النارية فكانت قليلة كما توضح فى خطابه الى الخليفه " ثم ان الجبخانه الموجوده جميعها قد صار صرفها للجيش باكملها حتى لم نترك منها شئ وقد خص البندقية فى الرمنتون ثلاثة دستات ومن سابق عندها دستين فصارت البندقية لها خمسة دستات والبيادة ستة دستات وابى روحين خمسه دستات .)) (٢)

وتكون جيش محمود من عشرين الفا بالاضافة الى جيش عثمان دقنه الذى الحقه به بصفه خاصة وقد اختلف المورخون فى العدد الذى كان مع محمود فى موقعة النخيلة فحدده البروفسير شبيكه باثنى عشر الفا (٣) اما ستيفنز(٤) فانه يرتفع بالعدد الى ستة عشر الفا فيقول :-

(١) مهديه ١/٢٨/٤/٢٠٠ الى ٢١١ من الخليفه الى محمود بتاريخ ١٢ القعده سنة ١٣١٥ .
(٢) مهديه ١/٨/٢/٢١٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥ .
(3) Shibeika . British Policy in the Sudan P. 382 .
(4) Steevens : with Kitchener to Khartoum P. 157.

" ان محمودًا نفسه قد أقر بان جيشه كان به ١٢/٠٠٠ من المشاة و ٤/٠٠٠ من الفرسان و١٠ مدافع "
ولكن العدد الذى تبع محمود كان اكثر من ذلك بكثير فان محمودا نفسه يذكر ان الجيش الذى تبعه بلغ اكثر من عشرين الفا
((تبدى سيدى انه لوجوب رفع اعداد الجيش الذى مع داعيكم وماتبعه من العدة قد حررنا به كشف عن اجمالى الارباع ربع ربع واضحا به كميات اولاد العرب والجهادية والاسلحة باصنافها والخيول والدروع فى كل ربع وذلك بخلاف ناس المكرم عثمان دقنه وبلغ تمة جميع الانصار عشرون الف واربعماية وستة عشر .)) (١)

وليس هناك مايوضح اعداد جيش عثمان دقنه ولكن يمكن تقديرها من الاعداد التى تبعته وكانت معه عندما كان معسكرا على نهر عطبرة قبل انضمامه الى محمود فيذكر هولت انه كانت معه فرقة مكونة من ثمانية الاف شخص تحت قيادته ومعه حامد على فى قوز رجب واصبرى والفاشر على نهر عطبره وذلك فى يوليو ١٨٩٤ محرم سنة ١٣١٢ عندما طلب منه تعزيز تلك الاماكن بعد استيلاء الايطاليين على كسلا .." وكانت الاحتياطات العسكرية التى اتخذها الخليفه فى تلك الظروف تقتصر على تعزيز خط عطبرة بثمانية الاف رجل تحت قيادة عثمان دقنه وحامد على فى قوز رجب ومراكز اخرى صغيرة فى اصبرى والفاشر ."(٢)

---

(١) مهدية ١/٨/٢/٢١٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ ١٢ شوال سنة ١٣١٥ .

(2) P.M.Holt : The Mahadist stat in the Sudan P. 156 .

See Appendix #3

فاذا كان هذا العدد كله لم يسافر معه ليلتحق بمحمود فان نصفه على الاقل يكون قد فعل ذلك فاذا اضيف هذا الى جيش محمود الاصلى يصل العدد الى قريب من الخمسة وعشرين الفا وقد ارسل محمود كشفا بتفاصيل الجيش الذى كان معه اوضح فيه انه تكون من ١١٠٩١ من اولاد العرب و ٩٣٢٥ من الجهادية و٨٣١٦ من الاسلحة النارية و٢٣٦٥ من الخيول و٢١١ من الدروع ومعه من الامراء بخلاف عثمان دقنه ، على السنوسى صلاح ابوه ، محمد على ، عيسى زكريا ، البشارى ريده ، محمد فضل الله ، عبدالقادر دليل ، الفضلى ادم ، العطا اصول ، ثم فضل الحسنه ، وعبدالله حامد من جيش القضارف ثم محمد الزاكى عثمان أمير بربر ثم محمد بشارة من دنقلا " (١)

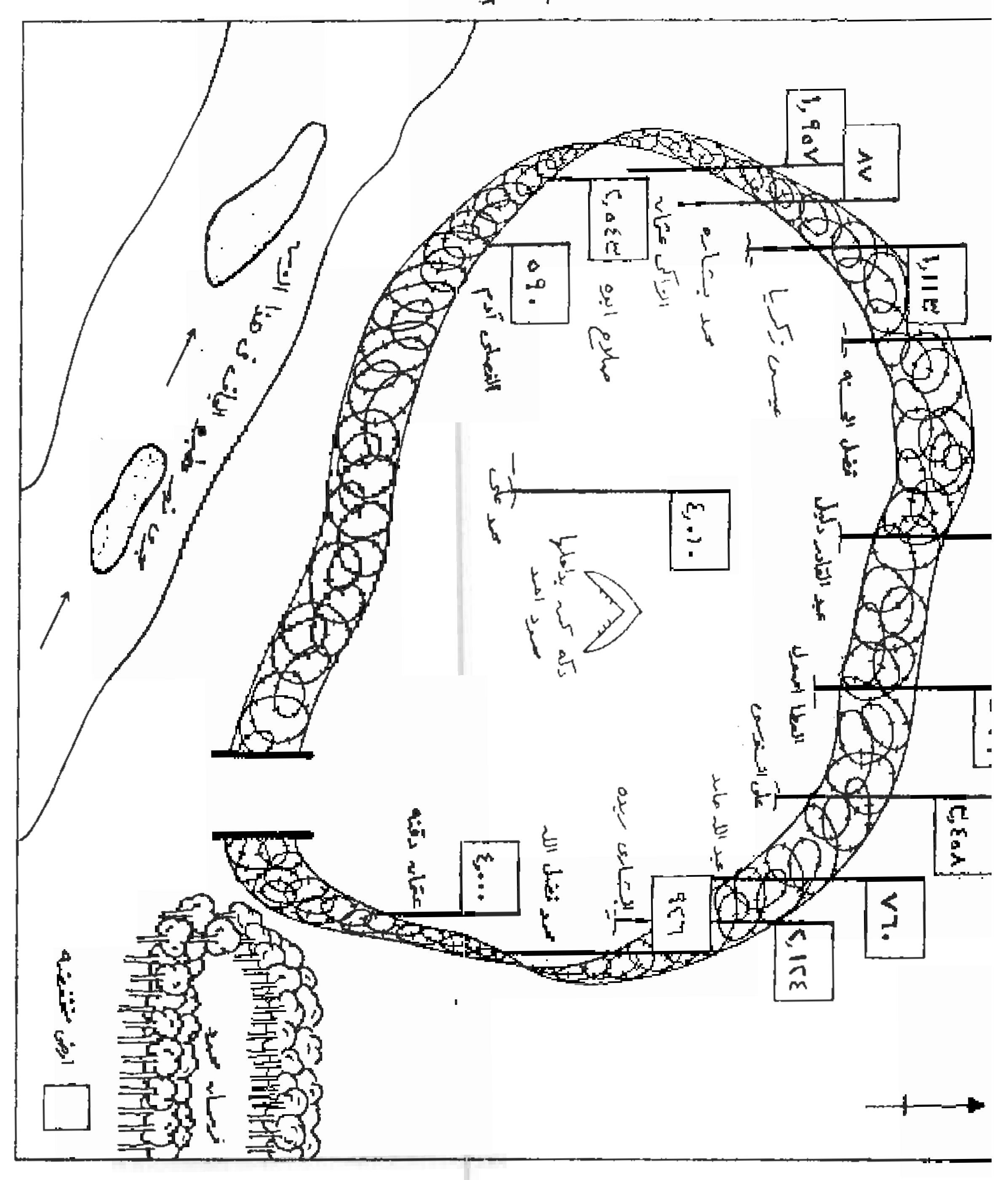
اما المكان الذى اختاروه لاقامة زريبتهم فهو منخفض مملوء باشجار الدوم ترسو قاعدته على نهر عطبره وتحدد اطرافه على شكل شبه دائرى

---

(١) انظر الكشف المرفق فى الصفحة التالية للتفاصيل .

غير منتظم ارض مرتفعة صلبة تغطيها الصخور والحصى الاحمر • وقد اقيم فى وسط هذا المنخفض مكان حصين كمن فيه محمود ومازالت اثاره باقيه الى الان ويسميه اهالى المنطقة (بالغار) ثم تقسمت الارباع على اطراف الزريبة فى شكل شبه دائره فكان مقدمتها المواجهة لجيش كتشنر ربع العطا اوصول وربع عبدالقادر دليل وهذه الارباع هى التى وقع عليها عبء الحرب وتعرضت لاعظم الضرب فى ساعة الهجوم وكذلك شاركتها فى هذه الحالة الارباع التى كانت على الجهة اليسرى من الزريبه وهى ارباع فضل الحسنه عيسى زكريا ، محمد بشاره ، الزاكى عثمان ، صلاح ابوه ، والفضل ادم اما الارباع التى كانت على الجهة اليمنى فهى ارباع على السنوسى ، عبدالله حامد ، البشارى ريده ، محمد فضل الله وعثمان دقنه واما الخيول فقد وقفت فى غابه صغيره عن ميمنة الزريبه •

...البيان ادناه يوضح الخندق الذي اتخذه محمد احمد
...بشه ابان واقعة الحنيلة



اما كتشنر فانه قد شرع فى الاستعداد . لملاقاة محمود بعد أن تأكد لديه انه قد قام من المتمة متجها الى الشمال • وكان فى اول الامر يعتقد ان محمودا سيستمر فى سيره على نهر النيل حتى يصله ،فجمع جيوشه وركزها فى كنور وانشأ قلعة واستحكامات فى عطبره وجعلت وابوراته تتبع اخبار تحركات جيش محمود حتى وصل العاليات ثم ترك الطريق المحاذى للنيل وضرب فى الصحراء متجها الى الشرق نحو نهر عطبرة ومن هنا انقطعت اخباره عن كتشنر "تبدى سيدى ان الذى انكشف لنا من احوال الكفرة وعلمناه بعد وصولنا لبحر اتبره انهم فى غاية الوجل من قدوم الجيش عليهم وان الذى دبروه اولا قبل وصولنا فانهم ظنوا اننا سننزل عليهم فى جهة الداخله او قريبا منها بحيث تكون فى الجهات التى تصلها مقذوفاتهم وعلى ذلك فقد جمعوا كيدهم وحشدوا جيشهم بالخارج من جهة الداخله وجعلوه على اطراف البحر الاتبراوى واتخذوا له المراصد المتينه زاعمين انهم يحاربونا فى ساعة نزولنا ولما لم يجدوا ذلك وقد الهمنا الله تعالى من فضله ان قصدنا جهة ام ضبيع وانتهى بنا السير الى ان نزلنا فوقها بمسافة قريبه فقد تحيروا الكفرة لبطلان كيدهم وفساد تدبيرهم•))(١)

---

(١) مهديه ٢٢٦/٢/٨/١ من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعده سنة ١٣١٥•

وقد وجدت مخابرات كتشنر صعوبات شديدة في تحديد مكان جيش محمود ولم تكن الاخبار التي يستقونها من الاهالي مؤكدة ولا يمكن الاعتماد عليها وقد سمعوا كثيرا من الاشاعات بان محمودا قد وصل في هذا المكان او ذاك .((.. وهكذا وفي صبيحة الاحد ٢٠ من مارس تحركت القوات من كنور ، وغلى المعسكر بالحركه لان الاخبار انتشرت بأن محمودا قد وصل بالفعل الى نهر العطبراوى اخيرا وبأنه قد سيطر على رأس الهودي على مسافة سبعة اميال من مقرن النهرين ، وعليه صار لزاما علينا الزحف الى الهودي رأسا عبر الصحراء . ولكن قسم المخابرات لم يكن يشق كثيرا في روايات الاهالي .)) (١) ولذلك فقد قرر كتشنر ان يحتاط لامره ولا يترك لمحمود الفرصه ليدور حوله ويصل الى مؤخرته فقرر ان يرسل بعض الفرق الى نهر عطبره لتقطع على محمود خط السير في ذلك الطريق فنزلت في الهودي ثم تحركت الى رأس مكان جيش محمود ودون ان تعرف نواياه ومايطوى عليه وخرجت خيول كتشنر في هذا الاثناء مرارا بحثا عن محمود فلم تجده ولم تحدد مكانه حتى كان يوم ٢١ مارس " ٢٧ شوال " حتى تقابلت خيول كتشنر تحت قيادة بروود مع خيول محمود تحت قيادة البخيت الشموري .(٢) وكان ذلك بداية مقابلة كتشنر بمقدمة جيش محمود .

---

(1) Steevens : with Kitchener to KhartoumP.104
(2) " Ibid. P. 124
وصفها محمود للخليفه في خطابه له مهديه ٢٣٥/٢/٨/١
من محمود الى الخليفه بتاريخ ٥ القعده سنة ١٣١٥ .

٧ ع شوال

" وفى نفس ذلك اليوم ((٢١ مارس)) تمكن الفرسان من مقابلة العدو • او بالاحرى فان العدو هو الذى قابلهم • واسروا بالوقوف والترجل عندما هاجمتهم خيول الدراويش فجاة "••))(١) وقد تمكن برودود من رد الهجوم وتتبع خيول الانصار حتى رأى نيران معسكرهم فى جهة ام ضبيع وعاد بعد ذلك الى رأس الهودى •

"وفى اثناء التقدم من الهودى الى رأس الهودى (٢١ مارس) كانت خيول برودود تشكل حاجزا لحراسة الجيش ليتمكن من الشرب على طوائف عند ابى عدار ؛ وفى هذا الاثناء هجمت عليهم قوات كبيرة من الدراويش خرجت اليهم من الاشجار المحيطة فقتلت منهم خمسة عشر ، تشرعت مدافعة الخيول فى الحرب على جهة الاشجار وتقدمت الخيول فى اتجاه موازى لمسافة ستة اميال الى ام ضبيع حيث رأت نيران معسكر لقوات كبيره ثم تراجعت الخيول فوصلت الى رأس الهودى فى منتصف الليل •"(٢)

ومن بعد هذه المقابله فى يوم ٢١ مارس تكررت مقابلة الخيول مع بعضها وتكررت المناوشات بينهما فى كل يوم تقريبا •

---

(1) Steevens : With Kitchner to Khartoum P.107 Appendix E

(2) Berry : Lecture notes on the Sudan Campaign ~ ~
P. 19.

تردد كتشنر كثيرا قبل ان يقرر الهجوم على زريبة محمود وقد علل ذلك بان المكان الذى كمن فيه محمود فيه كثير من الاشجار والاحراش وغير صالح بالنسبة لجيشه وخير له ان ينتظر محمود ليخرج له من ذلك المكان وقد شاور كرومر فى ذلك فوافقه فيما راه كما انه تشاور مع قواده هنتر قائد الفرق المصريه وقاتكر قائد الفرق البريطانية فاشار عليه الاول بالثانى وانتظار محمود كما اشار عليه الثانى بالهجوم فزاده ذلك ترددا فاحال الامر مرة اخرى الى كرومر لم يحدد له رأيا قاطعا بل ارجع الامر له وترك له مطلق التصرف ولكن فضل الانتظار مع اعطاء كتشنر الحرية حتى فى رفض هذا التفضيل ." " ليست لدى الرغبة فى ان احد من حريتك المطلقه فى العمل اذا رأيت ان تعمل شيئا يخالف الرأى الذى اميل اليه وارجو ان اوكد لك بانك ستجد كل المساندة منى ومن الحكومة فى كل امر تقدم عليه ..)) (١) وقد مضت مدة فى هذا التردد قبل ان يستقر كتشنر اخيرا على الهجوم وقبل ان يهجم بالفعل ارسل فرق الكشافة لتحديد مكان المركز الرئيس لتجمعات جيش محمود واستكشافه من مسافة قريبة وفى يوم ١٢ ذى القعده خرجت خيول برودود ومعها بعض فصائل من المشاة واستكشفت مركز تجمعات جيش محمود فى النخيله بعد مناوشة معه ، ثم خرجت بعض كتائب من الهجانه للاستكشاف

---

(١) لتفاصيل اوفى عما دار بين كرومر وكتشنر فى هذا الصدد راجع
Cromer : Modern Egypt, Vol,II (London 1908) P.P. 98-100 . Appendix E 6

على الجانب الاخر من نهر عطبره ثم فى يوم ١٣ القعده تحرك جيش كتشنر الى ابن عدار وفى يوم ١٣ القعده تحركت ثمانيه كتائب من الخيول والمدفعية ومعها اربعة مدافع مكسيم تحت قيادة برودود نحو النخيلة ولما وصلت بمحاذاة زريبة محمود على بعد ١٢٠٠ ياردة منها قابلتها خيول محمود وبعض مشاته والتحمت معها فى معركه سريعه خسر فيها برودود سبعة عشر قتيلا ولكنه تمكن من تحديد موقع محمود بالضبط ومن تحديد اماكن مدافعه (١) وفى يوم ١٤ القعده تحرك جيش كتشنر الى ام ضبيع ثم منها فى يوم ١٥ القعده تحرك قاصدا معسكر محمود فى النخيله حيث بدأت المعركة فى يوم ١٦ القعدة •

تكون جيش كتشنر من ١٦ الف محارب تقريبا (٢) تقسموا على اربع لواءات ثلاثة منها مصرية تحت قيادة الميجر جنرال أرشيبولد هنتر ولواء بريطانى تحت قيادة الميجر جنرال قاتكر اما اللواءات المصرية فقد كان تكوينها كالاتى :ـ

١ـ اللواء الاول وكان يقوده اللفتانت كولونيل هكتر ارشيبولد ويتكون من ثلاث كتائب سودانية هى التاسعة والعاشرة والحادية عشر وكتيبة واحدة مصريه هى الكتيبة الثانيه •

---

(1) Berry: Lecture notes on the Sudan Campaign P. 20.
فيه تفاصيل اكثر عن هذه الكشافه •

(٢) لايمكن تحديد العدد فيذكر ((بيرى)) انه ١٦ الف فى جملته بينما يذكر ستيفنز انه ١٣ الف فقط كما يؤكد ان كتشنر قد فرض سرية محكمة على اخبار اعداد جيشه • راجع كتابه
Steevens : With Kitchener to Khartoum P. 61.

٢ـ اللواء الثاني كان يقوده اللفتنانت كولونيل ماكسويل ويتكون من ثلاثة كتائب سودانية هي الثانية عشر والثالثة عشر والرابعة عشر وكتيبة " واحدة مصريه هي الكتيبة الثامنه ٠

٣ـ ~~الثالث~~ اللواء الثالث وكان يقوده اللفتنانت كولونيل لويس ويتكون كله من كتائب مصريه وهي الثالثه والرابعه والسابعه والخامسة عشر ٠ كما كانت هناك بعض البلوكات من الهجانة مع الكتيبة الثالثه تحت قيادة " تدوى باك " وثمانية بلوكات من الخيالة تحت قيادة بروود أما المدفعية فقد كانت تحت قيادة لونج باشا اما اللواء البريطاني فقد تكون من اربعة كتائب هي " لنكولنشير كمرون هايلاندرز ، وريكشيرز وسيفورث ٠ وقد تشكلت هذه اللواءات في ساعة الحرب على هيئة مربعات تحف بزريبة محمود على النحو الموضح في الرسم البياني المرفق في الصفحة التالية[1] فكانت خيول كتشنر في مواجهة خيول محمود في الجهة اليمنى من الزريبه ٠ تليهما الكتائب التي يقودها لويس ومهمتها المؤن والماء وبلوكات الهجانة ثم اللواء البريطاني ا وقد تقدمته كتيبة الكمرونز ومن ورائها اصطفت كتيبة الوركشيرز ثم السيفورث ثم اللينكولنز ثم الكتائب التي يقودها ماكدونالد وقد تقدمتها الكتائب السودانية ٩جي و١٠جي و١١ جي ومن ورائها الكتائب المصرية الثانيه ثم اللواء قيادة ماكسويل

---

[1] انظر الرسم البيان ص ٢٣١ بيلي

وقـد تقـدمت الكتائب السـودانية ١٢ جى و١٣ جى و١٤ جى ومن ورائها الكتيبـة المصـرية الثامنه ووقفت المدفعية فى المقـدمة •

وبدأت المدفعية بالضـرب فى السـاعة السادسة والربـع واستمرت دون توقـف لمدة ساعة كاملة ثم تلاها تقدم الكتائب التى ركزت اشـد هجومها على مقدمة الزريبة وجانبها الايسـر •

ويتضح من سـير المعركـة حسبما ورد فى كثـير من الكتب(١) ان محمودا وجد نفسـه فى وضع اشـلت فيه حركته تماما وقبعت فرق جيشـه داخل الزريبة حتى داهمتها جيوش كتشـنر الا الخيل التى حاول الهجوم على ميمنة كتشـنر فى بداية المعركـة ولكن صلتها مدافع المكسيم نيرانا حامـيه فتراجعت ثم حارت ولم تفعل شيئـا يذكر فى سـير المعـركة بعد ذلك •

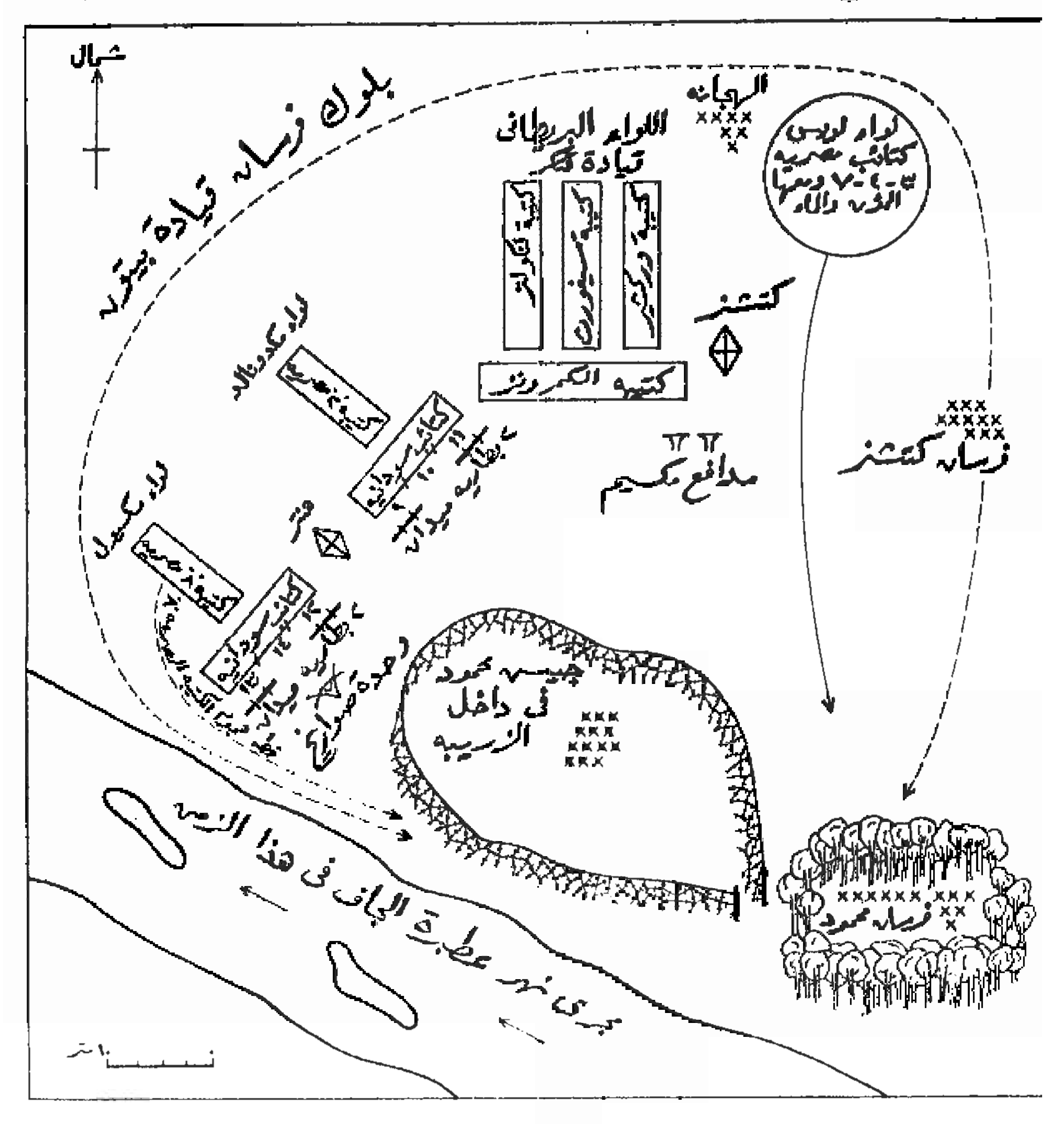
---

(١) تجمع كل الكتب التى وصفت سير المعركه على ان مدفعية كتشنر ظلت تصلى زريبة محمود نارا حامية لمدة ساعة كاملة دون توقـف ودون اى رد لها من جانب محمود وان زريبـة محمود كانت هادئـه لا اثـر لاى تحركات بداخلها طوال هـذه المـدة وانـه لم تتحرك الا فرق الخيل لمسافة بسيطة ثم تراجعت بعدهـا

راجع فى ذلك

(a) Burligh : Sirdar and the Khalifa, P. 231.
(b) Steevens : With Kitchener to KhartoumP.144.
(c) W.S. Churchil ; The River War P. 236.
(d) Berry. Lecture notes on the Sudan Campaign P. 21.

رسم بيانى لتوضيح الموقف الذى اتخذته جيوش كتشنر إبان موقعة عطبرة (النخيلة)



ويتضح كذلك أن ندرة الجبخانة وقلة الاسلحة النارية عند محمود قد جعلت مهمة كتشنر فاية في السهولة فقد استمرت مدفعيته في الضرب لمدة ساعة كاملة دون ان يتلقى اى رد من جانب محمود . وتحركت كتائب جيشه حتى وصلت الى قرب زريبة محمود دون ان يطلق عليها الانصار نيرانهم وتمكنت الكتائب المتقدمة من جيش كتشنر من تمزيق الزريبة والزحف على تحصينات جيش محمود حتى قضت عليها وتمكنت من الوصول الى المكان الذى كان يتحصن محمود بداخله فوجدوه وقد افترش سجادة صلاته وبجانبه سلاحه استعدادا للموت فاخذوه اسيرا الى بربر ثم الى مصر حيث بقى فى الحبس فى رشيد حتى توفى فى سنة ١٣٢٣ هـ .

وقد مات كثير من الامراء الذين كانوا مع محمود فى هذه المعركة مثل المطا اصول وعبدالقادر دليل وصلاح ابوه والبشارى ريده ويلاحظ ان كل هؤلاء ماعداء البشارى ريده كانوا بالجبهة اليسرى للزريبة والتى تركز عليها هجوم كتشنر اما الجبهة اليمنى منها فقد كان الهجوم عليها خفيفا وقد نجا من الموت فى تلك الموقعه من رؤساء الارباع فضل الحسنه والذى اسر فيما بعد واخذ الى المنفى ومات فى قرية الرمان بالقرب من سنجه بعد ان اطلق سراحه ، ويسى زكريا الذى تمكن من الوصول الى امدرمان ليشترك فى موقعة كررى وقد مات فى تلك المعركه عندما كان معسكرا بجهة الخرطوم بحرى، ومحمد الزاكى عثمان الذى تمكن ايضا من الوصول الى امدرمان واشترك فى معركة كررى وقتل فيها .

وعــلى فـرقـار الـذى اسـر واخذ الى المنفـى وقضى فيـه ١٤ ســنه ثم رجع الى قـرية الرمـان قـرب سنجه ومات هنـاك ، والفضـل ادم الذى اسـر واخذ الى حـلفا ولكنه لم يذهب الى المنفى بل عـاد من حـلفا وشوهد بقـرية الرتيمة بالقـرب من سـنجه ، وعثمان دقـنه الذى تمكن من العودة الى امدرمان وحارب فى كررى وتمكن من الافلات مرة اخرى ولم يقبض عـليـه الا بعد مـدة فى جبـال البحـر الاحمـر وقـد اخذ الى المنفى ثم الى الحجاز ثم الى حـلفا حيث مـات فى سنة ١٣٤٣ ، ومحمـد فضل الله الـذى اخذ الى المنفـى وعـاد منه وبقى فى سـنار حيث تم تعيينه "عمـدة" عـليها وبقى بها حتى مـات ، وعبـدالله حامـد الـذى لم يذهب الى المنفى بل عاد واسـتوطـن فى قـرية "بـان" بالقـرب من القضـارف ومات فيها ومحمـد بشـارة [1] الذى تمكن من العودة الى امدرمان واشترك فى موقعة كررى ومات فيها أما عـلى السـنوسى فانه ايضـا لم يذهب للمنفى بل ذهب الى دارفـور بعد انتهاء امر المهدية مع على ديـنـار وبقى معه الى ان انتهى امـر عـلى دينار ثم ذهب الى رهيـد البردى حيث صار ناظـرا عـلى قبائل التعايشـه الى ان مات تـقريبا سنة ١٩٨٥ هـ.(٢)

اما عـامـة الانصـار فـانه قـد قتل منهم عـدد كبير لا يمكن تحديده بالضبط اذ ان وثـائق الخليفه لم تحدد عددهم ولـم تحدده كذلك مصادر كتشنر بل اعتمدت على التخمين فى ذلك وقد اورد

---

(1) Steevens : With Kitchener to KhartoumP.160.

يذكر بان محمـد بشـاره قـد قتل فى واقعة عطبرة وهذا غير صحيح .

(٢) يذكر نعوم شـقير جغرافية وتاريخ السودان ص ١٢٣٤ ، ان عـلى السـنوسى قـتل ايضـا فى عطـبره ، وهذا غير صحيح ايضا .

استيفنسز في كتابه " مع كتشنر الى الخرطوم "
ان بعضهم حاول ان يحصي عدد الموتى من الانصار
ولكنه بعد أن وصل الى الالفين تعب من ذلك وتركه .
" وفي الزريبة نفسها حاول البعباشي واتسون — حرس
كتشنر الخاص — ان يحصي عدد القتلى فحسب حتى وصل
الى ٢/٠٠٠ قبل ان يتعب من ذلك ويتركه ، وقد ترك مع
ذلك الكثيرين ، فقد وجدت الخنادق تلو الخنادق مليئة
بالقتلى ، كما ان هناك الكثيرين ممن قتلوا خارج الزريبة
ومن اصابتهم الرصاص وهم يعبرون مجرى النهر .)) (١) وقد استنتج
ستيفنز من ذلك ان عدد القتلى قد بلغ الثلاثة الاف بما
فيهم محمد بشارة امير دنقلا الاسبق وكثير من الامراء
الاخرين .
ويضيف هولت الى هذا العدد ((٣٠٠٠ قتيل)) اربعة الاف
اخرى من الجرحى (٢) ولكن هذا التقدير فيه تقليل كثير لعدد
القتلى في هذه المعركة ولابد ان يكون قد مات فيها ما يزيد
عن هذا العدد اذ ان الجيش الذي كان مع محمود يزيد على
العشرين الفا فاذا كان الذين تمكنوا من الهروب منه الى القضارف
الى امدرمان هو اربعة الاف"(٣) بما فيهم الجرحى — واذا علمنا

(1) Steevens: With Kitchener to Khartoum, P.160. Appendix
(2) P.M.Holt: The Mahadist state in the Sudan P. 219
كذلك حدد بيري نفس العدد ٣ الاف في كتابه
Berry : Lecture Notes on the Sudan Campaign P. 22.
وينزل كرومر بالعدد الى ٢/٠٠٠ في كتابه
Cromer : Modern Egypt., Vol II P. 102 .
اما نعوم شقير فيقول في كتابه جغرافية وتاريخ السودان ص ١٢٣٤
" اما الدراوي فقد قتل منهم نحو ٢/٠٠٠ رجل وفيهم من الامراء
على السنوسي والبشاري ريده والمطا اصول وعبدالقادر دليل
وصالح ابوه وعبدالله حامد والشريف النقيب وكيل دقنه ". وقد
اخطأ فيما يختص بموت الامراء على السنوسي وعبدالله حامد .
(3) Berry : Lecture Notes on Sudan Campaign ,P. 22

أن كتشنر لم يأخذ كثيرا من الاسرى ولم يهتم كذلك بالجرحى تأكد لنا ان عدد الذين ماتوا من ذلك الجيش كبير للغاية وأنه يفوق العدد المذكور ـ ٣ الاف ـ بأكثر من الضعف • ومما يلفت النظر أن هناك شبه اجماع على تحديد رقم القتلى بثلاثة الاف مما يدل على أن المصدر الذى اخذت منه المعلومات مصدر واحد ويغلب الظن ان كتشنر هو الذى حدد هذا العدد ويؤكد ذلك حرصه الشديد على امور الاعداد هذه فى الامور العسكرية فقد كان يصر على كتمان امرها دائما وقد فعل ذلك بالنسبة لاعداد الجيش الذى تبعه كما يذكر ستيفنز حيث يقول :ـ " ولابد لى من ان اذكر ان كل الاعداد هنا اعتمدت على التقدير والتقريب اذ ان اوامر السردار كانت تمنع نشر الاعداد والافصاح عنها •" (١)

واذا كانت لكتشنر مصلحة فى كتمان اعداد جيشه لبعض الاعتبارات العسكرية فانه حتما كانت له مصلحة فى كتمان امر مقتل هذه الاعداد الكبيرة دون مبرر لاسباب سياسية ولا عتبارات شخصية •• وقد عرف عنه انه كان شديد الخوف من النقد حريصا كل الحرص على عدم الدخول فيما يضعه فى موضع حرج ولذلك فانه قد تردد كثيرا قبل الاقدام على الهجوم على محمود حتى تأكد جيدا من خطواته ولم يدع مجالا للنقد ولم يقدم على اى مجازفة فهو يقرر ذلك بقوله عند مقابلة محمود " ولن اقدم على هجوم شامل حتى اقتنع وأتأكد بان الفرصة المناسبة لذلك قد اتت • " (٢)

---

(1) Steevens : With Kitchener to Khartoum P. 16.

(2) Kitchener to Cromer, Quoted in Cromer to Foreign Office, No 115, 4 April 1898 ,P.R. O., F.O., 78/5049 . Quoted from Shibeka : The British Policy in the Sudan P. 386.

وبنفس هذا المستوى من الحرص عالج كتشنر مسألة عدد القتلى هذه خوفا من النقد ، وخوفا مما قد يحدثه صدى هذه المجازر على الرأى العام البريطانى اذا علم بتلك الاعداد ، ولم يغب عن باله صدى " مجزرة القسطنطينية " عندما عرف البريطانيون ان السلطان العثمانى ، الذى تسنده حكومتهم ، قد اقدم على قتل ٥ الى ٧ مسيحى ارمنى فى القسطنطينيه فى اغسطس سنة ١٨٩٦ ولم تغب عن باله الزوبعة التى اثارها "الرادكاليون" ضد حملة السودان منذ بدايتها وخاصة مقالاته تائد تلك المعارضه " لابوشير " من ان مشاعره مع الافريقيين الذين يحاربون دفاعا عن اراضيهم وليست مع الاوربيين الغزاة ." (١)

كذلك كانت الروح الاستعمارية متغلغلة فى نفس كتشنر وكان يمثل بطلا من ابطال الامبراطورية فاهتم بمظاهر عظمتها وابهتها فاقام المهرجان ونصب اقواس النصر فى بربر احتفاء بانتصاره على محمود واظهارا لهذه الروح ."(٢) ولم يكن ليرضى ان يفسد جمال صورة الامبراطورية وعظمتها باخبار المجازر والدماء التى اريقت فى ارض النخيلة .

واذا كان كتشنر قد وضع كل هذه الاعتبارات نصب عينيه وعمل جادا على كتمان خبر مجزرة عطبره واعداد القتلى فيها فانه كذلك قد وضع نصب عينيه ان الغرض الاساسى من تلك المعركة هو ابادة جيش محمود والقضاء عليه قضاء تاما حتى لايترك منه بقية ترجع الى ام درمان وتشترك فى مقاومته فيما بعد. يقول بيرى " كان الغرض الرئيسى من تلك الموقعة هو ابادة قوات العدو وليس الاستيلاء على موقع استراتيجى فقط كما حدث فى ابى حمد ."(٣) وقد نجح كتشنر فى هذا الغرض وحصل على كل ماأراد فى واقعة النخيلة .

---

(1) The Annual Register for the year 1896, ... London 1897 PP. 69-70-P 139

خـاتمـة

=======

وبـانتهاء واقـعـة النخـيله انتهت حملة الامـير محمـود وزحفـه الى الشـمال والتى هى فى حقيقتها مسيرة هائـلة بـدأهـا محمود من اقصى الغرب حيـث اجبر القبائل التى هناك على الهجره فى سنة ١٣١٤هـ وسـار بهـا حتى وصل الى امدرمان ثم شمالا حتى النقطـة فـالنخيلة على نهر عطبرة وقد اوضحت هذه المسيرة ان الفكرة القـائلة بانه لو كان الخليفة قد رحل واستقر فى الغـرب بعد موقعة كررى بدلا من العودة الى امدبيكرات لامكنه الصمود لبعض الوقت ليقلق الحكم الثنائى ولما تمكن كتشنر من هزيمته بسهولة ويسر ، اوضحت هذه المسيرة ان هـذه الفـكرة لايمكن قبولها كلها كاملة وذلك لان مسيرة محمـود كانت قد زعزعـت كل قبائل الغرب ، التى عليها اعتمد الخليفه ، واضعفتها عدديا ومعنويا وزعزعت ثقتها فـى حكم الخليفة .

كذلك اوضحت هذه المسيرة انه بالرغم من الامكانيات العددية التى كانت فى متناول يد حكومة المهدية الا انها كانت تفتقر الى كثير من مقومات الجيوش الحديثه من سبل المواصلات وخطوط الامدادات والاسلحة الحديثه والنظم والتدريبات الحربية وما الى ذلك مما كانت تحتاجه الجيوش .

كذلك فان هذه الحمله قد اشعلت من جديد نار الفتنه وعمقتها بين قبائل أهل الشمال " اهل البحر " وقبائل اهل الغرب والتى كادت الخلافات بينهما ان تنتهى فى ايام المهدية الاولى لولا ان قامت ثورة الاشراف ضد الخليفة ، ولكن سرعان ماتمكن الخليفة من القضاء عليها وثبت اقدامه فى الحكم وقبلت معظم القبائل حكمه كأمر واقع واقتنعت به كما ورد فى المعلومات التى ادلى بها الشيخ مصطفى الامين للمخابرات الانجليزيه المصرية فى سنة ١٨٩٢ ⋅ (١) ولكن هذه الحملة ازكت نار الفتنة التى كادت ان تموت من جديد ، وواقعة المتمه وماتبعها لاتزال اثارها باقية فى النفوس الى اليوم ، ومقتل حسنين برى ومن تبعه فى بربر والمتاعب التى لقيها الكثير من اهالى تلك المنطقة على ايدى الانصار مازالت ذكراها محفوظه ، وهناك اثر آخر من اثار هذه الحملة فى تلك المنطقه وهو ان عدم المؤن والامدادات وضيق المنطقة وقحلها كان قد اضطر الانصار الى مد ايديهم الى كل ماوقعت عليه العين من ماكولات ومشروبات فدخلوا البيوت والمزارع وارتبطت صورة الانصارى فى الاذهان بالنهب والسلب واخذ حقوق العباد ⋅

---

(1) Egypt Intelegence Report Dec. 1892. Statement of Mustafa El Amin .

وفي الختام لابد من ان نذكر ان كمية الدماء التي اراقها كتشنر في موقعة عطبرة وآلاف الانفس التي أزهقها دون مبرر والمهرجانات التي اقامها ابتهاجا بالنصر واقواس النصر التي نصبها في بربر، كل ذلك يوضح مدى تغلغل الروح الاستعمارية في نفسه ، تلك الروح التي كانت سائدة في اوربا في ذلك الوقت وسيطرت على اذهان الناس فصاروا يحبون اخبار المعارك والنصر والفتوحات ومسيرات الجيوش وتثيرهم المهرجانات التي تعبر عن روح العظمة والقوة مثل المهرجانات التي كانت تقام في اعياد تتويج الملكه فكتوريا ، ومافعله كتشنر في موقعة عطبرة وماتبعها كان ترجمة لتلك الروح، وقد فتحت له تلك الاعمال الباب ليجد مكانا بين " بناة الامبراطورية " .

Appendix A (1) See P. (1)

" No one will deny , so clerar and evident a proposition , is it , that the Nile is the life of Egypt . Now the Nile means the Sudan and nobody will doubt that the bonds and connections which unite Egypt to the Sudan are as in-separable as those which unite the soul to the body ."

Appendix A (2) See P.2

" The Savages of the Sudan may never themselves possess sufficient Engineering skill to play tricks with the Nile ,but for all tha it is an uncomfortable thought that the regula supply of water by the great river ,which is Egypt not a question of convinience and prosp but actually of life , must always be exposed some risk ,as long as the upper reaches of th river are not under Egyptian control . Who ca say what might happen if some day a civilized power or a power commanding a civilized skill were to undertake great engineering works on the upper Nile and to divert for the artifici irrigation of that region the water which is essential for the artificial irrigation of Eg

Appendix A (3) See P. (2)

" The Dervishes have now been well beaten both at Swakin and in the Nile Valley . It is not probable that they will advance again for some time if at all ... The Dervishes without being really dangerous are fulfilling the ver useful function of providing an arguement aga any change . "

Appendix A (4) See P. (3)

" (Egypt's) very life blood is drawn from sources which now , for the first time in the long ages of her history , are being brought within the reaches of power-ful European stat and might pass under the control of some grea power which could lay an arresting finger on pulse at will ."

Appendix (5) See P. (4)

" If the Dervishes come on , I suppose they w
be beaten ; but then will not the Italians want
go on beyond the line fixed by Lord Dufferin's
Convention ? very probably they will do so . Th
would be awkward . I am always fearful of havin
this abominable Sudan question forced on us
prematurely . "

Appendix A (6) See P (4)

" The Sudan is worth a great deal to Egypt ,b
it is not worth banruptcy and extremely oppress
taxation ."

Appendix A (7) See P (5)

" I wish to draw your very particular attenti
to one point ... The point to which I wish to d
your attention is this . The military question
in reality a financial question , and looking a
the general Egyptian tangle , it is quite impos
to separate the financial from the political qu

Appendix A (8) See P. (5)

" If he (Salisbury) thinks he cannot come t
terms with the Italians at all events let them
kept back for a few years by which time the Sud
will probably come back to Egypt without much t
The " digringolade " of Mahdiism is going quick
than I expected and my main fear at this moment
for some time past- is that we shall have the
solution of the question pushed on us before it
really ripe for settlement . So long as no one
else settles in the valley of the Nile we can t
our time ."

Appendix A (9) See P. 6

" The decision to which the cabinet came yest
was inspired specially by a desire to help the
Italians at Kassala and to prevent the Dervishe
from winning a conspicuous success which might
far reaching results. In addition we desired to
kill two birds with one stone , and to use the
military effort to plant the foot of Egypt fart
the Nile . For this reason we preferred it to a
movement from Swakin or in the direction of Kas
because there would be no Ulterior profit in th
movements . "

Appendix A (10) See P. 22

" But however unpopular the Dervish rule may be with certain classes, the most war-like tri remain generally faithful to the Mahadist caus These are notably the ja'alin and the Baggara. former , however , are said to be wavering mor specially since the death of Wad al-Nujumi. So of their leading men recently made overtures to Colonal Wodehouse and the best authorities frontier matters think that before long it may perhaps be possible to detach the Ja'alin from the Mahadist cause ."

Appendix A (11) See P. 23

" Attention on the Sudan was directed from another quarter ; this time from some of the Sudanese themselves. When Abdalla Wad Saad had succeed to the cheiftainship of the powerful t of The Ja'alin in the Sudan , he immediately s relative of his to negotiate with Kitchener. A asked that there should be pardon for past off that the cheiftainship of the Ja'alin should r in the hands of Abdalla and his family , that should be remunerations for expenses incured i hostilities with the Khalifa, and that when the Ja'alin beseiged the Baggara at Omdurman , tro should be sent to give moral support to the ga Kitchener had no doubt that there is a very wi feeling of discontent at the Khalifa's rule . Abdalla's relative hoped that after bringing a the over-throw of the Khalifa's forces, the tr will demand British administrators and not nat either Egyptian or Turks . "

Appendix A (12) See P. 24

" As late November 1895, when wilfred Scawen was visiting Wadi Halfa, a number of Danagla S his mediation to obtain permission to return t own Country . His account of their statement i interesting :-

They told me that there would be Aman (guarantees of Security) for them there , tha Khalifa was pleased at the return of refugees, that they could re-occupy their lands without hinderances ; that there was less oppression t there had been, and that they would be better there than here .... People , however, were not interfered with if they were content to cultiv a few fedans (acres) and live on the produce

as far as I could gather from them , they conside
the independence of their Country from the (Egyp
Government an advantage, now that there was no lo
excessive oppression ."

Appendix A (12) P ss P. 25

" Great tribes such as the Ja'alin , no doubt
bitterly resent the accession to power of the Bag
but they are not so discontented as they were.

They originally rose against Egyptian governme
authority, because they considered themselves opp
During the first few years of the Khalifa's rule
suffered still greater appression , and would gla
have reverted to Egyptian rule , had it been poss
but gradually the situation is changing , and the
Khalifa's nomianal taxation of " Zaka " is less
oppressive than were government taxes . Thus a sl
gradual consolidation is being effected and it is
unlikely that when the Government does eventually
decide to re-enter the Sudan, it will meet with
opposition on the part of those very tribes who h
been most clammorous for its return .

Appendix A. 13 See P. 31

كشـف ببعض الخطـابات من محمـود الى الخليفه يـوضح فيها بعض الاعمـال التـى قـام بها فى فترة امـارتـه بالغـرب

١ـ مهدية ١/١٤/١/٤١ بتاريخ ٩ شـعبان سنة ١٣٠٨ بتعديـة برار اجبر وموسى سادبو الذين ارسلهم الخليفه لهداية الرزيقـات الـذين كان فضل النبى اصـيل ـ احد امرأ محمـود ـ قـد ضـيق عليهم الخنـاق وقـد تم رفع فضل النبى من الرزيقـات •

٢ـ مهدية ١/١٤/١/٤٧ بتاريخ ٦ شـعبان ١٣٠٨ خبر السـرية التى ارسلها الى الهـدوب فطـوحتهم وعـادت سـالمـة غـانمـة وان الانصـار جمـاعـة الكرم سنين حسن تمكنوا من قتل سبعه من عقد ا فـور •

٣ـ مهدية ١/١٤/١/٦٠ بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ بتفـاصـيل بيـوتات الرزيقـات الذين تم ضـربهم على يد فضل النبى اصـيل وكـذلك الجانقـى والهـدوب •

٤ـ مهديه ١/١٤/١/٦٨ ٦٨ بتاريخ ١٨ شوال سنة ١٣٠٨ بالشـكوى من عبدالباقى عبدالوكيل بانـه تعدى على حدود قسـمه وتدخل فى بعض الاقسـام التـابعه لمحمـود •

٥ـ مهديه ١/١٤/١/٧٠ بتاريخ ١٩ شـوال ١٣٠٨ بالشـكوى من اولاد التعايشـه الذين معه بالجيش وقـال انهم يحبون الراحات•

٦ـ رقم ٧٣ بتاريخ ١٩ شوال سنة ١٣٠٨ بانه قـد تم تنفـيذ الاوامـر التى وصـلته من الخليفه بتخريب دار التعايشـه •

٧ـ مهديه ١/١٤/١/٨٣/٣ بتاريخ ١٤ الحجه سنة ١٣٠٨ بخبر تمـرد الجهاديه عـليه وخرابهم السـوق النهود وتمكنه من السـيطرة عليه التمـرد والقضـاء عـلى المتمـردين •

٨ـ مهديه ١/١٤/١/٨٤ بتاريخ ١٥ الحجه سنة ١٣٠٨ بخـبر قتل روس الفتنـة من الجهادية وصـلبهم فى النهود وعدم الثـقة فـى الجهادية بعد ما حدث منهم •

٩ـ مهديه ١/١٤/١/٩٥ بتاريخ ٢٩ الحجه سنة ١٣٠٨ بخـبر

١٠ــ مهديه ١/١٥/١/١٦ بتاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣١١ بخبر بانه كان ينوى ضرب المسيرية ولكنه تركهم لانه وجدهم قد تفرقوا باماكن عديده وقرر ان يضرب بدلهم جبل الدائج •

١١ــ مهديه ١/١٥/١/٢٩ بتاريخ ١٠ ربيع اخر سنة ١٣١١ وفيه يطلب النصيحة لمحمد بشاره وارشاده لترك الراحات وكذلك الارشاد لروساء الرايات والملازميه وجماعة حلس المحسون •

١٢ــ مهديه ١/١٥/١/٣٠ بتاريخ ٢٢ ربيع اخر سنة ١٣١١ وفيه شكوى من الرزيقات المهاجرين الى امدرمان وتعديهم على حقوق الاخرين •

١٣ــ مهديه ١/١٠/١/٤٠ بتاريخ ٢ جماد اول ١٣١١ باخبار كردفان والخراب والزوبعة التى المت بها وان اسباب ذلك كله ناتج من الذين تركهم وراءه للقيام بامرها وهم الوكيل عيسى الزين ومعه امين بيت المال على احمد الهاشمى وعمال الرايات والمقاديم •

١٤ــ مهديه ١/١٥/١/٤١ بتاريخ ٤ جماد اول ١٣١١ بانه قد وصله طلب الخليفه له (خفاتى لامدرمان ومعه روساء دارفور المحضرين معه •

١٥ــ مهديه ١/١٥/١/٥٥ بتاريخ ١٦ رمضان سنة ١٣١١ وفيه رد للخليفه على شكوى احمد بشاره ضده والتى اتهم فيها محمود باخذ ممتلكاته ومصادرتها •

١٦ــ مهديه ١/١٥/١/٧٥ بتاريخ ٩ القعده سنة ١٣١١ بخبر تضيق الجيش على المسيرية وتشتيتهم شتاتا شديدا •

١٧ــ مهديه ١/١٥/٢/١٧٢ بتاريخ غاية محرم سنة ١٣١٢ بقبول امر الخليفه المؤرخ ١٩ شوال سنة ١٣١٢ وفيه الزام لمحمود بمباشرة امر الجيش بنفسه اذا لزم الامر لضرب جهة من الجهات لما فى ذلك من ارهاب للعدو وممارسة للحرب •

١٨ــ مهديه ١/١٥/٢/١٩١ بتاريخ ١٥ صفر سنة ١٣١٣ وفيه شكوى ضد الختيم موسى وعبدالقادر دليل من ان المحبه بينهما صارت مفقوده وانهم صاروا دائما فى معاكسه بعضهم البعض فى كل الامور •

١٩ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٠١ بتاريخ ٢٨ صفر سنة ١٣١٣ بخبر تطويع الزغاوه •

Appendix A. 13 Cont.

٢٠ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٠٤ بتاريخ ١٤ ربيع اخر سنة ١٣١٣ • بخبر وصول اذن الخليفه لمحمود بتاريخ ١٢ ربيع اول بالسماح لمحمود بالحضور بالجيش لدار حمر لاجل راحة الجيش فى الفلال وليكون قريبا " بحيث يتمكن من ضرب أى جهة كانت اذا دعا الى ذلك الحال •

٢١ــ مهدية ١/١٥/٣/٢٢١ بتاريخ ١٢ جماد اول ١٣١٣ بالشكوى ضد حلبى المحسون •

٢٢ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٢١ بتاريخ ١٣ جماد اول سنة ١٣١٣ بخبر وصول اشارة الخليفه لمحمود المورخة ٤ ربيع اخر باعلامه بتعين محمد بشاره لدنقلا • والسماح له بمكاتبته •

٢٣ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٢٤ بتاريخ ١٣ جماد اول سنة ١٣١٣ بالشكوى ضد الختيم موسى بعدم اطاعته للاوامر بالتوجه لدار فرتيت رغم اشارة الخليفه بذلك ونصائح الاخوان له بالمجلس •

٢٤ــ مهدية ١/١٥/٣/٢٣٦ بتاريخ ١٠ رجب ١٣١٣ بوصول امر الخليفه المؤرخ ١١ جماد اول ١٣ بضبط المسهبة وتجريدهم وارسالهم بالشعب وأن يكون ذلك على حين غفلة حتى لايفلت منهم احد •

٢٥ــ مهدية ١/١٥/٣/٢٣٩ بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٣١٣ باخبار البرقاوى ومجاهرته بالعداوة للمهدية •

٢٦ــ مهدية ١/١٥/٣/٢٤٠ بتاريخ ٤ رمضان ١٣١٣ باخبار الغرب ومافعله هناك من ضرب الخارجين على المهدية وتهديد شملهم •

٢٧ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٤٢ بتاريخ ٤ رمضان ١٣١٣ بخبر وصول طلب الخليفه له " خفانى " الى امدرمان •

٢٨ــ مهديه ١/١٥/٣/٢٤٣ بتاريخ ٤ رمضان سنة ١٣١٣ بالشكوى ضد اسيدى الرضى وابراهيم الشريف وحلبى المحسون •

Appendix A. 13 Cont.

٢٩ـ مهديـة ١/١٠/٣/٢٤٦ بتاريخ ٢٢ شـوال سنـة ١٣١٣ . ايمـاز الامـر بضـبط السـروجية وضبطهم .

٣٠ـ مهدية ١/١٠/٣/٢٥٢ بتاريخ ٧ الحجه سنـة ١٣١٣ بـوصـول محمـود ومـن معـه ((خنـاقى)) الى أمدرمـان .

Appendix B(1) See P. 46

((ذكر موت الحاج علي سعد))

" كان الحاج علي سعد من قبيلة الجعليين وكان وضيعا خامل الذكر ذا مهنة دنيئة ولما دخلت دعوة المهدية في بربر رفع محمد الخير منزلته حتى صيره أميرا على سكان القرى الواقعة جنوب نهر (اتبره) ثم كان من أمره مع محمد الخير امير بربر ماتقدم ذكر طرف منه حيث سعى بمحمد الخير عند التعايشي على امل أن يخلفه في امارة بربر وقد وعده التعايشي بالوصول الى غايته وقضاء لبانته فبالغ في توجيه المطاعن الى محمد الخير فعزله التعايشي وولى بدله احد اقاربه البقاره وقلب ظهر المجن لعلي سعد ثم امره باحصاء عدد المقاتله الذين تحت امارته فبلغوا سبعه الاف مقاتل فامره بان يصحبهم الى دنقلا في اوائل سنة ١٣٠٦ لينضموا مع ابن النجومي فغادر علي سعد بربر ولحق بابن النجومي في دنقله فاحصى من معه من المقاتله فاذا هم ستمائه مقاتل فقط فكتب ابن النجومي الى التعايشي يخبره بأن مقاتله علي سعد ستمائه رجل فقط لاسبعة الاف كما قال فاستاء التعايشي واضمر السوء لعلي سعد الذي يئس من نيل امارة بربر وامتعض من التعايشي واخيه يعقوب الذي خدعه واغراه على الطعن في محمد الخير توصلا الى عزله واقصائه من الامارة واطمعه في تبوء ذلك المنصب ثم لم يبر منه وفاء بل قلب له ظهر المجن .

وفي اوائل سنة ١٣٠٧ استقدم التعايشي علي سعد من دنقله وقدم له غذاء وضع فيه مادة سمية فماكاد يفرغ من تناوله حتى احس بانحراف شديد فلزم داره وتوفى بعد ليالي قليله بعد ان ظهرت عليه اعراض التسمم .

وخلفه في وظيفته اخوه عبدالله سعد الذي خرج على التعايشي قبل فتح امدرمان فقتله الامير محمود في من قتله ويجئ ذكر ذلك فيما يلي والله الامر من قبل ومن بعد "

Appendix B (2) See P. P 56

Egypt Int. Rep, No 44 Appendix E Note on the attitude of the Ja'alin Tribe (North Berber)

" Sherif Mohamed Saleh , the brother of Hassa Sherif who was entrusted with a verbal message Abdulla Wad Saad has returned to Cairo from Ber

He states he delivered the message and Abdull wad Saad told him that the natives, hands are t and they cannot possibly begin a revolt and hop for success unless they receive help from outsi if only one battalion of good soldiers came to Abu Hamed the Jaalin would at once rise and joi the Government , for the natives of the Sudan , specially the Jaalin , feel heavier and heavier every day the burden of the Khalifa's rule , an they are surprised at the inactivity of the Government in delaying the reoccupation of the

They cannot believe that the Government ,whi governed the Sudan for over 60 years will leave the hands of tyrannical and most ignorant Arabs. They are sure that this Government must return day , but they grow impatient , and in the meant they have been obliged to try and accustom them to the Khalifa's rule until relief comes."

Appendix B. (3) See P. 56

المنشور المرسل من الخليفه الى اهالى المتمه والذى قال هولــــت انه موجود فى دار الوثائق المركزيه لجمهورية الســــودان تحـت مهديه ٢ /١٠ ٦يورده هولت مترجما الى اللغه الانجليزيه كما يـلى :ـ

" ...We have written to you this our or so on its arrival do you all willing by and gla take all your possessions and everything pertai you , save only your houses, and seek out a sui place in the knowledge of your , amils opposit village on the eastern side . Then abide with t blessing of God , all of you , so that none of may be separated .

Ref., P.M. Holt : A calendar of the Correspondar of the Khalifa Abdallahi and Ahmed, Khartoum 1950, P. 9

Appendix B (4) See P.56

" The Khalifa determined early in June to send the Kordofan army to occupy Metamma , thereby either to awe the tribe into loyalt or force them to revolt while the Egyptian were still too distant to assist them. He S the Cheif of the Jaalin , Abdalla -Wad Saad Omdurman , and informed him that the Jaalin territories were threatened by the Turks. I goodness of his heart, therefore , and beca knew that they loved the Mahdi and practice true religion , he was resolved to protect from their enemies. The Cheif bowed his hea Khalifa continued that the trusty Mahmoud w army would be sent for that purpose, Abdall show his loyalty in furishing them with all supplies and accommodation . He intimated t the interview was over. But the Jaalin chei the temerity to portest. He assured the Kha his loyalty and of the ability of not to im the burden of an army upon them . He exagge the poverty of Metamma; he lamented the mis of the times. Finally he begged forgiveness making his protest.

Appendix B 4 (Cont.)

The Khalifa was infuriated. Forgetting
his usual self control and the forms of pu
utterance , he broke out into a long and a
harangue . He told the cheif that he had l
doubted his loyalty , that he despised his
protestations that he was worthy of a sham
death, that his tribe were a blot upon the
of the earth, and that he hoped Mahmoud wou
improve their manners and those of their w

Abdalla Wad Saad crept from the presen
and returned in fury and disgust to Metemma
Having collected the head men of his tribe
informed them of his reception and the Kha
intent. They did not need to be told that t
quartering upon them of Mahmoud's army mea
plunder of their goods , the ruin of their
and the rape of their women . It was resolv
revolt and join the Egyptian forces etc.

Appendix B (5) See P. 56

مخطوطة يوسف ميخائيل عن التركيه والمهديه ١٩٣٤ ، دار الوثائق المركزيه لجمهورية السـودان ص ١٠٤ (مسألة المتمـة) .
قـال يـوسف ميخائيل ان " عبدالله سعد كان مـقيما فى امدرمان مع الياس ام بربر ولما سمع بان محمود احمد سـيقوم من امدرمان الى المتمـة اخذ مبـلغا كبيرا من المال واعطـاه الى يعقوب ليسمح له بالذهاب الى المتمة . وقـد اعطـاه يعقوب بالامر الا بعد يومين وقـد غضب الخليفه غضـبا وارسل الـهجاء فى طـلـبه ، ولكنهم لم يلحقـوه الا قـريبا من المتمة فقال لهم انى خالفـت امر الخليفه فى هذا الشـأن ارجعـوا الى سـيدكم وقـولوا لـه عبدالله ولد سـعد خالف امرك كيف يرضى بان تتطلع اهـل المتمة ويسكن بها محمود احمد ويخرج كافت النساء والاطـفال انا خالفت امره بهذا الشـأن ورجعت الـهجانه واخبرة الخليـفه بذلك الامـر حصل له الغضب الشـديد ... "

Appendix B (6) See P. 59

"   With the memory of the relief expeditio
of 1884-5 in mind , the Khalifa and his adviser
now determined to base Mahmoud's forces on al-
Matamma where the desert route from Dongola Pro
via Jaqdul and Abu Tulayh reaches the Nile . Th
town , however, was the tribal capital of the J
of those loyalty Abdallahi was susicious . Afte
consultation with their cheif , Abdallah Sad Fa
the Khalifa issued an order commanding the peop
of al-Matamma to transfer themselves en mass wi
their movable goods to any site they might choo
the eastern bank .

Faced with this demand Abdalla Sad and
people resolved on resistance . The news reache
Mahmoud on 22 Muharram 1315 (23 June 1897). On
following day two of Abdalla Sad's messengers
arrived at Marrawi and laid before Kitchener th
cheif's plea for arms , ammunition , and, if po
men to assist their revolt . "

(٥٥)

Appendix B(7) See P. 65

مهديه ١/٨/١/١/٦/٢ من محمود الى الخليفه بتاريخ
٧ صـــفر سنة ١٣١٥ ٠

بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الوالى الكريم والصـلاة على سيدنا
محمد واله مع التسليم وبعد فهذا كشف يحتوى بيان الشهـــداء
والمجاريح فى واقعة الهالك عبدالله سعد والخيول الفقوده ر
والمجروحه ربع ربع وذلك كالواضح ادناه ٠

اولاد عرب: شهدا	مجاريح	جهادية: شهدا	مجاريح	خيول نافقة	خيول مجروحة	
عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	
٦	٣٩	١٢	٧٨	٥	٥	ربع المكرم على السنو
٥	١٧	—	٣٧	٣	—	ربع المكرم صلاح ابـ
١٦	٣٤	١٠	٢٣	٣	—	ربع المكرم محمد ولد عا
٢	٢	٤	١١	—	—	ربع المكرم عيسى زكريـ
١٠	١٧	٥	٢٠	٥	—	ربع المكرم البشارى بهد
٥	١٥	٣	٩		—	ربع المكرم عبدالقادر دا
١	١١	٣	—	—	—	ربع المكرم محمد فضل الا
٢	٧	١	٥	١	—	ربع المكرم محمد فضل الا
٣	٥	—	—	—	—	ربع المكــرم المطا اصـ
٥٠	١٤٧	٣٨	١٨٣	١٧	٥	

بيـــانه

شهدا
عدد
٥٠ اولاد عرب
٣٨ جهادية
==== ٨٨

مجاريح
عدد
١٤٧ اولاد عرب
١٨٣ جهادية ٣٣٠
٤١٨

خيول نافقه ١٧
خيول مجرحه ٥

Appendix C (1) 124Y 125

Egypt Intelgence Reports No. 59 13th. Feb. to 2[illegible]
May 1898.

x " Secret agents and refugees had report
some time previously that a difference of openion
had arisen between Mahmoud and Osman Digna as to
plan of action to be pursued. From Mahmoud's
statement, made subsequently, it appears that the
matter was referred to the Khalifa who concured i
Osman's advice; but all that became known to secr
agents and refugees was that on the morning of 18
March letters arrived from Omdurman (see appendi
and at 3 P.M on that day the entire deroish forc
began moving from Aliab across the desert in the
easterly direction, to the Atbara, which was reac
20th. March."

Appendix D (1) See P. 130

" Abdullahi's mind was filled with a grow
distrust of the Ashraf and the Awlad al- Balad wh
would probably be their partisans in any trial of
strength with himself. In spite of al- Nujumi's
devoted services to the Mahadia, the Khalifa's su
rested upon him also, since he was a Ja'ali and t
ablest and most popular soldier that the Awlad a
Balad had produced." P.M. Holt: the Mahadist sta
in the Sudan P. 156

---

(1) Appendix B referred to = A letter from the Khalif
to all Amirs with Mahmoud, dated 16 Shawal 1315
containing general advices and directions.



Appendix D. (2) see P. 133

" The accusation in Grnfell's letter that Abda
deliberately sent al Nujumi in a hopeless mission in o
to destroy him and break the fighting - power of the
Awlad al - Balad is current in the Sudan to this day a
the principal reason for the clouded reputation of th
among his own countryment. In it there is probably a g
truth. Certainly al - Nujumi never seems to have enjo
Abdallahi's trust like his colleagues Abu Anja, Uthman
or even Uthman Digna." P.M. Holt: The Mahdist State i
Sudan P. 163.

Appendix D. 3 see P. 133

" The lack of food seems to have been the fina
of the advance on Egypt. When in November al - Nujumi
notified of the appointment of Mohammed al - Kheir and
Sa'ad to recruit the riverian tribes he suggested that
to the famine, the forces in al - Urdi should move out
the arival of the re - inforcements." P.M. Holt : The
Mahadist State in the Sudan P. 159.

Appendix E (1) see P. 200

" Yet the black Jihadia stood firm in their tr
through the infurnal minutes, and never moved till tho
devilish white Turks and their black cousins came surg
yelling, shooting and bayoneting right on top of them.
stayed where they were to die only praying that they m
kill one first. Those who ran, ran slowly, turning do
to fire, The wounded, as usual, took no quarter; they
to be killed lest they should kill. " Steevens: wit
Kitchener to Khartoum P. 159.

Appendix E (2) see P. 207

" to be sure the cavalry did get away; and O
Digna, who never fights to a finish, got away with t
The Cavalry did nothing and behaved badly, which is
signficant. For the Cavalry were Baggara, the catt
owning Arabs of the Khalifa's own tribe, transplante
him from Darfur to the best lands round Omdurman. T
were the ~~herds~~ Lords of the Sudan - and ingloriously they
away." Steevans: with Kitchener to Khartoum P. 15

Appendix E(3) see P.219

" In the circumstances the military precaust
taken by the Khalifa were limited to reinforcing the
of the Atbara with 8000 men under the command of Uth
Digna and Hamid Ali at Quz Rajab and the smaller pos
of Asubri and al - Fasher." P.M. Holt: The Mahadist
State P. 196.

Appendix E (4) see P. 226

" Thus on the morning of Sunday March 20, th
broke up from Kanur. The camp went wild, for the ne
that Mahmoud was actually on the Atbara at last. He
seized Hudi ford, it was said, seven miles from the
junction of the rivers; and to Hudi we were to march
straight across the desert. The Intelegence Departm
more than half disbeleived the native stories."
Steevens: with Kitchener to Khartoum P. 104.

Appendix E (5) see P. 227

" That some day(March 21) the cavalry found
enemy. Perhaps it would be more strictly correct to
that the enemy found them. They were halted and dis
when the Derwish horse suddenly attacked the sentrie

Stevens: with Kitchener to Khartoum P.

Appendix E (5) See P. 227 Cont.

" During the advance from Hudi to Ras El Hudi Mar
Broadwood's cavalry form a sereen for the army; wh
they water in turns at Abadar, the pickets are att
and driven in by numerous Deruishes from the serub
are withdrawn; fifteen casualties. The Horse Arti
shell. The scrub; and cavalry advance parallel fo
six miles to Umdabia, fires of a large force visib
the cavalry then retires, reading Ras El Hudi at
midnight. " .

---

2) Berry : Lecture notes on the Sudan Compaigns

Appendix E (6) See P 228

" I have no desire to criple your full liberty of
in case you should think it desirable to act contr
to the view to which I incline. Whatever you may
to do, I wish to assure you that you will receive
support both from myself and I am sure I may add f
the authorities at home. "

Cromer : Modern Egypt. Vol II P. 98 - 100

Appendix E (7) See P. 235

" In the Zariba itself Bimbashi Watson, A.D.C. to
Sirdar, counted 2000 dead before he was sick of it
were others left : trench after trench was found f
with them. A few were killed outside the Zariba;
great many were shot down in crossing the river be

Steevens : with Kitchener to Khartoum P. 160

(١)

مصـــادر البحـــــث

أولا : الوثـــائـــق

خطـابات محمـود الى الخليـفه ، وخطـابات الخليفه الى محمود وخطـابات الامراء الى محمـود والى الخليفه : دار الوثـائق المـركـزيـه لجمهورية الســودان ـ الخرطوم .

١ـ مهديه ١/٨/١ـ٢ من محمود الى الخليفه سنـة ١٣١٥ هـ
٢ـ مهديه ١/٨/ ٢ـ١/٢/١ من محمود الى الخليفه سنة ١٣١٥هـ
٣ـ مهديه ١/٨/٣ من محمود الى الخليفه سنـة ١٣١٥ هـ
٤ـ مهديه ١/٨/٣/١ الامـراء الى محمود والامراء الى محمود مرفق
٥ـ مهديه ١/٨/ ٤ من الخليفـه الى محمود سنة سنـة ١٣١٥هـ
٦ـ مهدية ١/١٤/ ١ من محمود الى الخليفه سنـة ١٣٠٨ هـ
٧ـ مهديه ١/١٤/١/١ من محمود الى الخليفه سنـه ١٣٠٨ هـ
٨ـ مهديه ١/١٤/ ٢ من محمود الى الخليفه مرفق سنة ١٣٠٩ هـ
٩ـ مهديه ١/١٤/ ٢/ ١ " " " " " ١٣٠٩ هـ
١٠ـ مهديه ١/١٤/ ٣ " " " " " ١٣١٠ هـ
١١ مهدية ١/١٤/ ٣/ ١ " " " مرفق سنـة ١٣١٠ هـ
١٢ مهديه ١/١٥/ ١ من محمود الى الخليفه سنة ١٣١١ هـ
١٣ مهديه ١/١٥/ ٣ من محمود الى الخليفه سنة ١٣١٣ هـ
١٤ مهديه ١/١٥/ ٣/ ١ من محمود الى الخليفه مرفق سنة ١٣١٣ هـ
١٥ مهديه ١/١٥/ ٤ " " " " " سنـة ١٣١٤ هـ
١٦ مهديه ١/١٥/ ٤/ ١ " " " " مرفق سنة ١٣١٤ هـ
١٧ مهديه ١/١٣/ ٣ـ٩ من الخليفه الى محمود سنة ١٣٠٨ هـ ـ ١٣١٤ هـ
١٨ مهديه ١/١٣/ ٣/ ١ ـ ٩/ ١ من الخليفه الى محمود مرفق سنة ١٣٠٨ ـ ١٣١٤ .

١٩ دفتر وقائع عثمان دقنه : من غنايم موقعه آفـافيت من مطبوعات دار الوثـائق المـركزيه ـ الخرطوم .

٢٠ـ مخطوطة يوسف ميخائيل من التركيه والمهديه ١٩٣٤ دار الوثائق المركزيه الخرطوم .

٢١ـ تقارير المخابرات المصريه وبصفه خاصة التقارير الاتيـــه :ـ

1- Egypt Intelegence Reports, Dec. 1892
2- Egypt Intelegence Reports, June 1895
3- Egypt Intelegence Reports June & Aug. 1896
4- Egypt Intelegence Reports . 1897.
5- Egypt Intelegence Reports Feb. & May 1898.

(٢)

ثانيا :- الروايات السماعيه :-

وقد تحدثت الى كثير من الناس ممن لهم صلة بهذا البحث منهم من عاصر الفترة المعنيه ، ومنهم من له صلة بالامير محمود وداحمد ، ومنهم من له خبرة فى الفنون العسكرية . وهم :-

١- الشيخ عبدالكريم الفاضل . عاصر الفترة التى نتحدث عنها وكان من بين الذين حاربوا فى واقعة العتمه - هو اساسا من اهالى الدامر ولكنه حضر الى العتمه فى ايام الواقعة .

٢- الشيخ محمد ود وراق . من اهالى ام ضبيع لم يكن ممن عاصر تلك الفترة ولكنه عاصر من حضروا احداثها ورواياته ثانويه ولكن له معرفه جيده بالمنطقه وجغرافيتها ودروبها وطبيعتها .

٣- الشيخه (آمنه ؟؟) من اقارب على محمد تاى الله الذى كان محمود قد اوكل اليه حماية نساء العتمه . وقد قالت لى ان على محمد تاى الله كان خالا لها وانها كانت من بين نساء العتمه الذين عسكر بهم على محمد تاى الله بالقرب من النيل بعد واقعة العتمه ولكنها كانت صغيرة السن فى ذلك الوقت غير انها مازالت تتذكر بعض احداث تلك الفتره .

٤- الشيخه زينب : بنت الامير محمود .

٥- اسماعيل محمد فضل الله وهو ابن احد امراء محمود وابن بنت الامير محمود احمد المذكورة اعلاه . وقد سمع اسماعيل الكثير عن تلك الفترة من والده . وبالرغم من ان رواياته كانت ثانويه الا انه هو ووالدته قد افادانى كثيرا خصوصا فى مسألة الانساب وصلة محمود بالخليفه وكذلك اسباب الخلافات بين الامراء مما لم يدون سواء اكانت تلك الخلافات قديمه تهل المهديه او تلك التى استمرت الى مابعد المهديه .

٦- كثير من ابناء الامراء الذين عاصروا تلك الفترة فى امدرمان -العباسيه - او فى قرية الرماش - مثل اولاد فضل الحسنه ، والزاكى عثمان ، والزاكى طمل ، وغيرهم .

٧- الرائد ابراهيم الامين محمد خير . وهو احد ضباط القوات المسلحة السودانية فى سلاح المدفعيه فى عطبرة كان قد زار منطقة الهودى وام ضبيع والنخيله وزار المكان الذى عسكر فيه محمود والذى حدثت فيه واقعه النخيلة .



(1) The Annual Register, a Review of Public Events a
and Abroad, for the year 1896, New Series, London

(2) The Annual Register, for the year 1897, London 18

(3) The Annual Register, for the year 1898, London 18

(4) Harison, M. Wright, " The New Imperialism. " Ana
of late Nineteenth - Century Expansion (Boston, 1

(5) I. Holand Rose: The Development of the European N
1870 - 1900 (London 1905)

(6) V.I. Lenin, Imperialism The Highest Stage of Capi
(New York 1939)

(7) Leonard Woolf: Empire and Commerce in Africa: A S
in Economics Imerialism (London 1919)

(8) G.N. Sanderson, England, Europe and the Upper Nil
1882 - 1899 (Edinburgh 1965)

(9) R.E. Robinson, I. Gallagher with A Denny, Africa
the Victorians: The Official Mind of Imperialism
(London 1961)

(10) A. Hilliard Aheridge : Towards Khartoum, The Sto
the Sudan War 1896 (London, 1897)

(11) E.N. Bennet 3rd. Ed. The Downfall of the Dervishe
(London 1899)

(12) Bennet Burleigh, Khartoum Campaign 1898 (London 1

(13) Piere Carbite's: The Winning of The Sudan, (Londo

(14) G.A. Henty, With Kitchener in the Sudan, (London n

(15) 8 CN H. E. Calvile: History of the Sudan Campai
(London 1889)

(16) H. D. Trail: England, Egypt & The Sudan (London

(17) Cromer, The Earl of: Modern Egypt, 2 Vols. (Lon

(18) W.L. Langer: (The Diplomacy of Imperialism 2nd.
(New York 1951)

(19) Marquess of Zelland: Lord Cromer (1932)

(20) W.S. Churchil: The River War (London 1899, reprint

(21) P P.M. Holt: The Mahadist State in the Sudan (Oxf
1958)

(22) M. Shibeika: British Policy in The Sudan (Londo

(23) Bennet Burleigh: Sirdar and the Khalifa (London

(23) G.W. Steevens: With Kitchener to Khartoum (Edin
and London 1898)

(24) A.B. Theobold: The Mahadya (London 1951)

(25) Berry, H.W. : Lecture Notes on the Sudan Campai
(Cairo 1921)

(26) Philip Magnus: Kitchener, Portrait of an Imperi
(London 1958)

(27) Sir G.C. A Arthur: The Life of Lord Kitchener (
London 1920)

(28) J. L. Burckhardt: Travels in Nubia (London 1819

(29) Sir J.A.R. Mariott: Modern England (London 1952

(30) R. L. Hill: Egypt in the Sudan 1880 - 1881 (London

(31) H.L. Ritchard: Sudan Campaign 1896 - 99 by an Offic (London, 1899)

(32) Jackson, H.C. : The Fighting Sudanese (London, 1954

(33) E.F. Knight: Letters from the Sudan reprinted from Times of April to Oct. 96.(London 1897)

(34) R. Bull: Black and White War Albums, 2 vols. London

(35) R.O. Collins and Rh. Tignor: Egypt and The Sudan (N 1967)

(36) C. Royle: The Egyptian Campaigns 1882 - 1899 (Londo

(37) A. Milner: Imperial Unity, Various Articles Vol. II a collection of articles on various subjects about Sudan Kept in the Sudan Section of the University o Khartoum Library.

(38) G.N. Sanderson: Extracts collected by Dr. G.N. Sand from Foreign Office and Public Records Office in Br and given to B.A. (Honours) Students 1961 who were (Upper Nile) as their special subjects.